المقتطف

الجزء الخامس من المجلد الثامن والستين

١ مايو (ايار) سنة ١٩٢٦ — الموافق ١٨ شوال سنة ١٣٤٤

حاسة الشم وفلسفتها

او كيف نشم

الحواس الخمس الظاهرة السمع والبصر والشم والذوق واللمس يعلمها كل احد ولكن قلَّ من يدرك كيف نسمع وكيف يبصر وكيف يشم وكيف يذوق وكيف يلمس كما يدرك كيف تحرث الارض وكيف تبنى البيوت. والعلماء الذين بحثوا في وظائف الاعضاء عرفوا مثلاً كيف يدخل النور المنعكس عن المرئيات الى العين ويمرُّ في عدسيتها و يرسم صورة المرئي على اعصاب الشبكية التي في باطن العين فتتأثر هذه الاعصاب باهتزاز امواج النور و ينتقل تأثرها الى مركز البصر في الدماغ فيدرك العقل شكل المرئي ولونهُ. وفسروا السمع والذوق واللمس بما يقرب من ذلك. واما الشم فلم يتفقوا على كيفية حدوثهِ

تضع حبة من المسك في غرفة فتشم رائحتها في تلك الغرفة يوماً بعد يوم وسنة بعد اخرى وهي لا ينقص ثقلها شيئاً محسوساً. ولا تفوح رائحتها في هواء الغرفة كل هذا الزمن الاَّ اذا خرج شيء منها كل يوم وكل ساعة فانتشر في هواء الغرفة المتجدد حتى امكن وصولهُ الى الانف. فما هو هذا الشيء الذي يخرج من حبة المسك ؟ أغاز صادر منهُ ام اهتزاز في الاثير كالاهتزاز الذي تنقل بهِ امواج النور وامواج الكهربائية. هذا ما لم يتفق عليهِ العلماء حتى الآن لانهُ لا يزال من الفروض ولم يدخل دائرة البحث العلمي لان ليس للشم عمل كبير في اعمال الانسان في هذا العصر كالبصر والسمع مع ان لهُ في حياتهِ الداخلية شأناً كبيراً يفضلهُ على البصر والسمع كما سيجيء

والشم اقدم الحواس كلها ما عدا اللمس فلا يخلو منهُ حيوان مهما انحط نوعهُ . وجهازهُ بسيط جداً وهو خلايا عصوية الشكل فيها تضخُّم بيضوي تنتهي باهداب دقيقة ويمتد منها من الجهة الاخرى خيوط عصبية تتصل بعصب الشم الواصل الى مركزهِ في الدماغ. وهذه الخلايا محصورة في الانسان في مساحة ضيقة لا تزيد على بوصة مربعة في باطن انفهِ يتصل الهواء الذي يتنفسهُ الى اهدابها السائبة فيؤثر فيها . وهي في الكلب تملأ مساحة اوسع وفي الحوت الكبير مساحة اضيق . اي ان جهاز الشم يتسع ويضيق على نسبة حاجة الحيوان الى الشم . فيكون في ذوات الاربع اوسع منهُ في الحيتان ويختلف محلهُ فهو في النحل في قرونها او زباناها وفي صئارة البحر في جلدها . وبناؤهُ واحد اينما كان اي انهُ مؤلف من خلايا عصوية في كل منها انتفاخ بيضوي ولها اهداب من طرف ويمتد منها خيوط عصبية من آخر وبينها خلايا ملونة طرفها السائب عريض منبسط والطرف الآخر يمتد منهُ خيوط عصبية الى عصب الشم كما ترى في هذا الشكل

وجهاز الشم على بساطتهِ كافٍ للتمييز بين الروائح المختلفة ولو لم يصل اليهِ منها الاَّ

أ و ج خليتان عصبيتان من خلايا الشم تنتهيان باهداب دقيقة . وب خلية ملونة

شيء طفيف جداً . فشمُّ رائحة المسك ولو كان مقدارهُ جزءاً من الف مليون جزء من الغرام. وشم رائحة المركبتان Mercaptan الخشبية ولو كان مقدارهُ جزءاً من خمسين مليون جزء من الهواء فيكون حينئذٍ في كل خمسين سنتمتراً مكعباً من الهواء اي قبما يدخل الانف عند كل تنفس جزء من اربعمائة الف مليون من الغرام . واذا وقع شيء من الفساد في هواء غرفة سهل الشعور بهِ بالشم ولو تعذر اكتشافهُ بادق الكواشف الكيماوية

ثم ان الدقة ليست الصفة الوحيدة التي يتصف بها الشم بل هو يميز بين الروائح المختلفة على كثرة عددها ولو لم يكن في اللغة اسماء لها

وقد حاول السر وليم رمزي الكيماوي المشهور ان يجد رابطة بين رائحة المادة وتركيبها لكي يعلل تأثير الرائحة بفعل كيماوي في عصب الشم فوجد شيئاً من الارتباط بين الرائحة وثقل المادة الجوهري ولكن هذا الارتباط غير عام لان مواد كثيرة رائحتها واحدة

وتركيبها الكيماوي مختلف فالمسك الطبيعي والمسك الصناعي رائحتهما واحدة ولكن تركيبهما الكيماوي مختلف . والحامض البروسيك رائحتهُ مثل رائحة النتروبنزول وهما مختلفان تركيباً . ولما وجد علماء الفسيولوجيا انهُ لا يمكن تعليل الرائحة بفعل كيماوي بحثوا عن تعليل طبيعي لها فقالوا ان دقائق الجسم المشموم تكون متحركة حركة ارتجافية سريعة مثل كل دقائق الاجسام التي حرارتها فوق درجة البرد المطلق وهذه الحركة تتصل بالهواء المجاور لها فتكوّن فيهِ امواجاً كما يموج الماء بوقوع حجر فيهِ تتصل هذه الامواج الى الانف وتصيب اهداب خلايا الشمّ فترتجّ بها كما ترتج طبلة الاذن بامواج الصوت ويمتد هذا الارتجاج من الخلايا المشار اليها الى عصب الشمّ والى مركزهِ في الدماغ . فتكون حركة دقائق المادة ذات الرائحة بمثابة الامواج الكهربائية التي تنقل بالاثير في التلغراف اللاسلكي والفرق بينها ان امواج الكهربائية واسعة تقاس بالامتار وامواج الرائحة ضيقة جدًّا اضيق من امواج النور . وامواج كل مادة تختلف عن امواج غيرها فيميز مركز الشم بينها كما يميز مركز السمع بين الاصوات المختلفة

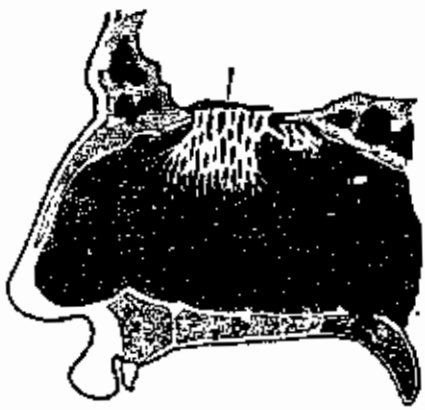

باطن الانف وفي اعلاه خلايا الشم

لكن هذا التعليل على بساطتهِ لا ينطبق على كل ما لهُ رائحة . فان حركة دقائق الحامض البروسيك مثل حركة دقائق بخار الماء ولكن رائحة الواحد ليست مثل رائحة الآخر فبخار الماء لا رائحة لهُ واما الحامض البروسيك فلهُ رائحة شديدة مثل رائحة اللوز المرّ . فلا تعلّل انواع الروائح كلها بالتعليل الكيماوي ولا بالتعليل الطبيعي ومن المحتمل ان يكون التعليلان صحيحين ولكن بعض الروائح يجري على التعليل الواحد و بعضها على التعليل الآخر

ثم ان للخلايا الملونة التي بين الخلايا ذوات الاهداب شأناً كبيراً في الشم على ما يظهر لانها كبيرة وكثيرة المادة الملونة في الحيوانات الشديدة الشم كالكلب والغزال وصغيرة وقليلة المادة الملونة في الحيوانات الضعيفة الشم كالقطة ومعدومة في الحيوانات المصابة

بالبرص[1] فلا تشم الاَّ قليلاً وهذا يحملهُ رعاة الغنم فلا يقتنون الخرفان المصابة به لانها قلما تميز النباتات السامَّة فتأكلها وتموت . ولهذا تكون حاسة الشم في السود والسمر اشد منها في البيض لان المادة الملونة تكون فيهم اكثر منها في البيض . وتزيد حاسة الشم بالتقدم في السن لان المادة الملونة تزيد حينئذٍ في هذه الخلايا

ثم ان حاسة الشم من الحواس التي تقوى بالتمرين ولكننا لا نتنبهُ لذلك لاننا نرى حاسة البصر وحاسة السمع تضعفان بالتقدم في السن فلا يخطر لنا ان حاسة الشم تقوى حينما تضعف تانك الحاستان . ولكن ظهر بالبحث ان ادراك الطفل للروائح يكون ضعيفاً ثم يزيد رويداً رويداً الى ان يبلغ السنة الرابعة عشر وحينئذٍ يظهر فرق كبير في قوة الشم بين الذكر والانثى فتكون حاسة الشم في الانثى اقوى منها في الذكر . ويقع بينهما اختلاف بيّن فيما يفضّلان من الروائح ولا يُعلم سبب ذلك . وتزيد حاسة الشم بالتقدم في السن قوةً وتمييزاً بين الروائح والظاهر ان السبب الاكبر لذلك زيادة الاعتماد عليها فهي من الحواس التي تقوى بالتمرين

وللشم فعل في العقل الباطن كما لهُ فعل في العقل الظاهر . يشم الانسان رائحة وردة او قرنفلة فتنبه فيهِ تذكارات قديمة تذكارات حب او بغض كامنة في عقلهِ الباطن او تهيج فيهِ عواطف وامياللاً لا يعرف مصدرها . ويدخل بيتاً عتيقاً فيشم فيهِ رائحة تجعلهُ يكره ذلك البيت

ثم ان الانسان قلما يتذكر الروائح الاَّ اذا شمها . قل لهُ ما هو شكل القرنفل فيتصور حالاً شكلهُ وقد يستطيع رسمهُ على القرطاس ولكن قل لهُ ما هي رائحتهُ فلا يتصورها ولا يستطيع ان يعبر عنها مع ان اثر الرائحة يكون في ذهنهِ وحالما يشمها يتذكرانها رائحة القرنفل . وقد يتذكر ايضاً اموراً كثيرة لها علاقة بالقرنفل . وقد استعمل ذلك في تذكير الشهود عند البحث في تحقيق الجرائم . ومن المرجح ان يزيد البحث العلمي في حاسة الشم فتكشف فيها امور كثيرة غير معروفة

ومن الحقائق المعروفة ان الانسان لا يشعر بالرائحة ما لم يتنفس فقد يتلئ منخراهُ بماء الكولونيا او بهواء مملوء من غاز المخدرين المكبرت الخبيث الرائحة ولا يشعر برائحة ما لم يتنفس واما اذا تنفس فان الهواء يدخل انفهُ بعزم ويحمل الرائحة ويصدم بها

(١) البرص Albinism حالة طبيعية يبيض فيها الجلد والشعر والعينان

اهداب خلايا الشم . و يجب ان يكون سطح الانف مرطباً حتى يشعر بالشم فاذا كان جافاً او مغطى بطبقة سميكة من المخاط فانهُ لا يشعر بالرائحة .وتكون رائحة المشموم على اشدها في اول الامر ثم يقل الشعور بها فاذا شممت وردة او قرنفلة في اول الامر تجد الرائحة شديدة وبعد مدة تقل رويداً رويداً وهذا يكون في الرائحة الحقيقة كما في الطيبة

واذا دخل المخزين روائح مختلفة لم تمتزج معاً بل شعر الانسان برائحة منها ثم بغيرها . وتقلُّ حاسة الشم بالمورفين اذا استنشقهُ الانسان مع السكر وتزيد قوةً اذا استنشق الاستركنين . ولا دليل على ان لكل رائحة اعدادياً خاصة بها في خلايا الشم ولكن قد يتعب جهاز الشم برائحة من الروائح فيبطل شعورهُ بغيرها مدة . فرائحة الكافور مثلاً تبطل الشعور برائحة الانيز او رائحة الكولونيا . واذا ادخلت رائحة بانبوب الى احد المخزين ورائحة اخرى بانبوب آخر الى المخزر الآخر فاما ان يشعر المرء برائحة ممتزجة من الرائحتين او لقوى احدى الرائحتين على الاخرى فيشعر بالاولى ولا يشعر بالثانية ويحدث ذلك في مركز الشم في الدماغ .ومن الروائح ما يبطل غيرهُ كالمسك وزيت اللوز او كالامونيا والحامض الخليك وفي ذلك يقول الشاعر اذا حق ان تسمي قولهُ شعراً

واذا ادنيت منها بصلاً غلب المسك على ريح البصل

والشم في كثير من الحيوانات الدنيا اشد منهُ في الانسان ومن المرجح ان الكلب والقط يدركان بحاسة الشم مالا يدركهُ الانسان بها . والظاهر ان الروائح تؤثر في كثير من الحيوانات تأثيراً كبيراً والمرجح انها تتذكر الروائح وهذا مما لا يستطيعهُ الانسان كما تقدم

ومما يذكر من نوادر الشم ان ولداً ولد اعمى واطرش واخرس فكان اعتمادهُ على الشم وكان اذا دخل بيتهُ رجل غريب ادرك وجودهُ بحاسة الشم وقد يدرك اوصافهُ بهذه الحاسة .و بعض الناس لا يشمون والذين يكثرون من استعمال السعوط يضعف شمهم وكذا الذي يكثرن التدخين وقد يشم الانسان رائحة لا وجود لها كما يتخيل خيالات لا وجود لها ويسمع اصواتاً غير موجودة

الصحافة الشرقية في خمسين سنة

لكتابة التاريخ اساليب شتى اهمها اثنان الاول ما يدور معظمهُ على محور الاشخاص واعمالهم الخاصة والثاني ما يدور على محور الحركات العامة والنهضات . ولكل من هذين الاسلوبين انصارهُ ومميزاتهُ وقد كان اولهما المعول عليهِ في كتب التاريخ العتيقة غير ان هذا الاسلوب اخذ يتحول تدريجاً الى الاسلوب الآخر حتى ان انصار هذا يعتقدون ان الحركات العامة والنهضات وتهيؤُ الامم لها واستعدادها للتحول والتغير — ان هذه العوامل هي التي تنشئُ العامل الشخصي او تظهرهُ بعد التكوين. فاذا لم تتوافر فقلما يتاح للاشخاص ان يخلدوا اسماءهم في تاريخ العالم مهما اوتوا من الدهاء ومهما رزقوا من المؤهلات . ومع ان هذه النظرية لا تخلو من شيء من الغلو والمبالغة فانها بالاجمال صحيحة تطابق نتيجة الاختبار المعبر عنهُ بالمثل العربي القائل ان الحاجة تفتق الحيلة والمثل الافرنجي الشائع وهو ان الحاجة ام الاختراع

قدمت هذه المقدمة الوجيزة توطئة للبحث في موضوع هذه الرسالة فان من يحاول ان يكتب تاريخ الصحافة الشرقية في نصف القرن الماضي قد يتوسل الى بلوغ قصده بايراد اسماء الصحف والمجلات التي اسست في ذلك القدر من الاعوام وما تقدمها منها وسرد شيء من سير مؤسسيها وكبار كتابها ومنشئيها وغير ذلك من المعلومات الخاصة بها . ومع ان بياناً كهذا لا يخلو من فائدة وفائدة فانهُ لا يسمو الى مرتبة النظر في التحول الذي طرأ على هذه الحركة الادبية والسياسية والعلمية العامة التي كان لها مقام عظيم في نهضة الشرق الحديثة وهو المقام الذي اعترفت بهِ في الغرب حيث لقبها ستفان لوزان «بصاحبة الجلالة» ولقبها غيرهُ بالقاب اخرى للدلالة على نفوذها وهيبتها واحترام الرأي العام لها

وقد صحبت الصحافة الاخبارية الناس منذ نشوئهم فتغلبت على وجوه شتى كان اولها نقل الاخبار ووصف المعارك وايراد الحوادث وذكر المفاخر والمآثر بالاشعار والنقوش فالياذة هرميروس وقصة الخلق وحكاية الطوفان وما نقش على الآثار المصرية الخالدة — كل هذا وسواهُ انما كان من مظاهر هذه النزعة الطبيعية التي تجلت في عصرنا هذا بالصحف اليومية والمجلات الدورية والتي استعين على اعدادها ونشرها بمعدات واختراعات لم يكن اسلافنا يعرفونها ولو ان كثيرين منهم تخيلوها وتاقوا اليها ولو ان بعضاً منهم انبأ بها قبل ان تظهر في عالم الوجود بعشرات من القرون

وقد لاحظ علماء العمران والباحثون في طبائع الامم ان نقل الاخبار واذاعتها صفة ملازمة للناس في بداوتهم وحضارتهم وكان الرواد والسياح يستخبرون ما يشهدون في البادية من سرعة نقل الحوادث والاقوال مع بطء وسائل النقل والانتقال ولا يزال بين قراء المتنطف من يذكر كيف ان اخبار الغزوات والاستعداد للحروب كانت تذاع باشعال النيران على الآكام والمرتفعات ليراها سكان القرى ويتأهبوا للنزال والصدام

غير ان عمر الصحافة بشكلها الحاضر واخراج الصحف في مواعيد دورية معينة وفي اوراق مطبوعة لا يتجاوز في الشرق مئة عام وكان مهد الصحافة الشرقية في مصر وهي مهد كثير من العلوم والفنون فقد روى التاريخ الحديث ان الحملة الفرنسوية بقيادة بونابرت انشأت في مصر جريدتين بالفرنسوية احداها « الكوريا ديجبت » والاخرى « الدكاد اجبسيان » فلما افل كوكب سعد الفرنسويين في هذه الديار ونظم محمد علي حي مصر الحديثة ومنشئ نهضتها العظيمة الاحكامَ والدواوين انشأ جريدة الوقائع المصرية بالعربية والتركية فصدر العدد الاول منها في ٢٠ نوفمبر سنة ١٨٢٨ وكانت جريدة الحكومة الرسمية ولا تزال كذلك، غير انها في الشطر الاول من حياتها الى الربع الاخير من القرن الماضي كانت تنشر مقالات ادبية ومباحث سياسية باقلام نفر من نوابغ المصريين لا يزال بعض منهم على قيد الحياة

ولكن الصحافة الشرقية ما كانت لتقوم لها قائمة لولا انتشار العلم والمعرفة في بلدان الشرق الادنى بما فعلهُ محمد علي وما صنعهُ فريق من فضلاء الاجانب الاوربيين والاميركيين فانهم اضاؤا مصباح العلوم بعد ما كاد يتطفئ واسسوا المدارس الراقية على شواطئ البحر المتوسط فنشأ بهذين العاملين في مصر وسورية طائفة متصلة اتصلت بالغرب ووقفت على اسباب تقدمه وتاقت نفوسها الى مجاراة الغربيين واقتفاء اثرهم فعمد افرادها الى التأليف والتصنيف والنقل والترجمة والبحث والتحقيق . وانما نوهت بمصر وسورية لانهما كانتا اشد بلدان الشرق الادنى اتصالاً بالغرب اذ كانتا صلة الاتصال التجاري والجغرافي والعلمي بين اسيا وافريقية واوربا فاتجهت اليهما انظار العاملين من الغرب كما اتجهت اليهما ابصار الفاتحين من قبل ومن بعد . وكان من جراء ذلك ان بعض مجلاتنا الشهيرة ولد في هذه المعاهد العلمية الكبيرة وكان ثمراً من ثمارها المباشرة كالمقتطف والمشرق او ثمارها غير المباشرة كالهلال وغيره

وقد كان ارتقاء الصحافة في الشرق الادنى تابعاً لثلاثة عوامل ومندمجاً فيها واولها

تعزيق حجب الامية والثاني تخفيف قيود الحكم المطلق والثالث استمرار يقظة روح القومية وتعزيز اصوله في النفوس والاذهان . فمن يقابل كثرة ما يطبع الآن من الكتب والمجلات والصحف المختلفة الاوضاع والمقاصد والسياسات وسعة انتشارها بما كانت عليه الحال من خمسين عاماً يتبين لهُ فعل نشر اصول القراءة والكتابة وشيوع التعليم فقد كان القراء في ذلك الحين يعدون بالمئات في كل قطر من هذه الاقطار وهم اليوم يحصون بعشرات الالوف

اما مهمة تحطيم قيود الحكم المطلق فكانت اثقل على الصحف من هذه لانها كانت تمسها مباشرة فكان الصحافيون يسجنون و يقتلون و يشرَّدون و يتفون لاسباب تراها اليوم تافهة وكانوا يستهدفون لصنوف العذاب وانواع البلوى علاوة على ما يعانونهُ من شظف العيش وقلة العطف ولكن تلك النفوس الكبيرة ما برحت تجاهد وتناضل غير مكترثة لما يصيبها من ضر وما يلحق بها من اذى فكانت اصدق ترجمان لهذه النهضة التي نهضتها شعوب الشرق لتتحرر وتعيش في جو نقي فيصح للباحث ان يقول ان تاريخ الصحافة الشرقية ما فتئ دليلاً على سير روح النهضة القومية وان الصحافة كانت بحكم تعبيرها عما يخامر النفوس من هذا القبيل من اعظم العوامل في تعزيز هذه النهضة وادناء موعد نضج ثمارها .

ولا يزال تاريخ الصحافة في تركيا ماثلاً للعيون وما قاساهُ الصحافيون العثمانيون من الترك والعرب وخصوصاً في عهد السلطان عبد الحميد معروفاً للذين خبروهُ بانفسهم ككاتب هذه السطور او الذين سمعوا وصفهُ من عارفيه . ولم يكن نصيب الصحافة من ذلك غير نصيبها في الغرب في عهدها الاول وتاريخ انكلترا وفرنسا والمانيا والنمسا طافح بهذه الحوادث ولكن النتيجة في الحالتين كانت واحدة كما ان الاحوال والعوامل التي ادت اليها كانت متماثلة ولا غرو فالناس اكفاء ابوهم آدم والامُّ حواء

فالعوامل الخارجة التي كان لها شأن في سير الصحافة وفي تصيير في بوتقة التجاريب والمحن والاضطهاد والاستبداد آلت الى تقويتها وترقيتها اي الى عكس ما كان معارضوها يشتهون فادركت الحكومات الشرقية ما سبق ان ادركتهُ الحكومات الغربية قبلها وهو ان الصحافة صارت من لوازم العمران . ومع ان الحكام ما برحوا يعتقدون ان هذه الاداة الجديدة شر لا بد منهُ فان السلطات ادركت قوتها ونفوذها وصارت تستعين بها على الاتصال بالهيئات المحكومة وتتخذ منها لسان حال وتتوسل بنفوذها وانتشارها الى الايضاح والبيان وتقرير ما تريد تقريرهُ في الاذهان حتى لقد افرط بعض الحكومات في ذلك

فتحداه الى شراء الصحف وافساد ضمائرها بالاموال وغيرها مما لا اطيل فيه الكلام لانه خارج عن نطاق هذا البحث

اما العوامل الداخلية فقد اخذت تتحول تحولاً كبيراً كان له تأثير عظيم في الصحافة والمقام هنا يضيق دون استيفائها لكثرة ما تقتضيه من الشرح والبيان لاصول الصناعة واسرارها فقد كان المألوف اولاً ان يكون صاحب الجريدة منشئها روحها روحه وقولها قوله وهي تسير في عملها باشرافه المباشر ولكن اعمار الصحف الحية تجاوز اعمار منشئيها فكان من جراء ذلك الاتجاه الى تغيير انظمة الانشاء والتحرير والادارة في الصحف وانقلاب بعض منها من ملك شخصي يتولى مالكه ادارته الفعلية الى شركات خاصة او مساهمة او هيئات سياسية ومالية وهذا امر كثير الشيوع في بلدان الغرب حيث تحتاج الصحف الى رؤوس اموال طائلة تحصى بمئات الالوف من الجنيهات ومع ما في هذا الانقلاب من وجوه للنقد والاعتراض يضيق المقام دون سردها فلا مندوحة عنه للسبب المتقدم ولاسباب مالية وصناعية وتجارية ولكن نتيجته الكبرى احلال العامل الاجمالي محل العامل الشخصي في الجريدة او المجلة وله مميزات لا يستهان بها وربما كان اظهر ما فيه انقطاع الصلة الشخصية بين منشىء الجريدة وجمهور قرائه لان الصحف في الغالب نتيجة جهد عشرات من الكتاب والمنشئين يندر ان يعلم القراء نصيب كل منهم من مظهر العمل الذي يقع تحت انظارهم

ثم ان اتحاد هذه العوامل الخارجية والداخلية وزيادة الثروة في بلدان الشرق واتساع نطاق التجارة والصناعة والاعمال المالية فيها — كل ذلك آل الى توسيع نطاق مباحث الصحف وتمكينها من زيادة موادها . وحسبُ المرء ان يقابل صحف مصر الكبرى ومجلاتها الراقية كما هي اليوم بما كانت عليه منذ ٢٥ عاماً فقط فان زيادة الانتشار بزيادة عدد المتعلمين واقبال التجار والصناع واصحاب الاموال على الاعلان في الصحف وامكان ايصال الصحف الى قرائها على جناح السرعة مكنتها من زيادة عدد صفحاتها وحملتها على الاستعانة بالآلات الحديثة لطبعها باقصر وقت مستطاع وجلب الاخبار بالتلغراف السلكي واللاسلكي والبريد والتلفون من الداخل والخارج واستخدام الكتّاب الماهرين والاكثار من المخبرين والمكاتبين اذ لا ريب في ان مهمة الصحف الاولى والكبرى هي موافاة قرائها بالاخبار الصحيحة الهامة وان يكون ذلك على جناح السرعة. ولا يسع من يطالع صحف مصر الكبرى وصحف الاستانة الا الاعجاب بما استطاعته في ربع قرن من هذا التبيل علاوة على ارتقاء مباحثها وقلة اعتمادها على ما تقتبسه من الصحف الاجنبية التي كانت من

اعظم المصادر التي يعول عليها في ما ينشر في الصحف الشرقية قبل النهضة الاخيرة . فان فلاح هذه النهضة بفروعها العديدة في بلدان الشرق وانتشار العلم وازدياد عدد المفكرين والذين يعنون بالمباحث التي تهم الشعوب فتح للصحف مجالاً جديداً يكاد يستغرق جهدها الاكبر

وقد كان للصحافة اعظم فضل في صون اللغة العربية وانتشالها من الوهدة التي هوت اليها في عصر الظلمة والانحطاط وكان لها يد تذكر في اظهار مرونة هذه اللغة وانعاشها لتماشي تقدم الحضارة في جميع ميادينها الادبية والسياسية والعلمية والصناعية فازهرت العربية بها ولبست ثوباً قشيباً بهياً ورنخت اصولها وصدت هجمات اللغات الاجنبية

ولا بد للباحث هنا من الاشارة الى تحول جديد شهدنا مقدماته في هذه الاعوام الاخيرة وهو نشوء الصحف المصورة سدّاً لحاجة ظهرت على اثر شيوع السينما عندنا فان هذه الصورلغة المتعلم والامي على السواء وفيها من المعاني ووسائل سرعة الادراك ما لا يتاح للكلمة المكتوبة او المطبوعة

ولا يكمل هذا البحث الوجيز من دون اشارة الى ابنة الصحافة الشرقية وارث بها الصحافة العربية في مهاجر الشرقيين فقد اعاد التاريخ نفسهُ وشهدنا في عالم الصحافة اندلساً جديدة في اميركا الشمالية واميركا الجنوبية حيث انشأ ادباء المهاجرين الصحف اليومية والاسبوعية والمجلات الادبية وكلها باللغة العربية وقد تأثرت بالمحيط الذي نشأت فيه وشقت لها طريقاً جديداً ونجحت نجاحاً عظيماً فكانت من اوثق الصلات بين العالم الجديد والعالم القديم ولكني لا ادري ما يكون شأنها في الولايات المتحدة بعد ما سن قانون الهجرة الجديد الشديد وبعد ما ينقطع سيل الهجرة العربية الى تلك الديار و « يتأمرك » ابناء الجيل الحاضر من اولئك المهاجرين وينطقون بالانكليزية بدلاً من العربية وعندهم بلغة شكسبير التي يجيدونها كابنائها صحف عظيمة راقية رخيصة الثمن منتشرة هناك ايما انتشار

ومن مظاهر التحول الجديد في الصحافة الشرقية اصطباغ جانب من الصحف بصبغة الاحزاب السياسية التي تنشأ في بلدان الشرق بحكم النهضة القومية والسياسية . ولا يستطاع من الآن تقدير تأثير هذا التحول في ارتقاء الصحافة وبلوغ فعلها في معالجة المشكلات العامة ولكن الباحث اذا عجز عن التنبؤ فلا يسعهُ اغفال هذا التحول الذي حذونا فيهِ حذو الصحافة الغربية حيث لكل حزب صحف تنطق باسمهِ وتعبر عن آرائهِ وتدافع عن مبادئهِ ووجهات نظرهِ في الشؤون الداخلية والخارجية

اما الذي يقدم الباحث على التنبوء بهِ فهو ان انتشار التعليم الاولي وارتقاء التعليم

الثاني العالي في مصر وسواها من البلدان الشرقية سيوسعان المجال للصحافة والتأليف والتصنيف ويزيدان في عدد الصحف والمجلات وفي سعة انتشارها وكثرة قرائها والمطلعين فيها وهذا يمكنها بالطبع من تحسين موادها وترقية مباحثها والاكثار من الايدي العاملة فيها حتى تصير من لزوميات الحياة لمجموع كبير كما هي اليوم لمجموع لا يزال صغيراً بالنسبة الى عدد السكان على نحو ما شهدناهُ حتى الآن من اقبال الناس على شراء الصحف اعتقاداً منهم بان قيمة ما يبتاعونهُ منها تساوي ما يبذلون من الثمن خلافاً لما كانت عليهِ الحال يوم كانت الصحف تعرض على الناس للاشتراك فيها فلا يقبلونهُ الاَّ حياء او رهبة

وقد اقتضى ارتقاء الصحافة الشرقية وتعدد مهامها وعظم تبعاتها الى تبدل عام في استعداد الذين يشتغلون بها وتأهبهم لهذه الصناعة الشاقة ومع اننا لا ننتظر ان تنشأ مدارس لتدريس اصول الصحافة وفنونها كما فعلوا في الولايات المتحدة وكما شرعوا يفعلون في لندن فان الحاجة الى هذا الاستعداد صارت ظاهرة بما يقتضيهِ العمل الصحافي من اتقان اللغة العربية وحسن التعبير بها واجادة بعض اللغات الافرنجية مع معرفة شيء من قواعد الاختزال والاحاطة بوسائل استقاء الاخبار وتمحيصها ونقدها والالمام باصول الاجتماع والعمران ونواميس الاقتصاد وكيفية معالجة الشؤون السياسية مما يقتضي علماً غير قليل ومواهب تذكر الى آخر شروط الكاتب التي بسطها صاحب المثل السائر في مستهل كتابهِ فان الجمهور صار ينتظر من الصحافة غير ما كان يتوقعهُ منها من ربع قرن فلم يعد يكفي الصحافي ان يكون منشئاً بليغاً بالعربية ولا ان يقتصر على سرد الاخبار بل ان يكون كبير الكنانة واسع الجعبة وان يلهمهُ الله صبر ايوب وان يظل في قلبهِ شاباً عدتهُ النشاط ورائدهُ مجاراة روح التقدم والارتقاء والابتعاد عن التعصب والجمود

واذا كان الصحافيون يشكون ويتململون لما لا يزال عالقاً بصناعتهم من قيود قانونية ومقاومات ظاهرة وخفية وقلة تقدير لجهدهم وتعبهم فان الحسن من هذه الجهة عظيم وسيطرد بحكم الارتقاء العام وارتقاء فن الصحافة الخاص. واذا شئنا دليلاً على تقدير الامم والحكومات للجهد الصحافي حسبنا ان نشير الى برييل المقتطف الذهبي الذي تفضل جلالة الملك فوضع حنكتهُ الكبرى تحت رعايتهِ السامية وتسابق الفضلاء في الشرق والغرب الى الاشتراك فيهِ تنويهاً بفضل العلم والمعرفة وتقديراً لعمل العاملين واعترافاً بجهاد المجاهدين في بلدان الشرق مهبط الوحي ومهد الالهام ومستقر الحكمة ومطلع فجر الحق

خليل ثابت

غرائب الاجرام السموية

تابع الشعرى

﴿ الشعرى ﴾ الشعرى اكبر كواكب الكلب الاكبر canis major الذي موضعهُ تحت رجلي الجبار Orion ووارءهما تعتها العرب بالشعرى اليمانية لانها تغيب في شق اليمن وبالشعرى العبور لانهم قالوا انها عبرت المجرة في ناحية سهيل ولانهم يزعمون ان الشعريين اختا سهيل وان سهيلاً تزوج بالجوزاء فرك عليها وكسر فقارها فهو هارب نحو الجنوب خوفاً من ان يطلب الجوزاء . والشعرى اسطع الكواكب ومن اقربها الى الارض

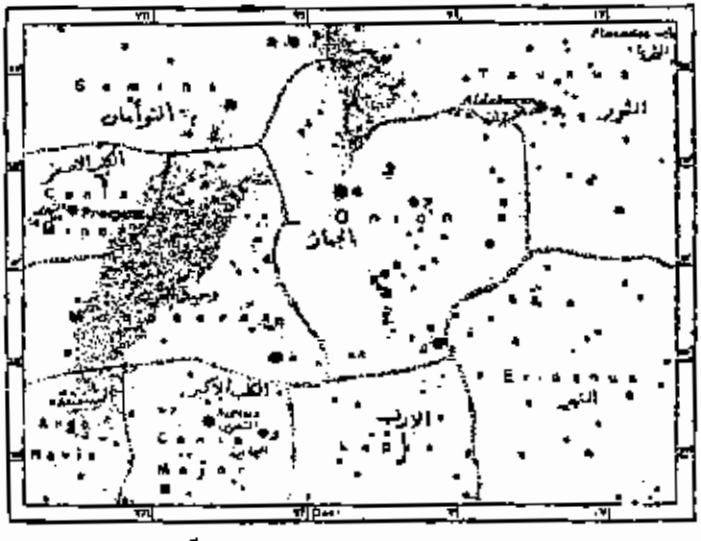

فانها تبعد عنا ثماني سنوات نورية ونحو سبعة اشهر وقد سمّاها المصريون سوتس وتفاءلوا بها لانها تطلع مبشرة بقرب فيضان النيل اما الرومان فكانوا يتشاءمون منها وكلمة الشعرى معربة من اليونانية اصلها سيريوس اي الجبار او المحرق لانهُ يطلع في فصل الصيف وفي ذلك يقول الشاعر العربي

يبوم من الشعرى يذوب لعابهُ افاعيهِ في رمضائهِ تتململُ

﴿ تابع الشعرى ﴾ في اواسط القرن الثامن عشر حاول علماء الهيئة ان يكتشفوا تعليلاً يعللون بهِ اضطراباً يحدث في سير الشعرى فتحيد عن فلكها المعيّن لها بالحساب الرياضي

وفي سنة ١٨٤٤ اشار الفلكي بسل الى احتمال وجود كوكب غير منظور يؤلف مع الشعرى كوكبًا مزدوجًا وهذا الكوكب يؤثر فيها فتحول عن فلكها المعين . وفي سنة ١٨٦٢ اعجز العالم الاميركي الثان كلارك اكبر عدسية تلسكوب صنعت الى ذلك الحين اذ كان قطرها ٤٧ سنتمترًا . ولما صوّبها ابنهُ الى الشعرى صاح « ابي ان للشعرى تابعًا » وبعد ما رُصد هذا التابع وجد ان مكانهُ يتفق مع المكان الذي عيّن لهُ بالحساب قبل رؤيتهِ كما حدث في اكتشاف السيار نبتون

ومن ذلك الوقت اخذ العلماء يرصدون هذا التابع حينما يبعد عن الشعرى لانهُ حين يقترب منها تغمرهُ بنيانها فلا يستطيعون رؤيتهُ

ويستخلص من هذه المباحث ان تابع الشعرى يدور حولها في فلك مستطيل فيتم دورتهُ او بالحري يتم كلا الكوكبين دورتهما حول نقطة مركزية داخل الفلك في خمسين سنة . وقد يقرب التابع من المتبوع حتى يصير على ٩٦٥٥٨٩ مليون كيلومتر منهُ في اقرب قربهِ اليهِ وقد يبعد عنهُ حتى يصير على ١٤٤٨٣٨٣ مليون كيلومتر لدى اقصى بعدهِ عنهُ . وحينما يقترب التابع من المتبوع يحدث على سطح التابع اضطرابات مغنطيسية من نوع الكلف والالسنة النارية التي تحدث على سطح الشمس

ولكن اغرب ما يمتاز بهِ هذا التابع مقدار المادة التي فيهِ على صغر حجمهِ فان قطرهُ يزيد ثلاثة اضعاف او اربعة اضعاف على قطر الارض انما مقدار المادة فيهِ يساوي بل يفوق مقدار المادة في شمسنا التي يزيد قطرها ١٠٩ اضعاف على قطر الارض . فاذا مثّلنا شمسنا بدائرة قطرها ١٠٩ سنتمترات كانت الارض على هذه النسبة نقطة قطرها سنتمتر واحد وتابع الشعرى دائرة قطرها ثلاثة سنتمترات او اربعة . مع ذلك ثبت ان في هذه الدائرة الصغيرة مقدارًا من المادة يوازي المقدار الذي في الدائرة الكبيرة . فكأن كثافة المادة فيهِ تتراوح بين ٣٠ الف ضعف و٦٤ الف ضعف كثافة الماء او نحو ستة آلاف ضعف كثافة الحديد

والتثبت من كثافتهِ مرتبط بالتثبت من حجمهِ فقد ابان الفلكي الاميركي سيرز Sears سنة ١٩٢٢ ان قطر هذا التابع لا يقل عن ٢٦ الف كيلو متر ولا يزيد على ٤٨ الف كيلو متر وذلك بعد ما درس الصور الطيفية التي صوّرها الاستاذ ادمس في مرصد جبل ولسن سنة ١٩١٤

ولا يخفى ان وزن كل جسم على سطح جرم من الاجرام يختلف باختلاف كثافة الجرم وطول قطره . فلو ان قطر تابع الشعرى كقطر الارض وكثافتهُ بقيت كما هي اي نحو ١٠ آلاف ضعف كثافة الارض لبلغ وزن رجل عادي على سطحهِ ملايين من الارطال ولكان لهُ من وزنهِ ضغط كافٍ بلصقهُ بالارض وبسطحهُ حتى يصير كاللوح . اما وقطر تابع الشعرى يزيد نحو اربعة اضعاف على قطر الارض والجاذبية تقل كمربع البعد فوزن الرجل هناك يبلغ اطناناً كثيرة وذلك كافٍ لان يمنعهُ عن الوقوف في حالتهِ الطبيعية بل يسحقهُ سحقاً

﴿ تابع الشعرى ومذهب اينشتين ﴾ وفي سنة ١٩٢٤ اخذ الاستاذ ادنغتون استاذ الفلك في جامعة كمبردج واكبر علماء الرياضيات والفلك عند الانكليز الآن يعالج موضوع تابع الشعرى من ناحية مذهب اينشتين ولا يخفى ان الاستاذ ادنغتون من اكبر انصار هذا المذهب . ذلك ان مذهب اينشتين يقضي بان توجد مادة كل كوكب من الكواكب غلافاً ممتطاً حولها تنحرف فيهِ اشعة النور عن سيرها الاصلي فيهِ . وقد حُقق هذا الرأي في رصد الكسوفات الحديثة واشهر تحقيق لهُ جرى في رصد كسوف مايو ١٩١٩ ومما يقضي بهِ مذهب اينشتين ايضاً ان انحراف اشعة النور في هذ الغلاف الممتط يجب ان يظهر في تحليل النور بالسبكترسكوب بتأخر ظهور الخطوط الطيفية او باستطالة امواج الاشعة

اخذ الاستاذ ادنغتون يبحث في هذا الموضوع فاتخذ قاعدة لبحثهِ ان حرارة تابع الشعرى ٨٠٠٠ درجة بميزان سنتغراد وكثافتهُ ٥٣ الف ضعف كثافة الماء ، وقطرهُ ٣٩٢٠٠ كيلو متر فحسب على اساس ذلك ان تأخر الخطوط الطيفية يجب ان يكون نحو ٢٠ كيلو متر في الثانية وفي الوقت نفسهِ كان الاستاذ ادمس مدير مرصد جبل ولسن باميركا قد صوّر نور هذا الكوكب بسبكترسكوب متصل بتلسكوب مرصد جبل ولسن فثبت من صورهِ ان الخطوط الطيفية تتأخر ٢٣ كيلو متراً في الثانية وهذا يؤيد حساب ادنغتون

فيستنتج من ذلك ان كثافة هذا الجرم السموي نحو ١٠ آلاف ضعف كثافة الارض او ستة آلاف ضعف كثافة الحديد . فما هي حالة المادة في كوكب على هذه الدرجة من الحرارة والكثافة ؟

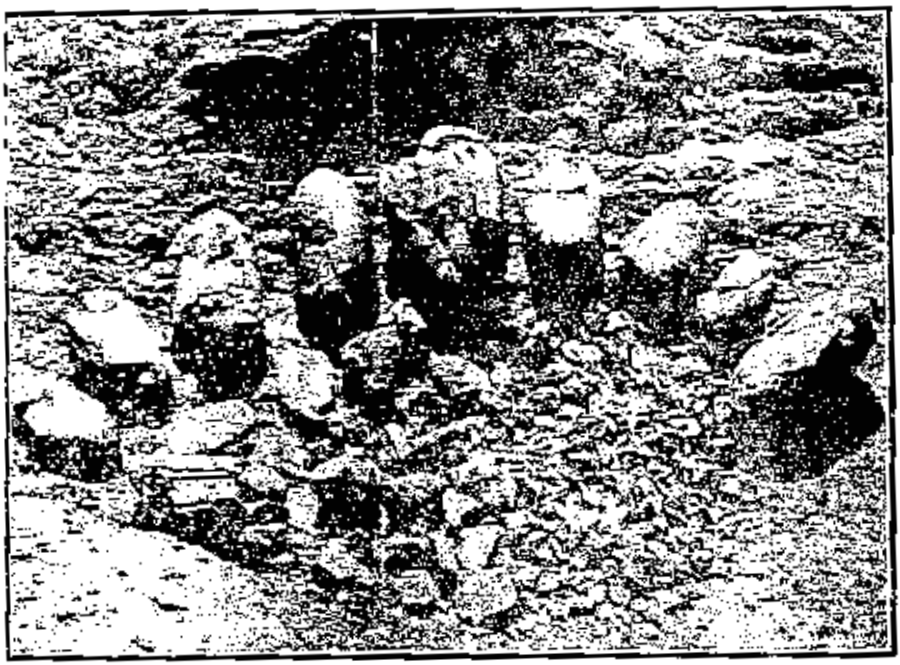

بيوض الديناسورس كما عثر عليها في صحراء غوبي

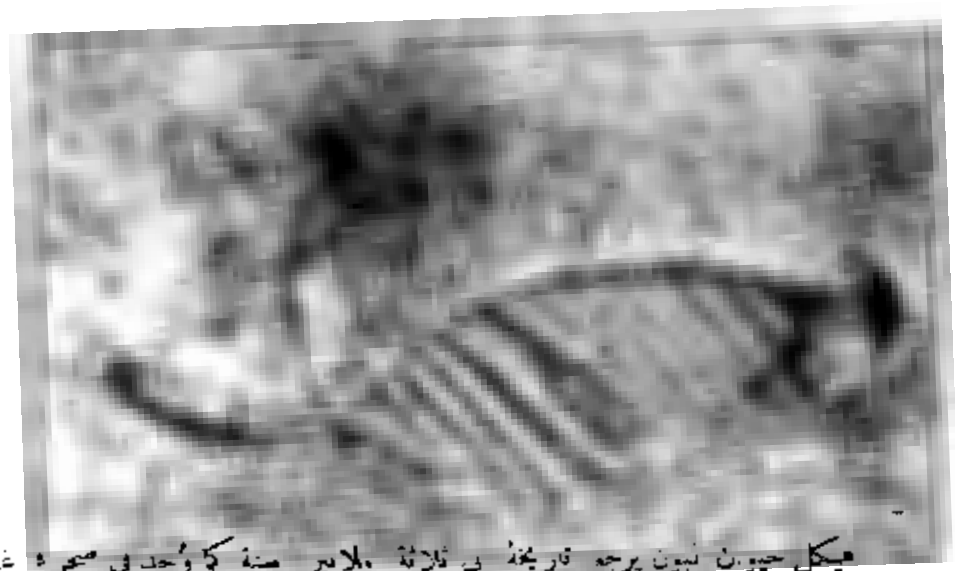

هيكل حيوان ثديي يرجع تاريخه إلى ثلاثة ملايين سنة كما وُجد في صحراء غوبي وهو كامل تقريباً

متحف مايو ١٩٢٦

الحيوانات اللبونة

واقدم آثارها

بسطنا في مقتطف فبراير سنة ١٩٢٤ كيف عثرت بعثة علمية اميركية برآسة الدكتور اندروز في صحراء غوبي بمنغوليا على مجموعة نادرة من بيوض الديناصورس المتحجرة وغير ذلك من الآثار والجماجم والعظام المتحجرة التي يرتدُّ تاريخها الى نحو عشرة ملايين سنة . وقد اعادت هذه البعثة الكرة في سنة ١٩٢٥ على المكان الذي وجدت فيه ما تقدم لاتمام البحث عن تلك المتحجرات النفيسة عساها ترشد العلماء الى الموطن الاول الذي نشأ فيه الانسان . فعثرت على عدد كبير من بيوض الديناصورس وجلّها يفوق ما عُثر عليه اولاً من حيث سلامتهُ وعدم تكسره او تفتته وكثرة انواعه ووجدت عدا البيض كثيراً من العظام المتحجرة وجميع هذه الآثار متى رتبت ترتيباً علمياً حسب سن اصحابها تألف منها سلسلة متصلة الحلقات تمثل حياة الديناصورس في جميع ادوارها من مهدهِ الى لحدهِ

وكانت البعثة قد عثرت في رحلتها الاولى الى صحراء منغوليا على جمجمة متحجرة حسبها الدكتور غرانجر الذي كشفها انها من آثار الزحافات غير المعروفة فلما رآها الدكتور متيوز امين المتحجرات في متحف التاريخ الطبيعي في نيويورك ادرك للحال انها ليست من آثار الزحافات بل من اثار الحيوانات اللبونة بل قد تكون من آثار اقدم الحيوانات اللبونة على الاطلاق . فكتب الى الدكتور غرانجر يطلب اليه ان يبذل ما في وسعهِ لكشف كل ما يستطيع كشفهُ من هذا القبيل . وذلك لانهُ من المعروف لدى علماء النشوء والمتحجرات ان الحيوانات اللبونة التي دمها حارٌّ وترضع اطفالها نشأت من الزحافات البيوضة الباردة الدم . وكان العلماء حتى سنة ١٩٢٣ لم يوفقوا الى العثور الأ على جمجمة واحدة من جماجم الحيوانات اللبونة التي يرجع عهدها الى ذلك العصر المتوغل في القدم، عُثر عليها في جنوب افريقية في طبقة من طبقات التر ياسيك التي كانت منذ نحو ١٦ مليون سنة وهذه الجمجمة موجودة الآن في المتحف البريطاني وتحسب من الكنوز الاثرية التي لا تقوَّم بمال . على ان صاحبها كان من الحيوانات اللبونة التي انقرضت في مطلع عصر

الايوسين وليس من علاقة صريحة له بالحيوانات اللبونة المعروفة و بعض العلماء يظن انها جمجمة احد الزحافات القديمة

لذلك اهتمت بعثة الدكتور اندروز في رحلتها الاخيرة بالتنقيب عن آثار الحيوانات اللبونة في المكان الذي وجد فيه الدكتور غرانجر الجمجمة الاول وهو المكان الذي عثرت فيه البعثة على آثار الدينوسورس من بيض وجماجم وعظام . وكان الحظ يسير في ركاب الدكتور غرانجر فما حطت البعثة رحالها على مقربة من هذا المكان حتى مشى اليه وعاد بعد ساعة يحمل في يده جمجمة صغيرة لحيوان لبون متوغل في القدم وهي الجمجمة الثالثة من نوعها في تاريخ البحث عن المتحجرات

وكانت البعثة قد عزمت على السفر الى مكان آخر في اليوم التالي فلما عادت الى هذا المكان استأنف غرانجر ورفاقه البحث عن جماجم الحيوانات اللبونة وعظامها فقضوا اسبوعاً كاملاً جمعوا فيه ست جماجم كلها صغيرة لا يزيد طول الواحدة منها على بوصة ونصف بوصة لانها كانت جماجم حيوانات صغيرة الحجم جداً

قال الدكتور اندروز رئيس البعثة « وقد كنت احرص على هذه الجماجم كما احرص على ولد لي فكنت اراقبها في اثناء السفر من منغوليا الى نيويورك لا اغفل عنها طرفة عين . ولما سلمتها الى مدير متحف نيويورك شعرت ان عبئاً ثقيلاً زال عني »

هذه الجماجم صغيرة كما تقدم يستدل منها على ان اصحابها لم يكونوا اكبر من الجرذان حجماً وعهدها يرجع الى عشرة ملايين سنة ويجب ان ينظر اليها كاول محاولة حاولتها الطبيعة في توليد حيوانات لبونة تأكل الحشرات او اللحوم او الاعشاب . وقد قال الاستاذ اسبرن رئيس متحف التاريخ الطبيعي بنيويورك في الكلام عليها ما يأتي « لا شك في ان انقراض الزحافات البحرية والبرية الكبيرة التي بقيت الى نهاية العصر الكريتاسي مهد السبيل لنشوء الحيوانات اللبونة فاخذت تتولد انواع جديدة منها وما زالت ترتقي حتى تسلطت على البر والبحر » وقد كاد علماء الحياة يجمعون على ان الحيوانات اللبونة نشأت من الزحافات كما نشأت الزحافات من الحيوانات الامفيبية[1] وهذا لا يعني ان انواع الزحافات المعاصرة هي من اسلاف الحيوانات اللبونة انما يعني ان الحيوانات اللبونة وانواع الزحافات المعاصرة نشأت من انواع الزحافات المنقرضة المتوغلة في القدم

(١) معنى الامفيبيا المزدوجة الحياة كالضفدع لانها تعيش جانباً من عمرها في الماء وجانبا في اليابسة

الحرب الكبرى ومن المسؤل عنها

٢

وصلنا في مقتطف ابريل الى اجتماع رؤساء اركان الحرب الثلاثة واتفاقهم على الاشتراك في الحرب . ولما عاد كنراد الى بلاده وحضر استعراض الجيش في بوهيميا رأى من الارشديوق فرنز فرديننند شيئاً من الفتور في معاملته لهُ فاستعفى من رآسة اركان الحرب ولكن الارشديوق اعتذر اليهِ وطلب منهُ ان يستمرَّ في منصبهِ ولو الى الربيع (سنة ١٩١٤)

وكان قد تمَّ الاتفاق بين ملتكي وكنراد على ان جيوش النمسا والمجر تقابل الجيوش الروسية وتساعدها المانيا باثنتي عشرة فرقة الى اربع عشرة حسب مقتضى الحال تبعث بها المانيا الى شرقي بروسيا. وعلى النمسا حينئذٍ ان تتخذ خطة الهجوم في شمال كرباثيا وتبذل جهدها في صد جيوش روسيا الى ان يصل المدد الالماني الى المكان المعد لهُ

وكتب ملتكي الى كنراد يقول انهُ رأى الجنرال زُكاري الذي كان معيناً لقيادة الجيوش الايطالية في المانيا اذا نشبت الحرب فقال لهُ انهُ واثق ان ايطاليا تقوم بما يجب عليها اذا وقعت الحرب . فاجابهُ كنراد انهُ اذا كان الامر كذلك فهذا يسهِّل على المانيا ان ترسل بعض جيشها الذي يقوم الجيش الايطالي مقامهُ ليساعد الجيش الذي يرسل الى شرق بروسيا. لكن ملتكي لم يكن ليسلك هذا المسلك فاجابهُ ان المانيا مضطرة ان تبدأ بمحاربة فرنسا كما لو لم تكن الجيوش الايطالية آتية لنجدتها ولكن حالما تصل الجنود الايطالية ترسل المانيا جانباً من جيشها من الغرب الى الشرق . ثم قال

اما الجيش الايطالي فلا يكون مستعدًّا الاَّ في اليوم الثاني والعشرين بعد التعبئة فلا نستطيع ان نؤخر هجومنا على فرنسا انتظاراً لهُ ولكنني ارجو اننا نستطيع حينئذٍ ان نجد سبيلاً للبت في هذه المسألة الهامة . ولا نعلم الآن هل تستطيع الجيوش الايطالية ان تصل بقطاراتها الى المحطات التي يراد وصولها اليها او تضطر ان تنزل في محطات اخرى قبلها بسبب اتخاذ الجيوش الفرنسوية خطة الهجوم. ويا حبذا لو استطاعت الجيوش الايطالية ان تقدم وصولها خمسة ايام ولكننا يجب ان لا نعتمد على الاماني بل نقابل الامور كما هي ونشرع في الحرب كما لو لم تكن الجيوش الايطالية آتية لنجدتنا ولذلك لا

نستطيع ان نغير خطتنا ولكنني اؤكد لك اننا نرسل بعض جنودنا الى روسيا حينما تصل الجنود الايطالية

وذهب ملتكي في ابريل سنة ١٩١٤ الى كارلسباد للاستشفاء على مجاري عادته ودعا كنراد لكي يزوره فيها فاجابهُ ان لا شيءَ احب اليهِ من التحدث معهُ ولكن الجرائد كانت لهُ في المرصاد ولا بدَّ لهُ من استئذان الامبراطور اولاً . ثم زار ملتكي في ١٢ مايو وعاد مسروراً بما تمَّ الاتفاق عليهِ من نجدة الجيش الالماني .ولم يكتب ملتكي شيئاً في هذا الموضوع ولكن كنراد كتب ما يأتي « نرجو ان نقضي على فرنسا في الاسابيع الستة الاولى من الحرب او نكون قد تقدمنا في فوزنا عليها تقدماً يبيح لنا ان نحوّل اكثر قوانا الى الشرق »

وكان المنتظر ان يقر القرار النهائي في صيف سنة ١٩١٤ ولكن حدث في النمسا قبل ذلك ما عقَّد المسألة فان الارشدبوق فرنز فردينند قُتل في مدينة سراجيفو في ٢٨ يونيو فبلغ الحنق على الصرب اشدَّهُ وفي الثاني من يوليو توفي الجنرال بوليو رئيس اركان الحرب الايطالي الذي كان اكبر مؤيد للمحالفة الثلاثية وكانت رومانيا قد زادت بعداً عن المحالفة الثلاثية . وكتب ملتكي حينئذٍ قاطعاً الرجاء من الجيش التركي اذ قال

« لا قيمة حربية لتركيا فان تقاريرِ بعثتنا الحربية لا تبقي محلاً للامل فالخلل في الجيش التركي يفوق الوصف . ان من كان يلقب تركيا بالرجل المريض يجب ان يلقبها الآن بالرجل المحتضر . وبعثتنا الحربية تشبه طبيباً واقفاً امام سرير مريض مدنف لا يرجى لهُ الشفاء »

فماذا تستطيعهُ النمسا في هذه الحال هل يصح لها ان تخاطر باثارة حرب اوربية بالهجوم على الصرب وهل من مصلحتها ان تقدم على ذلك

في الخامس من يوليو قال كنراد لامبراطورهِ انهُ لا بدَّ من محاربة الصرب اذا اريد ان تبقى المجر متحدة بالنمسا . فاجابهُ الامبراطور انهُ لا بدَّ لهُ اولاً من الوقوف على رأي المانيا . فارسلت النمسا تطلب رأي المانيا ولكن الامبراطور ولهلم كان قد ذهب الى نروج ولا بدَّ من تأخير الجواب وفي السادس من يوليو جاء الجواب لامبراطور النمسا ان امبراطور المانيا مستعد شخصيًّا ان يؤيد النمسا ولكن لا بدَّ لهُ من ان يستشير وزير الامبراطورية . وفي السابع من يوليو عاد رسول النمسا الكونت هويدس من المانيا

مؤكداً انها تحارب مع النمسا سواء كانت الحرب صغيرة ام كبيرة وانها تشير على النمسا ان تهاجم السرب حالاً

واجتمع وزراء النمسا والمجر في ٧ يوليو ووافقوا كلهم ما عدا الكونت تسزا وزير المجر على مناجزة السرب وهم يعلمون ان ذلك قد يؤدي الى حرب عمومية لانهم وثقوا حينئذ ان المانيا تؤيدهم تأييداً مطلقاً من غير قيد. اما الكونت تسزا فقال ان اثارة هذه الحرب يحرج موقف النمسا والمجر امام دول الارض وفوق ذلك فهو غير واثق ان الفوز يكون للحالفة الثلاثة في حرب اوربية

وفي الثامن من يوليو تقرر ارسال البلاغ النهائي الى السرب في ٢٢ يوليو وطُلب من كنراد ان يستعد لاحتلال السرب معا كان جوابها للبلاغ . وطُلب منهُ ومن وزير الحربية ان يذهبا بالاجازة حالاً اخفاء للحقيقة

وكان كنراد يظن ان تضامن المانيا مع النمسا والمجر كافٍ لمنع الحرب . وكان ملتكي يثق بالجيش الالماني ثقة كبيرة و يعتقد ان ايطاليا لا تنفصل عن الحالفة الثلاثة واذا لم تفعل فالمرجح ان الفوز يبقى للمانيا . وقبل التعبئة بيوم بلغ الامبراطور وللم ان فرنسا قد تبقى على الحياد فالتفت الى ملتكي وقال لهُ اذاً سيكون زحفنا كلهُ شرقاً فقال ملتكي لقد وضعنا خطة الزحف ولا يمكن تغييرها فقال لهُ الامبراطور ان عملك ما كان يجب بمثل هذا الجواب

وسُلم البلاغ النهائي للسرب بعد ظهر الثالث والعشرين من يوليو وتوالت الحوادث على النمط التالي

٢٣ يوليو أُرسل البلاغ النهائي الى السرب

٢٥ « امرت السرب بالتعبئة العامة

٢٦ « امرت النمسا بالتعبئة الجزئية

٢٨ « اعلنت النمسا الحرب على السرب

٣١ « امرت روسيا بالتعبئة العامة وامرت النمسا بالتعبئة واعلنت المانيا بان الحرب مع روسيا على الابواب

١ اغسطس امرت المانيا بالتعبئة العامة

٣ « بعثت المانيا بلاغاً نهائياً الى بلجكا و بدأت المناوشات بين المانيا وفرنسا

٣ اغسطس رفضت بلجكا بلاغ المانيا واعلنت المانيا الحرب على فرنسا وامرت بريطانيا بالتعبئة العامة واعلنت ايطاليا حيادها

٤ « اعلنت بريطانيا الحرب على المانيا واعلنت المانيا الحرب على بلجكا

٥ « اعلنت النمسا الحرب على روسيا

وكان غرض كنراد ان تكون الحرب محصورة في الصرب حتى يقضي عليها حالاً فترى دول اوربا انهُ قضي الامر فلا يبقى محل لاعتراضها لانهُ لم يكن للنمسا رغبة في حرب عامة ولذلك لم يفعل شيئاً لحمل روسيا على الحرب . اما المانيا فلم يكن من غرضها حصر الحرب في الصرب بل كان غرضها قهر فرنسا وكان ملتكي يحسب ان يتم الفوز على فرنسا قبلما تتم روسيا تعبئتها وزحفها فلا يبقى لها سبيل للزحف و يرى ان المانيا لا تستطيع ان تثير حرباً عمومية ما لم تقنع شعبها بلزوم ذلك وهذا الاقناع لا يقع الاَّ اذا ثبتت الحرب بين النمسا وروسيا فتضطر المانيا حينئذٍ ان تدافع عن حليفتها. ولما رأى ان النمسا مترددة عزم على انهاضها للعمل . فارسل الملحقُ الحربي النمسوي في برلين الى كنراد في ٣٠ يوليو بعدما قابل ملتكي تلغرافاً يقول فيهِ

ان تعبئة روسيا لا توجب التعبئة هنا وانما تجب التعبئة متى ثبتت الحرب بين النمسا وروسيا ولذلك لا تعلن المانيا الحرب على روسيا بل تنتظر هجوم روسيا

فارسل كنراد تلغرافاً الى ملتكي ذلك اليوم يقول فيهِ

اننا لا نعلن الحرب على روسيا ولا نشرع فيها

فاجابهُ اليهِ ملتكي في الليل يقول

لا تزال التعبئة في روسيا مضطردة فيجب على النمسا ان تزحف حالاً على روسيا وستزحف المانيا و يمكن ابقاء ايطاليا في الحالفة اذا كوفئت

وتوسَّع الملحق الحربي في هذا الموضوع فاجابهُ الى كنراد يقول ان ملتكي يحسب الموقف خطراً اذا كانت النمسا لا تزحف حالاً على روسيا فان روسيا عبأت جيشها فصار من الواجب على النمسا ان تقابلها بالمثل وهذا يوجب على المانيا ان تنصر النمسا . ثم يمكن الاتفاق مع ايطاليا بمكافأتها مكافأة شريفة لكي تبقى في الحالفة الثلاثية ولا داعي لارسال جيش الى الحدود الايطالية وقد رفضت انكلترا الوسائل التي كونت لحفظ السلم . ولابد للنمسا من الاشتراك في الحرب الاوربية لان في هذا الاشتراك رجاءها الاخير . والمانيا معنا من غير قيد ولا شرط

وعرض كنراد هذه التلغرافات على مجلس من ساسة النمسا صباح ٣١ يوليو فوافقوا عليها وطلب من الامبراطور ان يأمر بالتعبئة العامة الاَّ ان ايطاليا بعثت التلغراف التالي وهو:

من حيث ان المحالفة الثلاثية هي محالفة دفاعية . ومن حيث ان الوزارة النمسوية اثارت حربًا اوربية بعاملتها العنيفة للصرب وفوق ذلك لم تستشر الحكومة الايطالية في ذلك قبل حدوثه فايطاليا غير مضطرة الى الاشتراك في هذه الحرب

وصدر الامر بالتعبئة العامة في النمسا ظهر الحادي والثلاثين من يوليو وجاءت الاخبار الساعة الرابعة والدقيقة ٤٥ ان المانيا اعلنت ان الحرب على روسيا دنت . وبقي ملتكي يحسب ان قتل النمسا ليس فيه الشدة اللازمة فابرق الى كنراد تلك الليلة يقول اتركنا النمسا في المأزق . فأسقط في يد كنراد وكتب الى ملتكي تفصيلاً سهبًا شرح فيه سبب تمهل النمسا واكد له انها لا تخل بمعاهداتها

وظهر للنمسا حينئذٍ ان الامور لم تأتِ على مرامها فان ايطاليا تخلت عنها وقد تُفذ خطة العداء و بلغاريا ابت مناوأة الصرب ورومانيا باتت كن يحاول الحرب . وان الحرب ستكون عامة . واوجس امبراطور النمسا شرًّا واعرب عن ذلك بقوله اذا كان لابدَّ من القضاء على بلادنا فلتمت رجالاً

وفي الخامس من اغسطس كتب ملتكي الى كنراد مطمئنًا وصول كتابه اليه وشكره شكراً جزيلاً بقوله

« لم اكن في حاجة الى ما اكدتهُ لي ايها الاخ العزيز وهو ان النمسا لا تخون عهودها انهُ لاسهل عليَّ ان ارتاب في الله من ان ارتاب في صدق اليمين التي حلفناها بعضنا لبعض. ان دخولنا البلجيك فظيع بلا شك ولكننا نحارب لاجل حياتنا وكل من يقف في طريقنا يجب ان يتحمل نتيجة عمله . ان هذه الحرب قد نخسر بها اسطولنا ولكن انتهاء الحرب في البر . ان الايطاليين لا يحتمل ان تبلغ منهم الدناءة حتى يطعنوكم من ورائكم . دعوا البلغار تهاجم الصرب وليتهش بعضهم بعضاً . امامنا الآن غرض واحد اطرحوا الروس اصحاب الوهق في المستنقعات وغرِّ قوم

وفي التاسع من اغسطس اكد ملتكي لكنراد انهُ بُذلت كل الوسائل لابقاء ايطاليا على الحياد فلم تفلح فانها تهمة قاصمة الالتهام وتأبى ان يصرفها احد عن عزمها

ثم سار كلٌّ من ملتكي وكنراد الى ميدان القتال . اما كنراد فبقي في رآسة اركان الحرب الى نهايتها واما ملتكي فلم يبقَ فيها الاَّ شهراً وايامًا ثم عاد الى المانيا مريضًا

منهوك القوى ومات فيها . والظاهر ان ضميرهُ نخسهُ قبل وفاتهِ فانهُ كتب في ٩ سبتمبر ان الامور سائرة من رديء الى اردأ فالمعارك شرقي باريس ستكون نتيجتها علينا . ما اشد الفرق بين الاحوال الآن وما كانت عليهِ حينما شرعنا في الحرب والنصر حليفنا . سنضطر ان نوفي ما اتلفناهُ

مات ملتكي قبلما رأى اندحار الجيش الالماني اما كنراد فرأى تمزق بلاده واندحار جيشها انتهى باختصار كثير

ومما يجري هذا المجرى ما جاء في مجلة دنماركية وهو ان الجراح الدنماركي الشهير الاستاذ توركلد روفستج جاء برلين في ابريل سنة ١٩١٤ للاشتراك في المؤتمر الطبي فجعل الذين يعرفهم من الاطباء يأخذونهُ جانباً الواحد بعد الآخر ويكلمونهُ مظهرين حبهم للدنمارك وان المانيا عازمة ان ترد اليها شمال شلزوغ . وكان لهُ صديق في المانيا وهو جنرال من اصل دنماركي فمضى اليهِ وقال لهُ هل نحن قادمون على حرب . فبهت الجنرال وقال نعم ومن اخبرك بذلك فقصَّ عليهِ ما سمعهُ من الاطباء . فقال نعم وقد طُلب من الاطباء ان يتوددوا الى رصفائهم من اطباء الدنمارك وان تبذل كل الوسائل لاكتساب صداقة الدنمارك حتى تبقى على الحياد وقت الحرب ان لم تشترك مع المانيا فيها فسألهُ الجراح عن السبب الذي يحمل المانيا على الحرب فاجابهُ ان الضرورة تدعو الى ذلك فان الدولة الروسية قررت انشاء سكة حديد حربية في بولونيا ومتى تمت هذه السكة بعد سنة او سنتين لم يبقَ لالمانيا امل بالفوز اذا حاربتها روسيا وفرنسا لانها تهاجَم حينئذٍ من جهتين . وبغير هذه السكة لا تستطيع روسيا ان تزحف بجيوشها في اقلَّ من شهرين فتكون قد قضينا على فرنسا ثم نعود الى روسيا وندحرها ولذلك لا بدَّ لنا من ان نشهر الحرب عليها وعلى فرنسا بعد شهرين من الزمان

وعاد الاستاذ روفستج الى برلين في شهر يونيو وسأل صديقهُ الجنرال كيف ان الحرب لم تعلن كما انبأهُ قبلاً فقال لهُ ان رؤساء اركان الحرب لقيت من الامبراطور مقاومة لرأيها لم تكن تنتظرها ولكنها بإذالة جهدها لاقناعهِ والمرجح ان تشهر الحرب بعد وقت قصير . انتهى وهذا يطابق رواية نشرناها في المقتطف في اوائل الحرب وفيها ان الامبراطور قال لولي عهدهِ اذا خرجت من هذه الحرب منصوراً حفظ لي التاريخ اسم رجل مخرب سفاك الدماء كائيلا واذا دارت الدائرة عليَّ فانك لا تملك بعدي

اسلوب المؤرخين العرب

في كتابة التاريخ

٣ — الكتابة حول السنين

قلنا إن بعض المؤرخين جعلوا الكلام في ابحاثهم يدور على الحادثات والملوك واوردنا الامثلة العديدة على ذلك ولا يسعنا هنا الا ان نؤكد ان ثمة كثيرة من المؤرخين العرب اخذت السنين محور البحث في الفتوحات والوقائع والفتن الشهيرة فابن خلدون صاحب المقدمة المعروفة رتب تاريخهُ على السنوات وقد وصفهُ حاجي خليفة بما يأتي « . . . وهو كبير عظيم النفع والفائدة رُتب على السنوات . رُوي انهُ كان في وقعة تيمور قاضياً بحلب فحلَّ في قبضتهِ اسيراً صغيراً فكان يصاحبهُ وسافر معهُ الى سمرقند فقال لهُ يوماً لي تاريخٌ كبير جمعت فيهِ الوقائع بأمرها خلفتهُ بمصر وسيظفر بهِ المجنون يشير الى برقوق . فقال لهُ هل يمكن تلافي هذا الامر واستخلاص الكتاب فاستأذنهُ في ان يعود الى مصر ليجيءَ بهِ فاذن لهُ ولعلَّ ذلك الكتاب هو (العبر وديوان المبتدا والخبر في ايام العرب والروم والبربر) وقد اشتهر نحو ثلثهِ بالمقدمة ودون مفرداً » [1]

كذلك فعل الطبري فانهُ رتب كلامهُ في التاريخ على السنوات وقد انتهى في كتابهِ الى سنة ٣٠٩ هجرية . وتداولت الايدي هذا المؤلف المعدود من الثقات فترجم الى الفارسية والتركية وقد اسهب حاجي خليفة ايضاً في وصفهِ فقال « وهو من التواريخ المشهورة الجامعة لاخبار العالم ابتدأ من اول الخليقة وانتهى الى سنة ٣٠٩ وسماهُ تاريخ الامم والملوك . وذكر ابن الجوزي انهُ بسط الكلام في الوقائع بسطاً وجعلهُ مجلدات وان المشهور المتداول مختصر من الكبير وانهُ هو العمدة في هذا الفن . وذكر ابن السبكي في طبقاتهِ « انَّ ابن جرير قال لاصحابهِ هل تنشطون لتاريخ العالم من آدم الى وقتنا هذا » قالوا كم قدرهُ فذكر انهُ ثلاثون الف ورقة فقالوا « هذا مما يفنى الاعمار قبل اتمامهِ فقال « إنا لله ماتت الهمم » فاختصرهُ في نحو ما اختصر التفسير . ونقلهُ ابو علي محمد البلعمي من وزراء السامانية الى الفارسية اولهُ « الحمد لله العلي الاعلى » ذكر فيهِ ان منصور بن

(١) حاجي خليفة ج ٢ ص ١٢٤ وج ٤ ص ١٨٣

نوح السامانيّ امر بترجمته لامينه وخاصته أبي الحسن سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة ونقله غيره الى التركية وهو المتداول بين عوام الروم والذيل عليه لابي محمد عبد الله بن محمد الفرغاني وعُرف هذا الذيل بالصلة »[1]

ومن المؤلفين المشهورين الذين اوردوا الحادثات حسب السنين الملك ابو الفدا صاحب حماه فكتابه « المختصر في اخبار البشر » هو ملخص كتاب الكامل لابن الاثير الاّ انهُ رتب الحادثات فيهِ حسب السنين وقد اختصر هذا الكتاب وذيل عليهِ ابن الوردي المصري فقال في سبب تلخيصهِ « الى رأيت المختصر في اخبار البشر تأليف مولانا السلطان الملك المؤيد صاحب حماه من الكتب التي لا يسع جهلها فانهُ اختارهُ من التواريخ التي لا تجتمع الاّ للملوك فاختصرتهُ في نحو ثلثيهِ فكفل بوجازة اللفظ وكمال المعنى ونمقتهُ بياناً وألحقتهُ اعياناً واودعتهُ شيئاً من نظمي ونثري وحذفت منهُ ما حذفهُ أسلم وقلت في اول ما زدتهُ «قلت »وفي آخره «والله اعلم» وسأذيلهُ من سنة تسع وسبعمائة التي وقف المؤلف عليها . . . . وسميتهُ «تتمة المختصر في اخبار البشر» واعلم ان التواريخ القديمة في هذا الكتاب مؤلفة على مقدمة وخمسة فصول والتواريخ الاسلامية مرتبة على السنين[2]»

وقد اسهب حاجي خليفه في وصف هذا الكتاب فقال ان « المختصر في اخبار البشر في مجلدين للملك المؤيد اسماعيل بن علي الأيوبي المعروف بصاحب حماه . توفي سنة ٧٣٢ هـ اولهُ « الحمد لله الذي حكم على الأعمار بالآجال الخ » اورد فيهِ شيئاً من التواريخ القديمة والاسلامية ليكون تذكرةً تغنيهِ عن مراجعة الكتب المطوّلة واختصر من الكامل وغيرهِ من نحو عشرين مجلداً ورتب التواريخ القديمة على مقدمة وخمسة فصول والتواريخ الاسلامية على السنين حسب تأليف الكامل ، المقدمة تتضمن ثلاثة امور . الاول في كثرة الاختلاف بين المؤرخين . الثاني في معرفة نسخ التوراة . الثالث في معرفة جدول اقترحهُ يتضمن ما بين التواريخ من المدد . الفصل الاول في ذكر الانبياء وحكّام بني اسرائيل والثاني في ذكر ملوك الفرس والثالث في ذكر الفراعنة وغيرهم والرابع في ملوك العرب والخامس في ذكر ام العالم وانتهى فيهِ الى سنة ٧٢١ هـ[3]»فترى ان حاجي خليفة ألمّ بجميع المواضيع التي بحث فيها ابو الفداء

ومن الكتب التاريخية المرتبة عموماً حسب السنين كتاب بدائع الزهور في وقائع

(١) حاجي خليفه ج ٣ ص ١٣٦ — ١٣٧

(٢) مقدمة ابن الوردي ص ٢ — ٣ (٣) حاجي خليفة ج ٥ ص ٤٤٧ — ٨ — ٩

الدهور المطبوع بالمطبعة الكبرى الاميرية ببولاق مصر سنة ١٣١٨ هـ وهو في اربعة مجلدات وقد انتهى فيه الى سنة ١٥٢٢ م

٤ — الكتابة حول المدن

وقد اخذت طائفة كبيرة من مشاهير المؤرخين العرب المدن الكبيرة قاعدة لبحثها فابن عساكر صاحب تاريخ دمشق ذكر اخبار دمشق والذين نبغوا من ابنائها وكل من حل فيها سواء كان نبيًّا او خليفة او عالمًا او شاعرًا او فقيهًا او لغويًّا او اخباريًّا او نسابًا ولم يترك حكاية مستملحة او حكمة رائعة او شعرًا لطيفًا له علاقة بكل من وطئت قدماه دمشق من المعروفين الا ذكرها ولصّها على قارئيه . وهنا لا يسعنا الا ان نقول ان ابن عساكر وامثاله ليسوا الا من الجامعين الذين يجمعون حرفيًّا كل ما يقع بين ايديهم من الحقائق في الموضوع الذي يكتبون فيه من غير ان يكون بينها رابطة عقلية منطقية وثيقة

اما حاجي خليفة فيجب بهذا المصنف لابن عساكر فيذكر انه يقع في ثمانين مجلداً ويشبهه تاريخ بغداد لابن الخطيب ونعترف نحن بهذه المناسبة والاسى يملأ قلبنا حزنًا اننا لم نشاهد لتاريخ بغداد من اثر ولعله في احدى المكاتب الاوروبية او في احدى الخزانات الشريفة التي لا يمكن لاحد ان يناله منها سوى العث والحشرات الفتاكة بالكتب . وقد ذيّله بعضهم واختصره آخرون وهاك ما يذكره حاجي خليفه بهذا الصدد « تواريخ دمشق اعظمها تاريخ الامام الحافظ ابي الحسن علي بن حسن المعروف بابن عساكر الدمشقي المتوفى سنة ٥٧١ هـ وهو في ثمانين مجلداً ذكر تراجم الاعيان والرواة ومروياتهم على نسق تاريخ بغداد للخطيب لكنه اعظم منه حجمًا . ولهذا التاريخ اذيال منها ذيل ولد المصنف القاسم ولم يكمله وذيل صدر الدين البكري وذيل عمر بن الحاجب . وله مختصرات ايضًا منها ما اختصره الامام ابو شامة عبد الرحمن بن اسماعيل الدمشقي المقري المتوفى سنة ٦٦٥ وهو نسختان كبرى في خمسة عشر مجلداً وصغرى . ومن اختصر تاريخ ابن عساكر القاضي جمال الدين محمد بن مكرم الانصاري صاحب لسان العرب المتوفى سنة ٧١١ هـ تركه في نحو ربعه والشيخ بدر الدين محمود بن احمد العيني المتوفى سنة ٨٥٥ هـ انتقى منه جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي المتوفى سنة ٩١١ وسماه « نخبة المذاكر والمنتقى من تاريخ ابن عساكر » [1]

(١) حاجي خليفة ج ٢ — ص ١٣٠ — ١٣١

وقد حاز هذا التاريخ اعجاب كل من اطلع عليهِ من العلماء السالفين اذ يظهر لنا قوة الجلد التي امتاز بها ابن عساكر لجمع كتابهُ كما اشرنا قبلاً في ثمانين مجلداً . وروى ابن خلكان حديثاً جرى لهُ مع استاذهِ المنذري عن هذا التاريخ يثبت تقدير العلماء لهُ . يُلخص فيما يأتي « قال لي شيخنا الحافظ العلامة زكي الدين ابو محمد عبد العظيم المنذري حافظ مصر وقد جرى ذكر هذا التاريخ واخرج لي منهُ مجلداً وطال الحديث في امرهِ واستعظامهِ « ما اظن هذا الرجل الاَّ عزم على وضع هذا التاريخ من يوم عقل على نفسهِ وشرع في الجمع من ذلك الوقت والاَّ فالعمر يقصر ان يجمع فيهِ الانسان مثل هذا الكتاب بعد الاشتغال والتنبيه » ولقد قال الحق ومن وقف عليهِ عرف حقيقة هذا القول ومتى يتسع للانسان الوقت حتى يضع مثلهُ وهذا الذي ظهر هو الذي اختارهُ وما صحَّ لهُ هذا الاَّ بعد مسودات ما يكاد ينضبط حصرها ولهُ غيره تواليف حسنة واجزاء ممتعة ولهُ شعر لا بأس بهِ »[1]

وللامام ابي الوليد محمد بن عبد الكريم الازرقي كتاب « تواريخ مكة » جرى بهِ على الخطة التي امتهدنا في وصفها . ومختصرهُ معروف « بزبدة الاعمال »

اما المقريزي مؤلف كتاب « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » فوصف كل ما عثر عليهِ من الآثار كالمساجد والقصور والخطط والمباني الشريفة وتطرق خلال ذلك الى البحث عمن شادوها وما قيل فيها من الحكم والاشعار واللطائف . وترى ان اسلوبهُ سهل منسجم خال من التعقيد وقد لاق مصاعب جمة في جمع الحقائق وتدوينها . ويمتاز بالتدقيق الاَّ انهُ لم ينسب المادة التي هي بها الى مآخذها ومراجعها الاصلية وهاك مواضيع الكتاب حسبما ذكرها . « . . . وكانت مصر هي مسقط رأسي وملعب ابرابي ومجمع ناسي ومغنى عشيرتي . . . لا زلت منذ شذوت العلم . . . ارغب في معرفة اخبارها وأحب الاشراف على الاغتراف من آبارها واهوى مسائلة الركبان عن سكان ديارها فتبدت يخطي في الاعوام الكثيرة وجمعت من ذلك فوائد قلَّ ما يجمعها كتاب او يحويها لعزتها وغرابتها . . . الاَّ انها ليست بمرتبة على مثال ولا مهذبة بطريقة . . . فأردت ان أُلخص منها انباء ما بديار مصر من الآثار الباقية عن الامم الماضية والقرون الخالية وما بقي بفسطاط مصر من المعاهد غير ما كاد يُفنيهِ البلى والقدم واذكر ما بمدينة القاهرة من آثار القصور الزاهرة وما اشتملت عليهِ من الخطط والاصقاع وحوتهُ من المباني البديعة الاوضاع

(١) ابن خلكان طبعة باريس سنة ١٨٣٨ ص ٤٦٣ — ٤٦٤

مع التعريف بحال من اسس ذلك من اعيان الاماثل والتنويه بذكر الذي شادها من سراة الاعاظم والافاضل واثر خلال ذلك نكتاً لطيفة وحكماً بديعة شريفة من غير إطالة ولا اكثار ولا اجحاف مخل بالغرض ولا اختصار بل وسط بين الطرفين فلذا اسميته (كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار) » [1]

ورتب لسان الدين الخطيب الكلام في مصنفه « الاحاطة في اخبار غرناطة » على غرناطة الجميلة فكتب عن جغرافيتها واحوال اجتماعها وملوكها واسرائها وطبقاتها وعلمائها حتى ذكر اهل التصوف فيها وتخلل ابحاثه هذه كلها الاشعار الكثيرة والاخبار الطريفة ووصف الترتيب الذي جرى عليه والمواضيع التي طرقها فقال « والترتيب الذي انتهت اليه جبلتي وصدقت في اختياره مخيلتي هو أني ذكرت البلدة حاطها الله منبهاً منها على قديمها وطيب هوائها وأديمها واشرق علاها واشرف حلاها ومن سكنها وتولاها واحوال ناسها ومن دال بها من ضروب القبائل واجناسها . . .

«وذكرت الاسماء على الحروف المبوبة وفصلت اجناسهم بالتراجم المرتبة فذكرت الملوك والامراء ثم الاعيان والكبراء ثم الفضلاء ثم القضاة والمقرئين والعلماء ثم المحدثين والفقهاء وسائر الطلبة النجباء ثم الكتاب والشعراء ثم العمال والامراء ثم الزهاد والصلحاء والصوفية والفقراء . . . لينتظم الجميع انتظام السلك وكل طبقة تنقسم الى من يسكن المدينة بحكم الاصالة والاستقرار او طرأ عليها مما يجاورها من الاقطار او خاض اليها وهو الغريب أثناج البحار أو ألمّ بها ولو ساعة من نهار فان كثرت الاسماء نوعت وتوسعت وإن قلّت اختصرت وجمعت

« وآثرت ترتيب الحروف في الاسماء ، ثم في الاجداد والآباء ؛ لشذوذ الوفيات والمواليد التي يرتبها الزمان عن الاستقصاء وذهبت الى ان اذكر الرجل ونسبهُ واصلهُ وحسبهُ ومولدهُ وبلدهُ ومذهبهُ واتخير لهُ النمّ الذي دعا الى ذكرهِ وجلبهِ وشيخهِ إن كان ممن قيد علماً او كتبهُ ، ومآثرهُ إن كان ممن وصل الفضل سببهُ ، وشعرهُ إن كان شاعراً ، أو ادبهُ وتصانيفهُ إن كان ممن الف في فن او هذبهُ ، ومهنتهُ إن كان ممن امدهُ الدهر شيئاً وسلبهُ ثم وفاتهُ ومنقلبهُ اذا استرجع اليه من منحهُ ما وهبهُ

« وجعلت هذا الكتاب قسمين ومشتملاً على فنين : القسم الاول : في حلى المعاهد والاماكن والمنازل والمساكن ، القسم الثاني في حال الزائر والقاطن والمتحرك والساكن» [1]

(١) مقدمة المقريزي ص ٢ — ٣

ومن الذين جعلوا المدن مركزاً لابحاثهم صالح بن يحيى المؤرخ صاحب كتاب تاريخ بيروت فسطر فيه آثارها وفتوحها وما جرى بها من القرن السادس الى القرن التاسع للهجرة ونفع اهمية هذا التأليف في امرين الاول اهتمام المؤلف بما شاهد من الحوادث في أيامه والثاني تجرده عن المبالغة والمدح والاطناب . ويهب صالح في ذكر بني مختر امراء غربي لبنان و بيروت . وقد سعى بنشره وتهذيب عبارته وتعليق حواشيه وفهارسه الاب لويس شيخو اليسوعي وطبع في المطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة ١٨٩٨ . وانا لنأسف جد الاسف لتهذيب عبارة الكتاب وكنا نود لو ينشر على علاته فنتذوق اسلوب الكاتب ونفهم روحه الساذجة في ذلك العصر . ثم لو هذبت عبارته وطبعت على الصفحات المقابلة للاصل لكانت الفائدة التاريخية اتم وأكمل فلا يخلط المطالع المدقق بين انشاء الاب شيخو وانشاء صالح بن يحيى

اما طريقة المؤلف فهي كما يقول الاب شيخو « ساذجة متبادرة الى الفهم لم يتحرَّ بها سوى افادة آله الشرفاء ليبقى لهم اثراً يفتخر به الخلف بعد السلف . وجعل لتاريخه ابواباً وتقاسيم يتمكن بها القارئ من احراز فوائده الشتى وكثيراً ما يلخص في اول الفصول ما سبق ذكره تسهيلاً للمطالع » (١)

والحق ان تاريخ بن يحيى مع جميع ما نُقل عن تاريخ حمزة بن سباط « اوقفنا على احوال بيروت الى آخر عهد الملوك المصريين و بداءة دولة عثمان » وهاك ما يقوله صالح معترفاً بالاعتدال والتجرد عن المصلحة فيما كتب « يقول العبد الفقير الى الله تعالى صالح بن يحيى بن صالح بن الحسين امير الغرب لطف الله به من ذرية بحتر بن علي امير الغرب ببيروت جمعت هذه التذكرة معتذراً الى الواقف عليها من ركة اللفظ ومواقع الخطاء بعد الاجتهاد على صحة النقل وحذف الفضول لأني لا اريد أن اكون مغالياً في السلف فاصفهم بأزيد مما فيهم او حسوداً فانتهم بما ليس فيهم . وقد جعلت هذه التذكرة وقفاً على البيت لا تخرج عن الخلف ولا تعار لغيرهم ... جمعت ذلك بارضح برهان واصدق دليل ولست فيه بكابط شوا » (٢)

دار المعلمين ببغداد انيس زكريا النصولي

---

(١) مقدمة الاب شيخو في تاريخ بيروت ص ٤

(٢) مقدمة صالح بن يحيى ص ٦ — ٧ وراجع ص ٢٧٠

رضا خان شاه ايران

كتب ڤاسوديو مقالاً احد محاميه كلكتا في مجلة التاريخ الجاري الاميركية الصادرة في دسمبر الماضي مقالة وجيزة عن الشاه رضا خان قبل ان جلس على عرش ايران فاعتمدنا عليها في اكثر مما يلي لاننا رأينا فيها من الحقائق التاريخية والعمرانية ما نودّ اثباتهُ

ان رضا خان اقدر رجل قام في ايران في الخمسين سنة الاخيرة . ولد في ولاية مزندران سنة ١٨٧٧ وارتقى بجدهِ وصدق عزيمتهِ كما ارتقى جنكيز خان وتيمور لنك واشباههما من نوابغ العصور . انتظم في سلك الجيش وعمرهُ ١٦ سنة فلم يكد يبلغ السادسة والاربعين حتى صار سرداراً للجيش كلهِ . وبلغ من شأنهِ انهُ صارت لهُ حينئذٍ الكلمة العليا في ايران فنصب صدراً وخلع الشاه احمد قاجار ونادى بالجمهورية وصار رئيساً لها ثم جلس على عرش ايران في ١٣ دسمبر سنة ١٩٢٥ بقرار مجلسها الاعلى ونودي بابنهِ ولياً لعهدهِ فهو الرجل الذي انتظرتهُ ايران من سنين كثيرة ليصلح شؤونها ويعيد اليها مجدها السابق ويسير بها في سبيل الحرية والفخار

فلما حدث انقلاب عظيم في بلاد من البلدان الأ سبقتهُ شوائب كثيرة وعيوب فاضحة ضاقت بها الصدور فطلبت الانفراج وهذا ما حدث في ايران . ففي سنة ١٩٠١ نالت شركة البترول الانكليزية الفارسية حق استخراج البترول من مصادرهِ في كل الجانب الجنوبي من بلاد ايران فاغتاظت روسيا من ذلك وجعلت تعتدي على شمال البلاد ودامت المناظرة بينها وبين انكلترا الى سنة ١٩٠٧ فاتفقتا حينئذٍ على ان يكون شمال ايران منطقة نفوذ روسيا وجنوبها منطقة نفوذ انكلترا فاقتسمتا البلاد اقتصادياً وابقتا لايران شقة ضيقة بينهما

ولقد كان من المحتمل ان تقتسم روسيا وانكلترا بلاد ايران كلها وتمتلكاها لو لم تقع الحرب الاوربية سنة ١٩١٤ فانهُ كان من اول نتائجها ان زالت الحكومة القيصرية سنة ١٩١٧ فانصرفت روسيا عن الاشتراك في السياسة الاوربية سياسة امتلاك البلدان ولكن خلا الجو لانكلترا فبعثت بجنودها الى ايران سنة ١٩١٩ وطلبت من حكومتها ان توقع الاتفاق البريطاني الفارسي لكن مجلس ايران رفض ذلك . فلم تصرّ انكلترا على طلبها لان حكومة الروس البلشفية كانت قد تغلّبت على متاوئيها دنيكن ورنغل ووصلت الى

ايران فوقعت المناظرة بينها وبين انكلترا . وكان رضا خان قد صار من الضباط العظام في فرقة القوزاق وهي اميل فرق الجيش الايراني فتمكن من بلوغ ظهران وحمايتها وقلّد السيد ضياء الدين الصدارة العظمى لانهُ وجدهُ حرًّا متنوراً . ولكن ضياء الدين طلب المساعدة المالية من انكلترا فاغتاظ منهُ رضا خان وكان قد صار سردارًا للجيش واضطرهُ الى نقل الجندرمة من وزارة الداخلية الى الحربية . فرأى ضياء الدين انهُ لم يبقَ لهُ حول ولا طول ففرَّ الى بغداد واحتمى بانكلترا . فتقلد رضا خان رآسة الوزارة وبقي سردارًا للجيش . وكان من امره انهُ اوقع بين الروس والانكليز وهو اميل الى روسيا منهُ الى انكلترا لان روسيا الفت كل الامتيازات التي نالها الروس من ايران ووعدت بان لا تستغل البلاد ولا تجتاح شيئًا من املاكها . وحاوى الروسُ الايرانيين وبذلوا جهدهم في مساعدتهم . فلم يستطع الايرانيون ان يقاضوا شعبًا يتودد اليهم . وهناك اسباب اخرى تجعل رضا خان يفضل الروس على غيرهم فانهُ يحسن الروسية وقد تعلم علومهُ الحربية من الروس . ولايران تجارة واسعة مع روسيا من صادر ووارد ولا تستطيع ان توسع تجارتها مع بريطانيا لان ليس فيها سكك حديدية

وقد عمل رضا خان اعمالاً عظيمة في المدة القصيرة التي كانت الادارة فيها في يدهِ فالجيش الايراني كان معلومهُ من الروس والبريطانيين وغيرهم من الاوربيين فصرف كلَّ هؤلاء ولم يبقِ في الجيش احداً من الاجانب . والجيش مؤلف الآن من ست فرق في كل فرقة ٣٦ الفًا فمجموعهُ اكثر من مائتي الف . ووزع هذه الفرق في انحاء البلاد فاستتبَّ الامن فيها بعد ان كانت دعائمها متزعزعة . وتمكن من جعل البريطانيين يخلون جنوب ايران ومن اخضاع الاكراد الذين ثاروا بزعامة اسمعيل سمتكو واذلَّ قبائل اللور على حدود العراق وقضى على غيرهم من قبائل الجنوب بدفع الجزية وكانوا قد ابطلوا دفعها من زمن واضطرَّ رئيس عربستان شيخ المحمرة الى الاعتراف بسيادة ايران وبالاخلصار ضمَّ اجزاء ايران بعضها الى بعض بعد ان كادت تتصدع

وهو الآن على وفاق تام مع تركيا وافغانستان وقد اصلح دواوين الحكومة ونشر الامن في البلاد وعامل الجميع بالانصاف . وكان البهائيون مضطهدين قبل ايامهِ فزال الاضطهاد وهم يعاملون الآن بالاكرام مثل غيرهم من الرعايا وهذا شأن اليهود ايضًا والزروستريين . ونشط معامل القطن في يزد وهي للزروستريين وامر ان يلبس كل رجال الحكومة من منسوجات البلاد . وبذل همتهُ في احياء صناعة السجاد والحرير وغيرهما

من الصنائع الايرانية القديمة . ومن اهم ما هو ساع اليهِ اصلاح نظام التعليم . والشعب الايراني من ارقى الشعوب اروميةً فاذا تناول مقومات العمران الحديث الثاني ولم يعبأ بالذين يحاولون ردهُ الى القديم الباني وجرى هو والشعب التركي في هذا المضمار لم تمضِ سنون كثيرة حتى نرى في الشرق الاوسط عمرانًا زاهراً يباهَى بهِ

الشيخ مرعي صبيح

قصة مصرية

٢

اما الست رُقية واولادها فقد لحقتهم المذلة وحُرموا ما تعودوهُ من طيبات الحياة ولكنها جبلت على الشمم فلم تظهر حالها وتمكنت بالقناعة والصبر من الظهور باليسر ولم تشرك في امرها احداً سوى ابن خالتها « الحاج عزب متولي » ، وكان كحيلاً بصيراً بالعواقب ، فتمكن بالشجاعة والحيلة من استرداد عشرة افدنة من الاطيان التي تملكها رقية وضمها زوجها الى ملكهِ واخذ عزب يزرعها ويستخلص ايرادها لرُقية . وكانت لا تذكر زوجها بخير ولا شر وعنايتها منصرفة الى تعليم الولدين ما تيسر من القرآن وقواعد الحساب وتدريب البنت على تدبير المنزل . واخذ الدوّار يُقفر ويغادرهُ المقيمون بالتدريج ولم يبقَ فيهِ الاّ وسيلة الحبشية وزوجها مرجان فقد ابيا هجر سيدتهما وأغلقت المضيفة والمنظرة، وذبلت ازهار الحديقة وجف ماؤها . وكانت رقية تسمع احيانًا اصوات اجانب يذكرون اسم زوجها ويكتبون في اوراق و يتركون لها اوراقًا اخرى ثم ينصرفون فاخبرها الحاج عزب بانهم محضرون من المحكمة المختلطة وقال لها : « ان كنت شاربة من ثدي امك فاقري واجمعي عن هذا الخاسر وردهِ بالقوة الى بيتهِ الذي خرب واولادهِ الذين تيتموا في حياتهِ »

رقية : « كيف اردهُ بالقوة يا حاج عزب ! قوة ربنا فوق كل شيء »

عزب : « لكن ربنا امرنا بالسعي وترك الحبل على الغارب غلط »

رقية : « صحيح يا ابن خالتي لكن مضى زمن طويل والشيخ مرعي على حاله »

عزب : « طيب يا رقية والاوراق النازلة علينا مثل المطر من المحكمتين الاهلية والمختلطة والبنوك واخواجات ارباب الديون بالربا »

رقية : « كل الاوراق التي وصلت الى يدي سلمتها لك »

عزب : « وانا سلمتها للوكيل وناظر الزراعة فتراكمت مثل الهم على القلب ولم يرسلوها الى حضرة البك لان الوكيل نهى عن ارسالها »

رقية : « والعمل ؟ »

عزب : « ما وراء الورق الاَّ خراب الديار »

رقية : « خراب اكثر مما جرى ؟ ان كان كذلك فسافر وسلمهُ اياها يداً بيد »

عزب : « على الرأس والعين ! اعطيني عبد الرحمن لعلَّ الشيخ مرعي يرقُّ قلبهُ ويذكر اهلهُ ومنزلهُ ! لانهُ كان احب اولادهِ اليهِ »

فبكت رقية وقالت : « يا عبد الرحمن قم مع خالك عزب ! »

وفي صباح احد الايام استيقظ مرعي بك على صوت يُنبئهُ بان ضيفاً من الريف ينتظرهُ فنهض وبه اثر الخمار وفرك عينيهِ وخرج الى قاعة الاستقبال بتمطى في «بيجاما» من الحرير وامر بادخال الضيف فاستأذن عليهِ كهل وفتى فلما وقع بصر الحاج عزب عليهِ قال: «صباح الخير يا مرعي يا ابني » . فتنبه البك كأنهُ كان في حلم وقال : « مرحباً بك يا خال عزب انا والله ما عرفتك » فقال عزب مشيراً الى الفتى الذي اخذ يرتجف و يبكي : « وهذا ايضاً ألم تعرفهُ » . فارتجَّ على مرعي بهتة وقال : « يا ولد يا عبد الرحمن من جاء بك الى هنا يا ابن الخاسر ؟ » . ولم يُصب هذا العُتُل في شيء إصابتهُ في وصف نفسهِ ! فارتفع صوت الفتى بالبكاء فضمهُ الحاج عزب الى صدرهِ. ولم يلتفت مرعي الى نحافة ولدهِ وتغير ملامحهِ ورثاثة ثوبهِ ولم يسأل عن بقية اسرتهِ القديمة ولم يخطر ببالهِ واجب الضيافة وكان الكرم شيمتهُ ، بل تناول علبة « سجاير دفريس » وعرضها على الحاج عزب فرفض فقال : « ولماذا حضرتم يا خال » ؟ ولم ينتظر الجواب لانهُ خشي ان يقف اهل المنزل على حقيقتها ، فتعلم زوجتهُ الجديدة ، بزوجتهِ القديمة . فقال « خذ يا خال عزب هذا الجنيه واسبقاني الى قهوة عثمان امام جامع قيسون ربما احضر » فقبل الكهل الميعاد ورفض الجنيه وربما فطن الى الحقيقة . وقام والولد يتعثران في اذيالهما وكانت جفون الولد مبللة بالدموع فلبس مرعي ثيابهُ وخرج في اثرهما فوجد الكهل جالساً في وقار وتفكير والفتى في عمٍّ وألم فسأل عن سبب حضورهما فاخرج الكهل من «دفتيته» حزمة كبيرة من الاوراق فتناولها مرعي وفكها واخذ يقلب فيها نظرهُ فادرك انها اوراق قضائية فقال : « ما هذا يا خال عزب » وامتقع لونهُ واضطرب فكرهُ

فقال لهُ « هذه يا ابني قضايا ومحجوزات واقساط البنوك وطلبات المال واوراق الهندسة وورق نزع الملكية »

فقال مرعي : « (مزع) ملكية ؟ كفى الله الشر » !

فقال عزب : « كل شيء بيد الله »

مرعي : « ومن استلم هذه الاوراق كلها » ؟

عزب : « اهل البيت والخدم وسلموها للوكلاء والنظار »

مرعي : « والعمل يا خال عزب ؟ »

عزب : « اسأل المحامي وها أنا يا ابني احضرت اليك الاوراق وجئتك بولدك لانهُ كان يبكي طوال الايام و يطلب ان يراك . وقد حصل المراد والسلام عليكم » .

ونهض فاخرج مرعي من جيبه عشرة جنيهات ووضعها في منديل وقال لعبد الرحمن : « خذ يا ولد كسوتك » فاخذها الولد ونظر الى ابيهِ بعين جامدة كمن يتبل صدقة العدو مضطرًّا ، وافترقوا

نهض مرعي يحمل الاوراق المؤذنة بخرابهِ وقصد منزل رفيق في « درب العوالم » حيث تعاشرهُ سودانية عجوز مصابة بالصرع وهي التي كان ذلك الرقيع المأفون يصفها بانها « امرتهُ واهل بيتهِ و بيت العيلة » فلما التقى مرعي برفيق السوء وشيطان حياتهِ وجد في اجفانهِ آثار الكرى وعلى وجههِ « كابة الشوارب » وهو يحسو « فنجان مغات » ويقول « ان المغات » يجيي رميم العظام ، فاطلعهُ مرعي على الاوراق فلم يرتبك وقال « المسألة في غاية البساطة غير اننا لا نستطيع مقابلة صديقي ابي راضي بك المحامي الشهير قبل الساعة الرابعة فلنخرج نتغدى اولاً ثم نقابلهُ ونأخذ رأيهُ » . فانطلقا

كان رفيق في ذلك اليوم نادر الكلام ولا عجب فقد كان يضع خُططاً جديدة تتفق مع تغيير الحال . كان المحامي كهلاً سريع الخاطر حوشي الالفاظ فقدَّم لهُ رفيق الاوراق فادرك فوراً سوء حال الموكل الجديد ، وسأل عن سبب صدور الاحكام في غيبتهِ واهمال المعارضة في مواعيدها ، فلم يحر مرعي جواباً فقال المحامي : « إنهُ مستعد لقبول القضايا ليعمل جهده وانهُ بحاجة الى زميل مختلط ليباشر قضايا البنوك ولا داعي للاتفاق على الاتعاب حالاً ولا بأس بدفع مبلغ لحساب الرسوم والمصاريف لان معظم القضايا من اختصاص الاسكندرية » فدفع مرعي بك ما كان معهُ وقام ورفيق،ولم يكادا يخرجان حتى اسرع رفيق بالاعتذار وطلب الى مرعي ان ينتظرهُ بمحل « الحلواني المركي »

فافترقا ولم يقر رفيق بوعده ، فاحرق مرعي من السكاير ما شاء وشرب من الخمر ما ظن فيه تفريجاً للهم ، ثم عاد الى بيته بعد نصف الليل ، وحاول محادثة زوجته فنأت عنه فلاطفها فشاكسته فقبل الخصومة راضياً واضطجع حتى الصباح . . وفي الغد تراكمت طلبات الدار فسدّد بعضها وعجز عن بعض فتخرت له وجيدة واهلها وساقوه بالسنة حداد فقصد بيت رفيق فكتمت جاريته « بشرى خير » خبر وجود سيدها . فقصد بعض معامليه من المرابين واقترض مبلغاً يسد به فوهة المنزل ثم خطر بباله ان يتريض فسافر الى حلوان حيث قضى يومين ثم عاد الى المنزل في اليوم الثالث فوجد به اعلان دعوى شرعية من زوجته وجيدة تطالبه بالنفقة فملكته الدهشة والحدة فدخل عليها وخاطبها : « صحيح يا وجيدة رفعت دعوى نفقة ؟ » فاجابت بلا حياء : « أليس لي حقوق احافظ عليها مثل زوجتك الفلاحة واولادها » ؟

فسألها : « ومن اخبرك ان لي زوجة واولاداً » ؟

وجيدة : « ان رجلاً في سنك ومكانتك لا بد ان تكون له اسرة في بلده وقد اخبرني الذين زاروك في بلدك وقد رأيت ابنك وخالك منذ بضعة ايام »

فقال : « ابني وخالي ؟ »

فقالت : « لا تنكر فقد سمعت الحديث الذي دار بينكم »

فغضب مرعي وملك الغيظ زمامه فكظمه وخرج على قدميه حتى بلغ حانة « سانت جورج » فجلس يشرب لينسى الهموم التي دهمته وتمنى لو يقابل رفيقاً وهو الذي عوده الاختلاف الى تلك الحانة ، ولكن هذه الامنية لم تتحقق لانه كان في شغل منذ اطلاعه على الاوراق فقد عاد بمفرده الى مكتب ابي راضي بك واخبره انه لا يرى بأساً في اشراك محام مختلط ليجلو له غامض الاوراق الفرنسوية فخاطب الاستاذ اسكرديناكس فحضر وكان يونانياً يجيد العربية ذا عين واحدة مشهوراً بحذقه في اسرار قانون المرافعات وحسن بلائه في اجراءات التنفيذ فوضع الاوراق بين يديه بحضور رفيق وقضوا في درسها نحو ساعتين حتى تبين لهم سوء مركز الرجل وان ثمن الاطيان قد يكفي السداد ولا امل امام المحكمة المختلطة الا في التسويف ولكن النتيجة محتمة ما لم يحدث امر خارق ولا بد من توكيل محام بالاسكندرية لعله ينقذ ما يمكن انقاذه من تلك السفينة المشرفة على الغرق

اما رفيق فاوصى المحامي الاهلي خيراً وفتح باب الامل للاستاذ المختلط وانصرف

ليرسم خطتهُ الاخيرة للاجهاز على صاحبهِ وهي التفريق بينهُ وبين وجيده فتحصل على مبلغ حسن ثم يسعى بينها وبين امها واخيها فتخرجهن من بيتها فتحتاج الى من تركن اليهِ فلا تجد سواهُ فيتزوج منها بشروط اولها تنازلها عن نصف الدار ضماناً لحسن العشرة في المستقبل، فبادر الى وجيده وامها في الفترة التي كان مرعي في اثنائها رهين موعدهِ بالحانة واطلعها على حقيقة حال الزوج ونصح لها برفع دعوى النفقة وقادها الى محام شرعي فوكلتهُ الزوجة. ثم ان رفيقاً ايقن باضطرار مرعي للمال واراد ان تكون لهُ يد في الصفقة الاخيرة فسعى حتى اهتدى الى احد المشايخ الذين لا يأنفون الجمع بين التقوى « والعشرين في المائة » ورغبهُ في اقراض مرعي حتى قبل فابقاهُ للفرصة المناسبة . وكان رفيق يختلي في منزلهِ ويأمر « بشرى خير » ان تكتم وجودهُ ولما علم ان ثار خطة الطلاق قد نضجت قصد مرعي بك فلما رآهُ ذلك الاحمق المغرور استغاث بهِ وشكا لهُ فعل وجيده فاصغى اليهِ كمن يسمع جديداً وقال لهُ ان حلّ المسألة بالصلح اسلم عاقبة ما دام لم يعقب منها ولداً

مرعي : « اي صلح يا رفيق بك كيف تقاضي امرأة في بيتي وعصمتي ونعمتي نفقة »

رفيق : « دستور يا بك ! ان البيت بيتها وكونها في عصمتك لا يمنعها من حفظ حقوقها والكلام في نعمتك او نعمتها نقص وعيب »

فظن مرعي ان رفيق مدفوع بالاخلاص فاستسلم اليهِ فقادهُ الى المحامي الشرعي وكيل وجيده فلقيها لقاء حسناً وبدأ يسرد ادلة وجيده وحججها القوية ويستشهد بقضايا نسب لنفسهِ فضل كسبها واشار الى شفقة القضاء على السيدات . وكان رفيق صامتاً كشاهد لا تسرهُ النتيجة ولا تسوءهُ . فاخذ مرعي بسلامة نيتهِ يسرد تاريخ زواجهِ بوجيدة ورفيق يتقلى على الجمر ولا يتكلم فكان المحامي يلين حيناً لطيب عنصرهِ ثم يعود فيشتد بحكم مهنتهِ وكان مرعي يستنجد برفيق فلا يجيدهُ ، ويستشهد بهِ فلا يؤيدهُ ، حتى سقطت جميع حججهِ فاستسلم المسكين للصلح بجميع شروطهِ ومنها الطلاق ومؤخر الصداق ونفقة العدة ومجموع المطلوب ثلثمائة جنيه ولكنهُ اعتذر بالضيق الوقتي فنطق رفيق بعد الصمت الطويل واقترح عليهِ « حسماً للنزاع» الالتجاء الى الشيخ مبروك ليقرضهُ المبلغ المطلوب فقبل مرعي ووقّع على الصلح ثم على سند الدين . ومنذ تلك الساعة لم يعد مرعي الى منزل الحلمية قلباً الى فندق « الضيف الكريم » وارسل في طلب ثيابهِ وهي كل ما يملكهُ من البيت الذي دفع ثمنهُ وثمن ما فيهِ من اثاث ورياش وانفق على ساكنيهِ جملة اعوام ! . .

وكانت ديونهُ قد بلغت خمسة عشر الف جنيه اضاعها في خمس سنين في القمار

وسباق الخيل ونفقات المنزل والزواج والطلاق وافراح الاصهار ومآتمهم ، ومصاريف الاسطبل واثمان الثياب واتعاب المحاماة وفوائد القروض ورسوم المحاكم . فلما تأيدت الاحكام ورفضت المعارضات واستحضرت الشهادات ومضت مواعيد التنبيه والتسجيل وأُطلق ارباب الديون الثابتة وتمت اجراءات النشر وتحولت الدعاوي على قاضي البيوع بالشروط المنصوص عليها في القانون وقائمة المزاد بيعت الارض صفقة واحدة ورسا مزادها على البنك بعد ان حلَّ محل غيره من الدائنين لبقية طول اجراءات التوزيع فبلغ ثمنها مقدار الدين تقريباً ولم يبق للمدين كثير ولا قليل وكان البنك نزع ملكية ارض الست رقية ، ولولا ان ادركها الحاج عزب فاسرع الى الاسكندرية ووكل محامياً في المعارضة سيف « تنبيه نزع الملكية » وفي دعوى « استحقاق العقار » عن الثلاثين فداناً وقدم اعلام الوراثة واوراق المال والكشوف الرسمية وما زال ذلك الربيع الصالح يجاهد ويمد المحامي بالمعلومات ويحرك شفقتهُ على الام والاولاد حتى حكم نهائياً بقبول المعارضة في التنبيه واحقيتها وتثبيت ملكها وبذلك ضمن لها ايراداً ثابتاً يكفيها

وعلم الشيخ مرعي ان جميع ما كان في حوزته من مال ثابت ومنقول بيع بالمزاد وكان رفيق السوء قد تزوج من وجيدة بمجرد انتهاء العدة بعد ان مهد للفراق بينهُ وبين صاحبهِ القديم بقوارص الكلم والقطيعة واقام في البيت الذي اشتراهُ مرعي بمالهِ . وكان مرعي لا يعلم بهذين الامرين فحدثتهُ نفسهُ يوماً ان يقصد بيت مطلقتهِ ليزور حماتهُ ونسيبيهِ « النبيلين » حفيدي الخربوطلي باشا . فخرج اليهِ طاهر واخبرهُ ان « لا يسكن هذا البيت احد سوى الست وجيده هانم حرم حضرة رفيق بك » . فرفع مرعي عينيهِ عرضاً الى نافذة الغرفة التي كان ينام فيها ، فالتقت بعين وجيده ، فحاول الكلام فغص بريقهِ وسمع صوتها تقول للطاهي « اصرفهُ يا عبده واقفل الباب » فلم ينتظر امر الطاهي بل سار من تلقاء نفسهِ يتعثر في اذيال الندامة والخجل ولم يفق حتى سمع الناس تصرخ : « حاسب يا افندي » فاذا هو في منتصف الشارع يكاد يذهب فريسة الترام . فاسرع الخطى وسار بغريزتهِ قُدُماً ليتوارى عن الاعين حتى بلغ باب مسجد عال . وكانت الشمس قد آذنت بالمغيب فجلس على اول درجات السلم ووضع رأسهُ بين راحتيهِ وبكى ! فلما انهض كان الظلام قد ارخى ذوائبهُ وبدأت الانوار تلقي من اشعتها شباكاً على الكائنات وتملأ فضاء الليل بصور واشباح فسار في طريقهِ يترنح ويتخبط كمن ضلَّ الطريق ، ومازال كذلك حتى بلغ خان الخليلي على غير هدى فذكر السيد فرج ابي الخير فقصد متجرهُ فوجدهُ

مطلقاً فضاقت الدنيا في عينيهِ ، ولم يستطع حراكاً فبصر بمقعد طويل من الخشب العتيق وكان قد بلغ منهُ الاعياء فارتمى عليهِ واستسلم لنوم عميق ، وقد اغفلت العناية عنهُ اعين الحراس ، فلما افاق كان الصبح قد تنفس ، واقبل السيد فرج ورآه فاكرمهُ وسألهُ عن حاجتهِ فافضى اليهِ برغبتهِ في تغيير زيهِ والسفر الى بلدهِ فقام التاجر بواجب المودّة والوفاء . اما الشيخ مرعي فلم يجرؤ على دخول بلدهِ وترجل في شبراخيت وقصد خربتا حيث نزل ضيفاً على الشيخ عثمان الوكيل من اعيانها وكان ممن عركوا الدهر وذاقوا حلوهُ ومرهُ فلم يسألهُ عن شيء ولم يظهر عملهُ بحالهِ بل بالغ في اكرامهِ . وبعد اقامة شهرين طلب مرعي الى الشيخ عثمان ان يكتب في شأنهِ الى الحاج عزب ففعل فسأل الحاج عزب رقية رأيها في ابن عمها وزوجها القديم فلم تقبل مصالحتهُ واصرت على رغبتها في اثبات الطلاق وقالت إن الموت احبُّ اليها من معاشرة هذا المختال الفخور ، بعد ان قطع الرحم ، واضاع التراث واتبع هواهُ ، ، وكسرت شبابها على تربية اولاده . ولكنها تنزل عن خمسة افدنة من ارضها تؤجرها للحاج عزب على ان يؤجرها لمرعي بقيمة المثل . فركب الحاج عزب الى خربتا وعرض الشرطين على مرعي فقبلها وحرر لرقية وثيقة الطلاق وعاد بعد بضعة ايام تحت جنح الظلام الى قريتهِ واقام في بيت ثعلب الدهشان وهو اصغر دور القرية واقصاها وارسل لحيتهُ وقد شابت كل شعرة فيها ، ولو استطاع تغيير اسمهِ لفعل ، اما اولادهُ فكانوا يزورونهُ فيلقاهم كرجل غريب القلب والعين واللسان وقد انطفأ من قلبهِ سراج الحب وتحطم من نفسهِ هيكل الوفاء ! وكان الحاج عزب يزورهُ ويعزيهِ ويساعدهُ في زراعة الارض ويغريهِ حيناً بالمرور بالدوار الذي احتلهُ المالك الجديد فاذا بدا لهُ انقباضهُ قال لهُ «تشجع يا سعادة البك من فات قديمه تاه ومن ترك شيئاً عاش بلاه !» فلا يدري مرعي بك أكان هذا القول عزاءً ام تشفياً ، فلا يجيب عليهِ

واذ كان مرعي ينقب يوماً في اوراق مهملة عثر بعدد جريدة المؤيد الذي نشر فيهِ خبر الانعام عليهِ بالرتبة الثانية فلما اعاد قراءتهُ اخذ يحدق في تلك السطور ويقلب اجفانهُ في الصحيفة الحمراء كأنهُ يستعيد من خلالها ذكرى الماضي ويستحضر اشباحهُ المندثرة . فاذا بهِ يرى فجأة وجه رفيق وكأنهُ يسمع صوتهُ وهو يقول : « لا وسيلة للوصول الى تلك المقامات الاَّ بالرتبة الثانية مع لقب بك . ان ثروتك يا شيخ مرعي ومكانتك بين قومك تحتمان عليك الحصول على الرتبة الثانية واللقب فتخلص بهما من لفظ الشيخ فتصير فوراً سعادة مرعي بك صبيح » انتهى

محمد لطفي جمعه المحامي

البحث العلمي ومكافأة العلماء

من الامور المعروفة ان جانباً كبيراً من ثروة الامم في هذا العصر ناجم عن المباحث العلمية التي طُبِّقت على الصناعة والزراعة والمواصلات والمخاطبات وغيرها ولذلك يرى كثيرون من المفكرين أن الانصاف يقضي بمكافأة العلماء بجانب من هذه الثروة التي يتقاسمها العمال واصحاب الاموال. ومن اشهر الداعين الى هذا العمل السر رونلد روس مكتشف اسباب نقل الملاريا ومن رأيه ان العلماء الذين اكتشفوا مكتشفات علمية ذات شأن يجب ان ينالوا من خزينة حكومتهم معاشات تكون على الاقل معادلة لمعاشات القواد. وقد اطلعنا الآن على رأي في هذا الموضوع للسر هلداين احد الاساتذة بجامعة كمبردج فاقتطفنا منهُ ما يلي

اذا اكتفينا بنظرة عجلى الى الرأي القائل بوجوب مكافأة العلماء افتنعنا بصحتهِ حالاً. فكثيرون من اصحاب الاعمال العقلية كالمؤلفين والموسيقيين والمصورين والنقاشين يتمتع الواحد منهم بدخل كبير متى بلغ درجة عالية في الفن الذي يعالجهُ. اما العالِم فلا امل لهُ ان ينال اكثر من التي جنيه في السنة وفي الغالب يحسب نفسهُ موفقاً اذا ظفر بمنصب مرتبهُ الف جنيه. واما العلماء الذين لا ينالون سوى ٣٠٠ جنيه في السنة فنير قلال. واذا شاء احدهم ان يزيد دخلهُ السنوي تحتم عليهِ ان يخرج عن جادة البحث العلمي الصميم فيستخدم مواهبهُ ومعارفهُ في الامور الصناعية او في تأليف الكتب العلمية البسيطة التناول او في غير ذلك من الاعمال التي يكثر عليها الطلب وتعود عليهِ بالكسب الوفير. وفي تلك الحال يفقد العلم ما كان هذا الرجل قادراً ان يكشفهُ لو استمرَّ في بحثهِ. ولا يخفى ان العلماء لا يكسبون شيئاً من تسجيل مكتشفاتهم لان كثيراً منها لا يسجَّل. فالعالِم بالحيوان لا يستطيع ان يسجل نوعاً جديداً من السمك كشفهُ ولا الفلكي كوكباً عثر عليهِ. والآداب الطبية تحظر على الباحثين في الامراض واسبابها ووسائل علاجها ان يسجلوا اساليب العلاج الجديدة واختبارها. كذلك لا يستطيع الكيماوي ولا العالِم الطبيعي ان يسجل مكتشفاتهِ الكبيرة لسببين اولهما انهُ لا يعلم متى يستفاد من هذا الاكتشاف او ذاك عملياً. فلما كشف رتشردسن القوانين التي يجري عليها انطلاق الكهارب من المعادن الحارة لم يخطر لهُ انهُ كشف وسيلة تُبنى عليها المخاطبات التلفونية اللاسلكية فيما بعد فلم يكن في امكانهِ ان يسجل اكتشافهُ تسجيلاً

يمنع تطبيقهُ في المستقبل . ولقد كُشفت حقائق كثيرة متعلقة بالكهارب المنطلقة من المواد المشعة لم تطبق حتى الآن تطبيقاً عملياً ولكنها لم تسجّل تسجيلاً يمنع احداً من استخدامها في المستقبل . ثانياً اذا عظم الاكتشاف طال الزمان الذي ينقضي قبل الانتفاع بهِ فقد انقضى زمن طويل على اكتشاف فراداي لمبادئ المحرك الكهربائي قبلما بدئ بالتوسع في صنعهِ صنعاً تجارياً . مع ذلك لم يكسب فراداي مليماً واحداً من اكتشافهِ هذا وورثتهُ الشرعيون لا ينالون ربحاً عليهِ مثلما ينال ورثة الاميرال نلسن لانتصاره في معركة طرف الغار

واذا نظرنا الى الفرنسويين وجدنا انهم لا يكافئون رجال العلم عندهم بما يكفي لمعيشتهم . ولكنهم يقيمون لهم تماثيل ضخمة حينما يموتون ويدعون الشوارع باسمائهم . ولعلَّ التمثال او تسمية الشارع باسم عالم راحل اقوى باعثاً على شحذ الهمم من زيادة المرتب او دفع المعاش للورثة

ولا ريب في ان وضع نظام لمكافأة العلماء يصطدم بعقبة كؤود هي الصعوبة في تقدير قيمة اكتشاف علمي في الوقت الذي يكون العالم قادراً ان يمتع بنتائج هذا التقدير . وقد يجيء اعتراف الامة باكتشافهِ بعد موتهِ او بعد ما يبلغ من السن ما لا يفيد معهُ جمع المال . والمرجح ان اللجان التي تعيّن لمكافأة العلماء تهتم بما يكشف من الحقائق الجديدة اكثر مما تهتم باسلوب جديد للبحث . نضرب مثلاً على ذلك منح جائزة نوبل للطب الى بانتنغ ومكلود لكشفهما الانسولين — المادة التي اذا حقنت في الدم ازالت اعراض البول السكري . فان كل المواد التي حُضّرت قبل الانسولين كانت تجرَّب في كلاب حتى ينظر في ما لها من اثر في مقدار السكر في الدم . ومن المعروف ان تحليل الدم تحليلاً دقيقاً حتى يُعرَف ما فيهِ من السكر عمل دقيق جداً وخصوصاً متى كان الباحث يشتغل بنقطتين فقط من الدم . هذا التحليل لم يبلغ الدرجة من الدقة التي بلغها الآن الاَّ بعد ٦٠ سنة من البحث الدقيق في مئات المعامل الطبية والفسيولوجية وقد استغرق ارتقاؤهُ وقتاً اطول واقتضى دقة ومهارة اعظم مما اقتضاهُ كشف الانسولين في تورنتو فاعطيت الجائزة لمكتشفي الانسولين لا للذين مهدوا السبيل لاكتشافهِ

فاذا وُضع نظام لمكافأة العلماء حسب قيمة مكتشفاتهم فلا شك ان كثيراً من المكتشفات العلمية تبقى مجهولة لا تنال المكافأة الجديرة بها . ما من نظام مهما كان محكماً يستطيع اصحابهُ التنبوء بما يكون حكم المستقبل على مكتشف من المكتشفات وفوق ذلك

فانهُ يحوّل انظار العلماء عن البحث العلمي المحض الى البحث عن امور تسترعي الانظار حتى يفوزوا بالمكافآت . فلو وُهب احد الاغنياء من خمسين سنة مكافأة قدرها مليون ريال تعطى لمن يكشف مادة اذا حقنت في الدم ازالت اعراض البول السكري لتحوّل كثيرون من الباحثين الذي وضعوا الاسلوب الدقيق لتحليل الدم عن بحثهم هذا الى البحث عن الانسولين ولعجزوا عن الاثنين

ثم لننظر في امر آخر . ما من اكتشاف كيماوي احرى بالمكافأة من اكتشاف عنصر جديد . ولقد كشف في السنوات الاخيرة اربعة عناصر جديدة . ولكن هذه العناصر لم تكشف الاَّ بتطبيق قانون موزلي الذي يعيّن علاقة محدودة بين طيف اشعة اكس وعدد العنصر الجوهري . ولم يتوصل موزلي الى وضع هذا القانون الاَّ بعد مباحث جمة وقياسات دقيقة نجم عنها شبهُ اداة يستعملها الكيماوي في كشف العناصر الجديدة . مع ذلك ارجح ان قانون موزلي لم يذكر في الصحف على الاطلاق حين كُشف وأرتاب كل الارتياب في هل يرضى الشعب عن توزيع اموال الدولة على امثال موزلي مكافأة لعمل لا يدرك قيمتهُ

ثم ارتأى الاستاذ هلداين ان انشاء نظام يكافأ بهِ العلماء حسب قيمة مكتشفاتهم لا يفي بالغرض ولذلك اقترح انهُ يُضمن للاساتذة والباحثين في الجامعات والجمعيات العلمية مرتبات تكفيهم ليكونوا في بسطة في العيش . وعندهُ انهُ يجب الاهتمام بنوع خاص بالمباحث العلمية المحضة ، وان يُفصل اذا امكن ، بين رجال البحث العلمي المحض ورجال التعليم . اذ قد يكون احد الباحثين من اقدر الناس على المباحث العلمية واستنتاج النتائج منها ولكنهُ قد يكون من اضعفهم في سرد الحقائق على جمهور المتعلمين ثم قال

لقد مضى الوقت الذي نستطيع فيهِ ان نكافئ فراداي وهرتز وباستور ولكننا نستطيع ان نكفل لخلفائهم ما يمكن كلاً منهم من تربية عائلة مؤلفة من خمسة اولاد وتعليمهم تعليماً راقياً والحصول على بعض الكماليات كاتوموبيل صغير . انني لا استطيع ان اذكر الآن منصب استاذ واحد في بلاد الانكليز او فرنسا يضمن هذه الشروط . فعلى رجال البحث العلمي ان يختاروا بين ترك البحث الذي تفرغوا لهُ او عدم الاقبال على الزواج او تحديد العائلة . واني اعرف كثيرين من اكبر رجال العلم الذين تركوا البحث العلمي فصاروا صحافيين او تجاراً فكسبوا اموالاً طائلة ولكن ماذا كسب العالم — بل كم خسر ! و بعضهم يكتفي بولد او ولدين وفي هذا خسارة ايضاً لان جانباً كبيراً من المقدرة العلمية يورّث

حاضر العالم الاسلامي

التطور الاجتماعي (١)

اثر التعليم الغربي في البلدان الشرقية

كفى دليلاً على ما لهذا التطور الذي نشهده اليوم في الشرق من الشأن والعظمة، ما هو مخيّل في افق الحياة الشرقية من ضروب الانقلاب، وتجدد المنازع والانتقال من هيئة الى هيئة، اذ ان المؤثرات الغربية الفاعلة فعلها العظيم في تحول اشكال الحكومات والاوضاع السياسية، والمعتقدات الدينية، والتطورات الاقتصادية، هي فاعلة ايضاً في اطوار النظام الاجتماعي، وليس شأنها في هذا المقام بأقل منهُ في سائر مواضع الانقلاب الشرقي. وقد اتينا في الفصل الثالث من هذا الكتاب على بيان موجز عما للمؤثرات الغربية من الشأن في الاطوار والتارات التي تقدم الكلام عليها. وغايتنا في هذا الفصل ان نبسط الكلام على التطور الاجتماعي الحادث اليوم في العالم الاسلامي

لا مراء في ان هذا التبدّل خطير عظيم، على كونهِ لا يخلو من غموض يظهر في بعض المواضع، خلافاً لسائر آفاق الانقلاب الآذنة بكل جلاء ووضوح. والسبب في هذا الاستبهام هو ان للعادات المتأصلة والتقاليد المتمكنة في حياة الفرد والاسرة والجماعة في الشرق سلطاناً قوياً وشوكة نافذة، يحملان غير المتعمقين من اهل الاستقصاء في شؤون الشرق على ان يجنحوا الى القول المؤكد بأن هذه العادات والتقاليد لم تبرح على حالها القديمة من الرسوخ وشدة التأثير، بحيث على زعمهم، لم يتناول التطور الحقيقي داخلها مثلما تناول خارجها، ولا تغلغلت روح الانقلاب في باطنها كما احاطت بظاهرها، ولو بلغ الانقلاب المادي وتحول ظاهر الحياة ما بلغاه. على ان هذا الرأي الذي يقول بهِ هؤلاء القوم الذين لا يعولون على التحقيق في المسائل، هو مما لا يجيزهُ اهل العلم والبحث ذوو النظر النافذ في اسرار الانقلابات، وان الشرقيين انفسهم ليستهزؤن بهذا القول وامثاله،

---

(١) هذا الفصل من كتاب حاضر العالم الاسلامي الذي وضعه الدكتور لوثروب ستودرد الاميركي ونقله الى العربية عجاج افندي نويهض بلغة فصيحة وعلق عليه حواشي مسهبة غزيرة المادة العالم المحقق الامير شكيب ارسلان

و يفندونهُ بالحجة والبرهان ، و يؤيدون حدوث التطور الاجتماعي ونتائجهُ بسنة التحول التي لن يجد لها الناس تبديلاً

واهل الشرق لعمري على حق فيما يقولون و يبينون ، فان قيل ان الشرق صاعد بمعراج الترقي مادياً ، من حيث هو لم يزل على حالهِ من السكون والجمود والغرارة من الجهة الاجتماعية فانما ذلك تجاهل وتعام عن الواقع ، ومكابرة في الحقيقة التي بات لا يختلف في ثبوتها من اهل الاستقصاء الصحيح اثنان ، اذ ان الانظمة الاجتماعية لتبدل ابداً بالمؤثرات المادية الحسية ، تبدلاً لا يقل عن ذاك الذي يتم بقوة المؤثرات الادبية المعنوية ، والآراء والمجردات . ايستطيع من ينظر في ما دون العرض الغاشي ، نظر المتأمل المستبصر ، ان يتكر ما للقطر الحديدية والبرُد والاسلاك البرقية من قوة العمل والتأثير في سير الترقي الاجتماعي والادبي والحضاري ؟ اما من شأن ، اجتماعي ومادي يأتي ، لما يقتبسهُ الشرق من الغرب و يأخذ عنهُ من فئات المحدثات والمخترعات ، بين ثمين ونافه ، وخطير وحقير ، وضار ونافع ؟ . ايخلو من معنى كون قبر صاحب الرسالة الاسلامية في المدينة المنورة غدا كالكوكب تتلألأ فيهِ المصابيح والاضواء الكهربائية ، وان الرقاع البريدية المصورة صارت تباع على ابواب الكعبة المقدسة في مكة المكرمة ؟ اجل ، قد يستغرب المدقق اول الامر من ان المؤذن الضحي يذهب الى المسجد راكباً قطاراً كهربائياً ، وان التاجر المسلم اخذ يخرج من مخدع حرمهِ فيتناول صحف الصباح فيقف على انبائها واخبارها ، ثم يمتطي سيارةً الى بيت تجارتهِ ومعهُ سجادة الصلاة . ثم اذا ما فرغ من اقامة الصلاة انقلب تارة الى تلفونهِ وطوراً الى آلة الاملاء يفرغ فيها نصوص الرسائل والكتب التجارية فلماذا نحن نسلم بان للمسجد ومخدع الحرم وسجادة الصلاة شأناً مؤثراً في حياة المسلم وتكييف معيشته على الجملة ، حينما ننكر ما لجميع المحدثات والمخترعات التي اخذها الشرق عن الغرب من التأثير في تكييف حياة المسلم الاجتماعية ؟ اضف الى هذه الاسباب الحسية المادية ، الاسباب الادبية المعنوية مثل العلوم الطبيعية ، والوسائل الغربية الحديثة التي جعلت للتعلم والراحة ، وتحرر المرأة نوعاً ما ، تجد ذلك للحال اهمية التطور الاجتماعي الحادث اليوم ، واتساع افقهِ

على ان هذا التطور الاجتماعي قد اتسع نطاقهُ في الاقطار الشرقية التي هي اكثر تعرضاً من سواها لتيار المؤثرات الغربية وكان مبدأ ذلك منذ نحو من نصف قرن ، لما عاد المستشرق المنغاري ڤمباري الى القسطنطينية سنة ١٨٩٦ بعد غيبة من الزمن طالت

اربعين سنة ، دهش حقًّا مما شاهدهُ من عظيم التحول والانقلاب ، والاستانة عهدئذٍ راسفة بالاغلال الحميدية ، فقال : « عند ذلك طفقتُ اسائل نفسي أهؤلاء يا ترى هم الترك الذين رأيتهم سنة ١٨٥٦ ، وكيف قد تمت جميع هذه التطورات الكبرى ؟ ولشد ما كان عجبي لما اخذت اقلب نظري في مظاهر المدنية وصورها فرأيت المباني الحجرية الجديدة ، قد قامت مقام الخشبية القديمة ، والاسواق ، والشوارع ، دبت فيها عوامل الحياة دبيبًا ، بقرت فيها المركبات المزينة تجرها الجياد المطهمة ، والقطر الكهربائية تنساب في جميع الانحاء ، كل ذلك مما لم ارهُ في مثل هذه الاسواق والشوارع وهي اذ ذاك مختلط تزدحم فيهِ الدواب والعجلات القديمة الطراز . وسمعت جلجلة الآلات المتحركة تخالطها اصوات المؤذنين الذين يجأرون الله من على رؤوس المآذن . فظهر لي من جميع ما شاهدت وسمعت ، وعرفت وخبرت ، ما هو مناقض للقول المأثور ان « لا بدعة في الاسلام » . وقد كان دهشي اشد وعجبي أبلغ لما دخلت المنازل والبيوت فلم يكن يوسعني سوى الاعظام والاكبار ، ليس لما شاهدتهُ من كيفيات التحول الظاهرة فقط ، بل ايضًا لما هو اجل قدرًا من التطور المعنوي الكبير . فبدا لي ان طبقة الافندية (اي المتهذبة) في الاستانة قد تبدلت من حال الى حال ، وانتقلت من دور الى دور ، في مجتمعها وطرازها الخارجي وطرق اتصالها بالغربيين »

ويعظم تعجبي شأن الارتقاء الداخلي كما يعظم شأن الارتقاء الخارجي ، في الطبقات التركية التي تناولها التهذيب والتعليم ، فقال في هذا المعنى : « قد غدا التركي اليوم يرتاح الى العادات والآداب الغربية ارتياحًا كبيرًا مشهودًا ليس في المظاهر والصور الخارجية فقط ، بل في اسلوب المعيشة المنزلية ايضًا ، وذلك من صفة الاثاث والمتاع ، وآداب المائدة ، واحترام المرأة ، وغير ذلك . ان هذا الطور الجديد جليل الشأن ، لانهُ معلوم ان الشعب الذي يقبل على تشرب العوامل وقبول المؤثرات الغربية السائغة الى الترقي العقلي ، عند ما يصنو اعتقادهُ بأن هذه المؤثرات انما هي صالحة لهُ ، لا يستطيع الاقلاع عن مألوف عاداتهِ الثابتة العريقة ، المتأصلة في مزاجهِ وطبيعتهِ ، الاَّ بشق الانفس . والترك قد لقوا الشدائد في هذا السبيل ، فذللوا العقبات ، وتغلبوا على المكاره ، حتى ضربوا من التجدد بسهم وافر . ورأيت ان الشعور الشديد بضرورة ملابسة الحضارة الغربية والتحقق بها ، قد عم المجتمع التركي بأسرهِ حتى رجال الدين . ولكن جماعة أهل

الرأي على اختلاف في كيفية التطبع واسلوبه ، فبعضهم يتمنون اعطاء ما يودون اخذه عن الحضارة الغربية صفة وطنية وصبغة قومية ، والبعض الآخر على الضد من هؤلاء ، اذ يتمنون انتحال تهذيبنا العقلي على علاته . ويأبون كل تكييف لهُ ولو قليلاً »

والامر الاهم هو ما شاهدهُ ڤمباري من شأن النساء المخدرات القابعات في اكسار بيوتهن ، وقد تغيرت الآن حالهن وتحولت صور حياتهن الى حد يقضي بالعجب . قال ڤمباري : « وازيد القول تأكيداً ان المرأة التركية قد تبدلت اساليب حياتها تبدلاً شاملاً عما مهَّد كل اصل قديم خلال الاربعين سنة الاخيرة . ثم ان هذا التطور قد تمَّ امرهُ بسببين : الاول اعتقاد الترك بان التجدد ضروري لهم في هذا العصر ، والثاني الضغط الشديد الطاريء من الخارج » . واذ لاحظ ڤمباري انتشار تعليم البنات وزيادة نصيب المرأة في القيام بتدبير الحركات الاصلاحية وتنظيم الدعوات وبثها في هذه السبيل ، قال : « ان هذا لامر حيويٌّ للامة لانهُ متى ما شرعت المرأة تقوم بواجباتها في الحياة المنزلية بصفة كونها عاملاً من عوامل الارتقاء الحديث ، فان الاصلاح الحقيقي لابد لهُ من ان يثمر ثمرهُ في المجتمع والدولة والحكومة »

ويبين « خوجه بوخش » ، المسلم الهندي الحر ، وهو من اهل الاطلاع الصحيح على شؤون بلاده ، ان الحياة الاجتماعية في الهند غدت في تطور كبير وذلك بسبب ما تشربتهُ من المؤثرات والعوامل الغربية ، كما في الحال في تركية ، ويوضح خطورة هذه الادوار الشديدة التي لابد من اجتيازها ، ادوار الانتقال من حال الى حال ، والخروج من القديم والولوج في الجديد . وهو منشأ من هذا ، لانهُ يعترف بان « دور التطور انما هو بحكم الضرورة الى حد معلوم ، دور فساد في الآداب ، وانحطاط في الاخلاق ، وعبث بالدين ، مما قد يحسبونهُ عرضاً ويزول ، ومرضاً وبرأ ، ولكن لا مبرىء لهذا سوى كرور الايام » ولكن هذا الخبير الكبير ، مع علمهِ بجميع ما ذكر فانهُ لا يقلل من خطورة الدور الحالي الذي اقل ما يقال فيهِ انهُ هادم لاركان النظام الاجتماعي القديم هدماً فقد قال : « ان اوضح نتيجة لهذا التطور هي تزلزل نظاماتنا القديم القائمة عليهِ حياتنا المنزلية ، وعاداتنا الاجتماعية . وسبب هذا التزلزل انما هو تيار الحضارة الغربية ، وهذا الامر الواقع اظهر ما يكون في موضعين : معتقداتنا الدينية ، وحياتنا الاجتماعية . ان النظام القديم ، على جميع عيوبهِ كان مشتملاً على فضائل جمة وافية » . اما اليوم فقد انهار هذا النظام القائم على ضيق المدارك

المستشرق المجري شيبري من ترجمته في مقتطف نوفمبر سنة ١٩١٣
مقتطف مايو ١٩٢٦
امام الصفحة ٥٢٤

لا بل على التظاهر بخوف الله وطاعته ، وحلّ محله « استقلال فكري عملي غريب . فعفت صفة احترام الماضي ، واكرام الكبار والشيوخ ، واعتبار قال فلان وروى فلان . كان الاب في ظل النظام القديم ربّ العترة ووليها الحميم ، وكانت كلمتهُ فيها شريعة مطاعة وامراً مقضيًا ، وكان حارس مقامها وراعي حرمتها ، وحافظ شأنها . اما الآن فقد اصبح مجرداً من جميع المنزلة التي كان عليها من قبل ، وراح اصغر فرد من افراد الاسرة يبتغي الاستواء معهُ في كل شأن من الشؤون ، وينازعه السيادة في كل امر من الامور»

ويأسف المستر بوخش اسفاً لما هو منتشر من تيار الاسراف والتبذير والانغماس في الترف، وذلك ولا شك ناشئ عن اقتباس عادات الاوربيين وتقليدهم في جميع اساليب المعيشة تقليداً اعمى جامعاً للضار والفاسد والغث والسمين . ثم يسائل المستر بوخش نفسهُ: « ماذا لعمري تم في الهند ؟ اننا قد اتخذنا ازياء اوربية في لباسنا ، واساليب اوربية في معيشتنا ، ولم نكتفِ بذلك بل جاوزناهُ الى عادات شرب الخمر والمقامرة والميسر، ولكننا لم نتخذ شيئاً من الفضائل الغربية ، فيجب مداواة العلة قبل استفحالها وتطبيب السقم قبل الاعضال . يجب علينا ان نتعلم من اوربا ولكن دون ان نهدر في سبيل ذلك كينونتنا الادبية ووجودنا المعنوي . اننا لم ننتبه الى الخطر الذي حاق بنا فسرنا في التقليد سير ضلال ، وجلّ ما حصلناهُ اننا خضنا خوضة قليلة في التاريخ الانكليزي والاوربي ، ثم طفقنا نزدري ديننا وآدابنا وتاريخنا وتقاليدنا . ولم ندرس ماضينا ولا اطلعنا على ابناء حضارتنا ولا بنينا ركناً جديداً ، ولا شيدنا لمجتمعنا قواماً قويماً حديثاً يثبت بهِ غير متزعزع على صروف الدهر وتقلبات الازمان . وعلى الجملة فاننا قد افسدنا حياتنا افساداً من حيث لم نباشر لذلك اصلاحاً »

ويؤكد المستر بوخش القول مثل ڤمباري، ان المرأة الهندية سائرة في سبيل التحرر، اذ انقضى العصر الذي كانت هي فيهِ سلعة تباع وتشترى « فصارت المرأة المسلمة اليوم في الهند تعلم وتهذب على ازدياد . وغدت تعرف حقوقها وتحسن الدفاع عنها . نعم ان نظام « البردة [1] » لم يزل شائعاً ولكنهُ ليس من الشدة وايجاب العزلة كما كان منذ خمسين سنة خلت ، بل انهُ اوشك يسقط ويندثر ، وشرعت النساء يتدرجن في نيل حقوقهن الى ان يبلغن اليوم الذي يدركنا فيهِ السوي الكامل لتحرر المرأة الشرقية . كانت نساء

(١) البردة لفظة اهل الهند معناها الستر يمد للمخدرة في ناحية من المنزل

بلادنا منذ اربعين سنة موضوع الاحتقار بل خشونة المعاملة من ازواجهن . اما اليوم فقد تبدلت حالهن كثيراً ، و بتن يعملن لنيل جميع حقوقهن ، واعتزاز مقامهن

بهذين البيانين — الموصوف بهما التطور الاجتماعي في الشرقين الادنى والاوسط — ندرك ماهية الانقلاب الحادث اليوم في الشرق . ثم ينبغي لنا ان نذكر ان هذين الكاتبين قد وصفا حال الطبقات الراقية المتهذبة في المدن والحواضر الكبرى ، والحقيقة ان الاختبار صار سيراً عظيماً وانبثاثاً شاملاً ، في جميع آفاق المجتمع ، متناولاً طبقات الامة الواحدة بعد الاخرى ، وتراهُ دائماً على اتساع وامتداد

ان انتشار التعليم الغربي في الاقطار الشرقية خلال بضعة العقود الاخيرة ليدعو للاعتبار لانهُ قد نقض ما هو معهود في الشرق منذ القديم من نظم التهذيب والتعليم . فقد كانت اصول فن التعليم الجارية على سنن التقليد في جميع الشرق ، من مراكش حتى الصين ، لا تخرج عن حد تحنيط الكتب الدينية والاسفار المقدسة تحنيطاً مقروناً بتعليم فروض الدين وممارسة شعائره . وكان الطالب المسلم او الهندوي يقضي سنين عديدة يتلو على معلمهِ او مدرسهِ فصولاً من الكتب الموضوعة بالعربية الفصحى او السنسكريتية ، الكتب التي لا يستطيع ادراك معاني عباراتها وتراكيبها ، ولا فهم اغراضها ومدلولاتها ، فكان نظام التعليم على هذا النمط حائلاً شديداً دون اتساع المدارك العقلية ، فتتبلد القوى الدماغية جميعها ما عدا قوة الذاكرة ، وتذهب قوة الابتكار العقلي

ولم يبرح هذا النظام الفاسد متبعاً حتى اليوم في بعض الشرق ، وما انفكت الملايين من النشء الشرقي تفني الاوقات الثمينة في معاناة التعليم على هذا المنوال الحائل دون نمو القوى العقلية والادراكية . على ان نظاماً جديداً شرع يماشي ذاك القديم منازعاً لهُ وملاشياً اياهُ وهو يشيع و ينتشر في جميع المحيط التعليمي ، من كتاتيب الاطفال حتى الجامعات والكليات الكبرى ، فصار الناشئ الشرقي يرتضع افاويق العلوم على مناهج غربية صحيحة ، وهذه المشآت العلمية الحديثة الطراز هي على ضروب مختلفة . فهناك الى جانب المدارس والكليات والجامعات — التي تعلم تعليماً حرًّا وتعدُّ الطلاب للقيام بالخدمة الحكومية او المهن الحرة — عدد كبير من المدارس الصناعية والزراعية تخرج للشرق حذاق الفنيين والزراعيين والمهندسين ، ومدارس دور المعلمين تعد المعلمين اعداداً حسناً يتأهلون بهِ لتعليم النشء المقبل وتثقيف عقولهم على الاصول الصحيحة والاساليب السليمة .

والمدارس الاميرية والخاصة لا تني في توسيع التعليم على الطراز الغربي وفي زيادة نشره في الشرق . وقد كان من شأن جميع الحكومات الاوربية الاخذ بنصرة التعليم الغربي في الاقطار الداخلة في سيطرتها وحكمها ، ولا سيما الحكومة البريطانية في الهند ومصر بينما هناك البعثات التبشيرية النصرانية المختلفة قد انتشرت وانبثت في آفاق الشرق ، وانشأت عدداً كبيراً من المدارس والكليات ، وبينما كثير من الحكومات الشرقية مثل تركية والحكومات الوطنية في الهند باذلة غاية المستطاع لنشر التعليم الغربي في شعوبها ورعاياها نشراً متوالياً مباركاً

على ان النتائج الحاصلة الى اليوم ليست غاية في الكمال المطلوب . ولا غرابة في ذلك لأن الدور دور تطور وانقلاب ، وتغير وتبدل ، ولان التقاليد الفاسدة المتسلسلة من ماضي الاجيال ما انفكت تعترض جهد الاقوام الساعية بجد في سبيل تحرير التعليم من جميع النقائص التي لم تزل عالقة به . لهذا السبب الجدير بالاعتبار نرى سواد الطلاب الشرقيين الى اليوم ، اميل الى الاعتماد على ذاكرتهم وحافظتهم ، منهم الى الاعتماد على عقولهم وقوى مداركهم ، يؤثرون اجتياز عهد الطلب سريعاً حتى يدركوا ما تشرئب اليه نفوسهم من تقلد الوظائف والاعمال الحكومية ، على التضلع من العلوم والتمكن في المعارف مما يكسبهم الجدارة للاختصاص بمختلف الفنون والصناعات التي لابد ان تكون بمقتضى سنة الترقي الصحيح . ولما كانوا على هذه الصفة المتقدمة كانت النتيجة ان اخذ كثير منهم يحبطون دون الوصول الى الغاية فيحل بهم الاحباط ، ويخفقون سعياً وراء امانيهم تنشق عليهم الحال ، هذا وقد اجتزأوا ببعض العلم اجتزاء لا يكسبهم القدرة على ضروب الاعمال النافعة والمهن المنتجة . فتراهم يعيشون في الحياة على غير هدى لا يسعون الى غاية مقصودة ولا ينشدون غرضاً بعينه . كل ذلك يحملهم على الانقلاب اعداء مبغضين للروح الغربية ، ثم يسوقهم هذا الى بث اسباب الثورة وبذر بذور القلق الفوضوي . في هذا الصدد اجاد « السر الفرد ليل » في وصفه سيئات التعليم الغربي في ربوع الشرق فقال في شأن الهند : « لامراء ان الجهل انما هو علة شرور كثيرة وبلايا عديدة في دائرة المجتمع ، وقد قام كثير من الفلاسفة وحملة العلم في القرن الماضي ينادون ان التعليم الكافل لتثقيف العقول وتنوير الاذهان هو المخ دواء وافضل ذريعة لشفاء العالم ونجاته مما هو غارق فيه من بحر الضلالة والجهل » ، وقام ساسة خبراء مثل « ماكولي » يبينون للملأ ان التعليم على هذه

الصفة هو السبيل الفضل لخلاص العالم باسره من المعضلات السياسية ، ومن الحال التي قد استفحل فيها امتهان حرمة القوانين والانظمة والاحكام . فلذلك بات ضربة لازب على الحكومة البريطانية ان تجرب القيام بتحرير الهند تحريراً عقلياً ، حامية هذا العمل خير مبرر لحكمها تلك البلاد . « على اننا قد عرفنا بالابتلاء وتقرر لدينا بالاختبار منذ شرعنا نقوم بذلك ان التعليم ، مع كونهِ الدواء الشافي لامراض عديدة وكونهِ ضرورياً لا بد منهُ لاتمام الارتقاء الاجتماعي الصحيح ، فانهُ اذا لم تحسن ادارتهُ كل الاحسان وتوفق وسائل تدبيرهِ القسط الاكبر من الاجادة والاحكام ، انقلب بقوة فعلهِ وعملهِ سمّاً قاتلاً لتولد منهُ جراثيم الفساد والاضطراب ، بعد ان كان خير دواء يرجى بها الشفاء . ولا غرابة في ذلك لان التعليم على هذه الحال اخذ مفعولهُ يسري وفواعلهُ تشتد اختماراً في مجتمع متزلزل الاركان متداعي الجوانب . ثم من شأن هذا التعليم ان ينقض ما ينقض ويحرف ما يحرف ، ويهيج ضعاف الادمغة ، ويستثير مسارب الاطماع ويبعدي الآمال مما لا يستطاع تحقيقهُ في الحال ، فيحمل الاخفاق اهل البلاد على السخط والغضب فتضطرم نار ذلك اضطراماً »

غير ان بعضاً من الغربيين اهل العناية بشؤون الشرق ، نخص بالذكر منهم رجال الاستعمار ، اخذوا يقومون ويقعدون للمخاطر السياسية والاجتماعية المنبثة من جانب هذه الطبقات المشتملة على الذين اتينا على ذكرهم من ذوي العلم الناقص[1] وانشأ المستعمرون يعزون السبب في انتشار روح المقاومة للغرب الى التعليم الذي جاؤا بمناهجهِ واساليبهِ . فاللورد كرومر على سبيل المثال ، يرتاب شديد الارتياب في شأن المصريين الذين تلقوا العلوم الغربية . وقال موظف بريطاني هندي شهير ان علة الاضطراب في الهند ناشئة عن « نظام التعليم الذي نشرتهُ بريطانية في البلاد »

---

(١) كثير من مؤلفي الاوربيين ورجال سياستهم يحذرون حكوماتهم من اتقان التعليم في المستعمرات ، بحجة أن الغالب على النشء المتعلم هو النزوع الى الثورة . اذ كانوا يقرأون اموراً « تسيء عقولهم هضبا » ويقيسون اقيسة فاسدة فيتعبرون ويتعبون . ومن جملة شواهد ذلك تلك المقالة التي عربناها عن « مجلة باريز » والتي صاحبها يشير باماتة اللغة العربية في المغرب واقامة الفرنسوية مقامها بشرط ان يكون التعليم قاصراً على ما يلزم لاماتة هذه واحياء تلك لا غير . والحاصل انهم يريدون نفع العلوم الشرعية من بين المسلمين ، ولكن يضنون ان يجعلوا مكانها العلوم العصرية ، لئلا تحيي بها نفوس الامم ، اذ يعلمون انه لا يجتمع العلم والذل في محيط واحد سواء كان علماً شرعياً اسلامياً او علماً اوربياً عصرياً او علماً جامعاً للامرين

وهؤلاء المرتابون المشائمون المستعمرون ، الذين يقولون ما يقولون من ان التعليم هو سبب نشوء الاضطراب في الشرق ، يغفلون عن انهُ لا بدّ لادوار التطور والانقلاب من ان يصحبها شرور وآفات ، وعوارض فاسدة ، بطبيعة الحال دون مردّ . ولكن هذه الحقيقة الكبرى لم تخف على الحكماء من اهل الاستقصاء ، فكان شأنهم في درس تطور الشرق خلاف شأن اولئك المرتابين ، اذ قالوا ان التبدل والتغير في انظمة هذا المجتمع الانساني لا يكون خالياً من نقائص تعتورهُ وعيوب تصاحبهُ ، ومن هؤلاء الحكماء ڤمباري الثقة الكبير الذي احاط بالشرق وشؤونهِ علماً ، وادرك ان في الشرق اليوم مستوًى عليًّا تتجلى فيهِ جدارة الموظفين الوطنيين ، وبهِ يظهر صدق امانتهم ، وهم الموظفون القائمون باعمال الخدمة المدنية في حكومة الهند البريطانية وحكومة افريقية الشمالية الفرنسية (وجل هؤلاء الموظفين من الذين تلقوا العلوم الغربية) ، ففي هذا المعنى قال ڤمباري : « ان الشرقيين المحافظين المتشددين والاوربيين المتعصبين ، يخالون ان الاتيان بتهذيبنا الغربي الى الشرق قد ذهب بفضائل الاسيويين ، تلك الفضائل الساذجة الفطرية ، حتى غدا الشرقي غير المهذب اكثر امانةً واعز شرفاً واشد اباء ، واجدر بالثقة من الاسيوي المهذب على الاساليب الغربية . ان هذا الخيال لأفن وخيال فلعل هذه الاوهام تصدق على اولئك النائلين قسطاً قليلاً من التعليم والتهذيب ، ولكن لا تصدق على الاسيوي التام التهذيب الذي وقر في نفسهِ ان الارتقاء العقلي قائم بجملتهِ على الاساس المكين ، وهو التعليم الوافي الصحيح ، والتهذيب المنظم الطريقة ، والتثقيف السليم الاسلوب والمنهج ».

ثم مما كان شأن النقص الذي صاحب اساليب التعليم الغربي في الشرق ، فالتعليم هو المنهاج الذي لا يستطاع الاّ نهجه ، والباب الذي لا حيدة عن ولوجهِ . وعلى كل فان ما قد بلغتهُ الروح الغربية في الشرق من سعة الانتشار وشدة التأثير ، هما من الاهمية بحيث لو اردنا الكلام عليهِ تفصيلاً استغرق ذلك المجلدات الضخام . ولو سلمنا جدلاً ان الحكومات الاستعمارية قد كان في وسعها ان تحول دون التعليم الغربي الصحيح ، أفلم يكن الشرقي على كل حال قادراً ان يتعلم ما يتعلمهُ على طرق اخرى ومناهج شتى . اذن خير للشرقي وافضل ان يتلقى العلوم والمعارف في كتب مفيدة صحيحة الاسلوب برعاية الاكفاء من المدرسين والمعلمين ، من ان يترك وشأنهُ يتتبع الاساليب الفاسدة والطرق الملتوية ويخبط خبط عشواء .

خطبة اللورد لويد

في كلية فكتوريا بالاسكندرية

زار اللورد جورج لويد المندوب السامي البريطاني في مصر مدينة الاسكندرية في اواخر مارس الماضي وحضر حفلة كبيرة في كلية فكتوريا خطب فيها خطبة تهذيبية بليغة استهلها بشكر لجنة الكلية وناظرها ودولة رئيس الوزراء وجميع الحاضرين ثم قال :

تأسست كلية فكتوريا منذ ٢٥ سنة بالاكتتاب العام وكان في مقدمة المكتتبين لها الانكليز المقيمون في الاسكندرية ويعود جانب كبير من الفضل في انشائها على كرم السر جورج الدرمن الذي نأسف لغيبته اليوم . وقد اهتم بها سلفي العظيم لورد كرومر اهتماماً خاصاً وفي ندوعي الى هنا اليوم تحية احترام لذكراه وشعمل الذي عمله لبلاده وللبلاد التي كانت بعدها اعلق البلدان بنفسه

لقد اوجد لورد كرومر شركة وطيدة بين بريطانيا ومصر وهذه الشركة معا تغيرت اشكالها لازمة للشريكين وهذا يجعل استمرارها لا مندوحة عنهُ . فعلينا ان نقوي كلَّ ما لدينا من وسائل التفاهم المتبادل بين البريطانيين والمصريين والجاليات الاخرى التي توطنت هذه البلاد ، حتى ينجم عن هذه الشركة اعظم المنافع المتبادلة . وقد كان هذا التفاهم المتبادل غاية لورد كرومر من تأسيس كلية فكتوريا بوجه عام ومن تأسيسها في الاسكندرية بوجه خاص وهي غاية اعتقد ان الكلية تحققها

انشئت الاسكندرية لتكون عاصمة العالم المعروف للاسكندر الكبير ، ولتكون حلقة اتصال بين الشرق والغرب . وقد حققت هذه الغاية في عهد ازدهارها الاول وايضاً في نهضتها الحديثة على يد محمد علي باشا العظيم فكانت صلة بين الشرق والغرب . وهذه الصلة التي تمثلها الاسكندرية تمثيلاً واسعاً ، تمثلها كلية فكتوريا على وجه مصغَّر

ما من احد اعرف منك يا حضرة الناظر ان المدرسة او الكلية مكان للتعلم والتعليم وان المعلم يتعلَّمُ بقدر ما يعلِّم ، واذا كنا نحن الانكليز قد اسسنا كلية فكتوريا هنا فاننا لم نفعل ذلك لان لدينا ما نعلمهُ للغير فقط بل لان هناك ما نريد ان نتعلمهُ ايضاً . ومن بواعث الفخار والتشجيع لكل معهد علمي ان ينشأ في مدينة كالاسكندرية حيث نشأت

فروع كثيرة من فروع العلم وحيث ارتقت الفنون والفلسفة ارتقاء خاصاً ، في المدينة التي يحق ان تدعى مدينة الاكتشاف العلمي ومقر اشهر مكاتب العالم

هنا عاش اقليدس اعظم علماء الهندسة الذي بقي كتابهُ في الهندسة مستعملاً في مدارسنا الى اوائل هذا القرن . هنا وضع ديوفنتس علم الجبر وابولونيوس علم القطوع المخروطية . هنا قاس اراتستنيس قطر الارض لاول مرة في التاريخ وقال ارسترخس بدوران الارض والسيارات حول الشمس قبلما قام غليليو بالقي سنة . هنا انشيء علم القوى المائية (هيدروستاتيك) وعلم التشريح في مدرسة الطب العظيمة . هنا استنبط المصّ وغيرهُ من المستنبطات الكثيرة المفيدة . ان الرياضيات والعلوم الطبيعية لم تنهض نهضة تساوي هذه النهضة سوى في القرن التاسع عشر . وقد اخذ الباحثون يكشفون حديثاً ان الامبراطورية الرومانية مدينة بجانب كبير من نظامها الاداري للبطالسة

واذا كان اشتغالُ اليونان بالعلوم ، واندفاعهم وراء البحث عن الحقائق ، الباعثَ الاكبر على الارتقاء العلمي الذي تمّ في الاسكندرية في ذلك العصر ، فان ارتقاء الفنون والفلسفة بنوع خاص سببهُ احتكاك العقول من مختلف الاجناس التي اجتمعت في بقعة بين اوربا وآسيا وافريقية يغسل شوائبها بحركةٍ وحيويةٍ والهام . والباعث على اجتماع تلك الشعوب فيها هو هو الباعث الذي حملنا — ونحن شعب مختلف عنهم كل الاختلاف — على التعلق بهذه البقعة التي وقفت امامها منارة الاسكندرية رمزاً للنور والطمأنينة

نحن الانكليز لنا في كلية فكتوريا وسيلة نؤدي بها خدمة للخير العام فاذا نستطيع ان نفعل . اسمحوا لي ان اقرأ لكم فقرة لامرسن الكاتب الاميركي الكبير ضمنها رأيهُ فينا ومنها نستطيع ان نستخلص صورة لما نستطيع ان نقدمهُ بواسطة معاهدنا — قال امرسن :

« مما يجعل الشعب الانكليزي شعباً ذا شأن هو صفات الافراد الذين يتألف منهم . انهم رجال احرار اقوياء يعيشون في بلادٍ فيها الحياة بأمن من الطوارئ ولها مقام وقيمة عالية . انهم قوام هذا العصر وليس ذلك اتفاقاً بل هم يفعلون ذلك بخُلقهم الممتاز وكثرة الافراد المقتدرين بينهم . لقد انكر البعض ان في الانكليز نبرغاً . ومهما قيل فيهم فلا ريب ان رجالاً من اكبر الرجال عقولاً ولدوا في بلادهم . وقد استنبطوا اعظم المستنبطات او طبقوها . اجسامهم سليمة وهم ذوو ثبات عظيم في الحرب والعمل وقوانينهم كريمة تمنح الرق وتؤيد الحرية واذا كان عندهم استبداد فذلك ثانوي لا يدوم ونجاحهم ليس قائماً على الحظ بل لقد اظهروا ثباتاً واستمراراً في مقدرتهم قروناً كثيرة »

وأكرر القول بأن الاسكندرية حلقة الاتصال ويجب ان تكون وسيلة للتفاهم واليها تنظر نظراً خاصاً في توطيد رابطة التفاهم . وليس من وسيلة لتوطيد هذه الرابطة افعل من كلية تعلم الشبان من مختلف الاجناس المبادئ البريطانية العليا . فكنا مشتركون في سعي واحد للتفاهم المتبادل . وثمرات النجاح في هذا العمل هي السلام والطمأنينة والارتقاء . لذلك ارحب باجتماعنا في منتدى كلية فكتوريا لانني اشعر ان روح التفاهم يكون في هذا المنتدى اوضح واقوى اثراً منهُ في اي مكان آخر

وما هي كلية فكتوريا . كلية فكتوريا ايها السادة مدرسة انكليزية تفتح ابوابها لكل الاجناس . لم يتسنَّ لهذه المدرسة ان يكون لها كل الشأن المنتظر في تربية النشء المختلط في الاسكندرية وغيرها من مدن هذا القطر لاسباب بعضها مالي والبعض الآخر ناجم عن الحرب الكبرى . وسيُتدارك هذا الامر في السنوات المقبلة . فهذه مدرسة على كثرة الوسائل التهذيبية التي تقوم بها ترى قليلين من آباء النشء الجديد يهتمون بها او يفهمون غايتها . فمن الانصاف ان نشهر مميزاتها . ان معلميها من الانكليز الذين نشأوا على مبادئ الحياة العامة والحياة المدرسية في انكلترا . وما يحصلهُ الطلبة فيها يوازي ما يحصلهُ طلبة كلياتنا في انكلترا وما اكثر علامات الشرف التي حازها خريجو هذه الكلية في بلاد الانكليز . ففي السنوات الماضية — بل في السنة الماضية فقط فاز كثيرون من ابناء هذه الكلية في جامعات انكلترا حيث يجدون الآن نحو ٣٠ طالباً من ابناء هذه الكلية السابقين . وقد بلغني ان مجلس الامتحان لشهادة اكسفرد كمبردج اظهر اعجابهُ الشديد بمعارف تلاميذ فكتوريا — هذا فيما يتعلق بالعلوم

ثم هناك تربية الاخلاق . ان النظام الذي نحياهُ في انكلترا اقوى العوامل في تربية ملكات الشرف والشعور بالمسؤولية والصدق وضبط النفس والثبات وغيرها من الصفات التي لا مندوحة عنها لانشاء الوطني العامل ، اقول ان هذا النظام الكامل يُستعمَل في هذه الكلية كما يُستعمل في انكلترا . وهو يستعمل هنا رغماً عن كثرة الاجناس التي يتألف منها مجموع الطلبة . وهذه الروح تبدي أيضاً في الالعاب على اختلافها ، الفوتبول والكركت وفرق الكشافة

وقد بلغ من نجاح هذا العمل ان الحوادث التي حدثت في سنتي ١٩١٩ و١٩٢١ لم تؤثر في علاقات الطلبة بعضهم ببعض فلم يحدث بينهم نفور ما . ومما يدل على استمرار هذه الروح ان ابناء الكلية السابقين لا يزالون يجتمعون اجتماعاتهم الشهرية يؤلف بينهم

كيف ينفقون اموالهم

نكتب هذه السطور ولم تصل الحكومة المصرية الى حكم فاصل في مسألة هبة ركفلر التي وهبها لمصر لتبني بها مخفراً ومعهداً لعلم الآثار. والظاهر ان انفاق الاموال في مختلف الاغراض العلمية والاجتماعية اصبح صفة قومية لدى الاميركيين اذ يندر بينهم من يصيب ثروة كبيرة الاَّ ويفكر في خير السبل لانفاقها. وقد زادت قيمة الهبات التي وهبها اصحابها للايتام او للفنون او للعلوم او للتهذيب او لغير ذلك من الاغراض العمرانية زيادة كبيرة في السنوات الخمس عشرة الاخيرة فبعدما كانت قيمتها لا تزيد على بضعة ملايين من الجنيهات صارت تتراوح بين ٤٠٠ مليون جنيه و٥٠٠ مليون. وقد قدّر احد علماء الاحصاء ان قيمة هذه الهبات الآن تعادل ثروة الامة الاميركية كما كانت منذ مائة سنة. واليك بياناً تظهر فيه اكبر الهبات الاميركية واسماء اصحابها نقلاً عن مجلة التاريخ الجاري:

جون ركفلر	١١٥٠٠٠٠٠٠ جنيه	جون ستورت كندي	٦٠٠٠٠٠٠ جنيه
اندرو كارنجي	٧٠٠٠٠٠٠٠ »	جون سترلنغ	٤٠٠٠٠٠٠ »
وقف كلفلند	٣٠٠٠٠٠٠٠ »	ادمند كنفرس	٤٠٠٠٠٠٠ »
هنري فرك	١٧٠٠٠٠٠٠ »	ج . ر . ده لامار	٣٣٠٠٠٠٠ »
جون ديوك	١٦٠٠٠٠٠٠ »	مسز ستفن هاركنس	٣٣٠٠٠٠٠ »
ملتن هرشي	٣٠٠٠٠٠٠ »	اغسطس جو بلارد	٣٠٠٠٠٠٠ »
جورج استمان	١١٦٠٠٠٠٠ »	هنري هنتنتن	٣٠٠٠٠٠٠ »
مسز رسل سايج	٨٠٠٠٠٠٠ »	جورج باكر	٢٤٠٠٠٠٠ »
فرنك منسي	٨٠٠٠٠٠٠ »	ج . پ . مورغان	٢٠٠٠٠٠٠ »
هنري فبس	٦٣٠٠٠٠٠ »	مسز اندرسن	٢٠٠٠٠٠٠ »
بنيامين التمن	٦٠٠٠٠٠٠ »		

هذه هي المبالغ التي يزيد كلٌّ منها على مليوني جنيه اما المبالغ التي وهبها شخص واحد و يقل مجموعها عن مليوني جنيه فكثيرة والمرجح ان مجموع الهبات كلها يزيد على اربعمائة مليون جنيه والموهوب منها للتعليم ١٦٠ مليون جنيه وللامور الدائمة والمعاهد الدينية ١٠٠ مليون جنيه وللبحث العلمي ٦٠ مليون جنيه وللفنون والكتب والموسيقى ٤٠ مليون جنيه والباقي لاغراض شتى

أجناس البشر

حسب اللون والشعر والدم

حاول العلماء من زمن بعيد تقسيم البشر الى اجناس يجمع بين افراد كل جنس منها صفات تميزهم عن غيرهم من افراد الاجناس الاخرى. فقسمهم العالم بلومنباخ الى خمسة اقسام او اجناس هي الجنس القوقازي والجنس المغولي والجنس الاثيوبي (الحبشي) والجنس الاميركي والجنس الملقي . ولم يقصد حينئذ بالجنس القوقازي الناس الساكنين في القوقاس بل الجنس الابيض نسبة الى جمجمة وجدت في جنوب القوقاس. وقسمهم كوليه الى الجنس القوقازي او الابيض والمغولي او الاصفر والحبشي او الاسود . ومن الامور الصعبة وجود محل لجميع الجماعات الصغيرة الممتازة عن غيرها بصفات خاصة بها كاليوشمن سكان استراليا الاصليين في هذا التقسيم العام او غيره ولكن علماء الانثروبولوجيا يكادون يجمعون على ان الجنس الحبشي او الاسود والجنس المغولي او الاصفر والجنس القوقازي او الابيض والجنس الاميركي او الاحمر هي الاجناس الاساسية بين البشر وهذا التقسيم مبني على لون البشرة والتفرق الجغرافي . فقد كانت هذه الاجناس مفرقة كما يأتي قبل الهجرات الحديثة في تاريخ العمران : الجنس الاسود في الاقطار الاستوائية شرق الاوقيانوس الهندي وغربهُ في افريقية واستراليا وجزائر الباسفيك المجاورة لها . والجنس الاصفر كاد يكون محصوراً في اسيا الا جماعة قليلة منهم في اوربا مع اختلاف في ضروب اللون الاصفر . والجنس الاحمر في اميركا الشمالية والجنس الابيض في اوربا وافريقيا الى خط السرطان وجنوب اسيا الغربي . واللون الابيض ضروب تتراوح بين الاسمر على حدود المنطقة السوداء والابيض النقي في شمال اوربا . ولكل من هذه الاجناس اقسام اصغر منها يمتاز احدها عن الآخر بعاداته وتقاليده ولغته وغير ذلك من الفروق الثانوية

وحاول نفر آخر من العلماء تقسيم البشر حسب لون الشعر وشكل مقطوعه وهو يكاد يتفق مع التقسيم السابق المبني على لون البشرة . فالجنس الحبشي او الاسود شعرهُ قصير اسود مفلفل ومقطوعهُ مسطح . والجنس المغولي او الاصفر شعرهُ طويل اسود قاس سبط ومقطوعهُ مستدير والجنس الاميركي او الاحمر شعرهُ كشعر الجنس المغولي انما هو

اطول منهُ واكثر قساوة . والجنس التوقامي اوالابيض شعرهُ طويل متموج ولونهُ يتراوح بين الاشقر والبني الفاتح ومقطوعهُ بيضوي

التقسيم حسب الدم

ذكرنا ما تقدم توطئة لبحث علمي جديد مبني على صفات خاصة يتاز بها دم بعض الجماعات من البشر عن دم غيرها. واليك البيان ملخصاً عن مقالة في هذا الموضوع نشرت في جزء يناير وفبراير من مجلة التاريخ الطبيعي الاميركية التي يصدرها متحف التاريخ الطبيعي الاميركي في نيويورك

لقد كان معروفاً لدى الباحثين منذ سنوات ان دم بعض الناس لا يمتزج بدم غيرهم من غير ان يحدث هذا الامتزاج تجسماً او تكتلاً في الكريات الحمراء ويسمي العلماء هذا الفعل agglutination وهو شبيه بما يصيب اللبن حين تخثره . ولا يخفى ان نقل الدم من شخص الى آخر في بعض العمليات الجراحية وحالات ضعف الدم لا يصح اذا كان دم الجائد يدمج ودم المريض لا يمتزجان من غير ان يحدث هذا التكتل واذا حدث فقد ينجم عنهُ خطر كبير على حياة المريض

وقد اثبت عالم نمسوي يدعى كارل لاندشتينر وهو الآن من اعضاء معهد روكفلر باميركا ان هذا الفعل لا يحدث اتفاقاً بل يجري على قاعدة طبيعية. ووجد ان هناك اربعة انواع من دم الانسان يختلف احدها عن الآخر اختلافاً اساسياً كما سيجيء وانهُ يمكن تقسيم البشر الى اربعة اقسام او اجناس او فرق حسب نوع الدم الذي يجري في عروقهم. واثبت ايضاً ان دماء الناس الذين من فريق واحد يمتزج بعضها ببعض من غير حدوث التكتل في كرياتها الحمراء وانهُ اذا مزج دم شخص من فريق واحد بدم شخص من فريق آخر حدث هذا التكتل

وغني عن البيان ان الدم يتركب من سائل صافر ضارب الى الصفرة تعوم فيهِ اجسام دقيقة تعرف بالكريات اشهرها الكريات الحمراء والكريات البيضاء . وقد وجد الاستاذ لاندشتينر ان سبب التكتل المذكور هو وجود مادة في سائل الدم الواحد تفعل في مادة اخرى في الكريات الحمراء التي في دم الشاني فتتكتل. ووجد ايضاً ان في الكريات الحمراء مادتين مختلفتين لتكتلان او تسببان التكتل اذا اتصلتا بسائل الدم فدعا الاولى (ا) والثانية (ب) ثم قسم الناس حسب وجود هاتين المادتين في دمائهم . فالفريق الاول منهم حسب تقسيمهِ لا يوجد في دمائهم شيء من هاتين المادتين وهم الجانب الاكبر من

الناس ونسبتهم الى مجموع السكان في اميركا ٤٥ في المائة . والثاني تجد في دماء افراد المادة (ا) فقط والثاني تجد في دماء افراد المادة (ب) فقط والرابع تجد في دماء افراد المادتين معاً وهم قلائل جداً ونسبتهم الى عدد السكان في اميركا ٥ في المائة

فالمادة التي في دم فريق واحد تكتل الكريات الحمراء في دم الفريق الآخر اذا كان في كرياته احدى المادتين (ا) او (ب) او كلاهما معاً . واليك جدولاً يظهر فيه ما ينتج عن اتصال سائل الدم من كل فريق بالكريات الحمراء في دم الفرق الثلاثة الاخرى

ويلاحظ في هذا الجدول ان الكريات الحمراء في دم الفريق الاول لا يُكتّلها

	سائل فريق ١	سائل فريق ٢	سائل فريق ٣	سائل فريق ٤
كريات حمراء فريق ١	لا يحدث تكتل	لا يحدث تكتل	لا يحدث تكتل	لا يحدث تكتل
فريق ٢	يحدث تكتل	لا يحدث تكتل	يحدث تكتل	يحدث تكتل
فريق ٣	يحدث تكتل	يحدث تكتل	لا يحدث تكتل	يحدث تكتل
فريق ٤	يحدث تكتل	يحدث تكتل	يحدث تكتل	لا يحدث تكتل

السائل الدموي في الفريق الاول ولا الثاني ولا الثالث ولا الرابع وذلك لانها خالية من المادتين (ا) و(ب) اللتين تتكتلان

اذا تأصلت هذه الصفات في دم شخص استمرت مدى الحياة ويستطاع تمييزه بها كما يميز بلون الشعر او خطوط الانامل . وقد اثبت الامتحان ان مميزات الدم هذه تورث وتجري في توريثها على قاعدة منتدل . وهوامل الوراثة في المادتان (ا) و(ب) فاذا ورث ولد من ابيه المادة (ا) ومن امه المادة (ب) صارت المادتان في دمه وحسب في الفريق الرابع من البشر

بعد اثبات الحقائق المتقدمة خطر لبعضهم ان صفات كهذه وراثية في الجنس مستمرة

في الفرد ويسهل امتحانها لا بدَّ ان يكون لها معنى انثربولوجي كبير . ولكن هذا الخاطر لم يوضع موضع البحث والامتحان قبل سنة ١٩١٨ . ذلك ان الدكتور هرشفيلد وزوجتهُ كانا يشتغلان في جمعية الصليب الاحمر ببلاد الصرب وكانت بلاد الصرب حينئذٍ مجتمعاً لجيوش المتحاربين من مختلف اقطار المعمور من افريقيا وبلاد العرب وتركيا وروسيا والهند وبلدان اوربا المتحاربة ففحص هرشفيلد دم الجنود الذين عالجهم ورتّب نتائج فحصهِ بعد ما قرنها بالحقائق المذكورة آنفاً فثبت ان لكل جنس من الاجناس المعروفة نسبة خاصة من اقسام لاندشتينر تختلف عنها في الاجناس الاخرى

فقد وجد على وجهٍ من التعميم مثلاً ان الشعوب من شمال اوربا كالانكليز والالمان فهم الفريق الثاني كبيراً جدًّا بالنسبة الى الفريق الثالث والفريق الثاني هو الذي في دمه المادة (ا) يقابل ذلك ان الشعوب من افريقية واسيا يكثر بينهم الفريق الثالث اي الفريق الذي في دمهِ مادة (ب) ووجد ان الشعوب التي تقطن حول البحر المتوسط فيها الفريق الثاني والفريق الثالث متساويين فاستنتج من ذلك استنتاجاً لم يقرّهُ عليهِ كلُّ العلماء بعد وهو ان دم الفريق الاول اي الفريق الذي لا يوجد في كرياتهِ احدى المادتين هو الحالة الطبيعية الاصيلة للدم البشري وان المادة (ا) ظهرت في اوربا اولاً كتحول فجائي في الزمن السابق للتاريخ وان المادة (ب) ظهرت في اسيا . وعلَّل توزع هاتين المادتين في مختلف الاجناس ونسبها المختلفة بنزوح الاقوام من بلاد الى بلاد وامتزاجها بعضها ببعض

وقام بعد هرشفيلد علماء آخرون يبحثوا بحثهُ في اجناس وشعوب مختلفة فوجدوا انهُ ما كشفهُ اولاً من وجود نسبٍ خاصة من اقسام لاندشتينر لكل جنس من الاجناس صحيح ولكن مباحثهم لم تؤيد رأيهُ في نشوء المادة (ا) في اوربا اولاً ونشوء المادة (ب) في اسيا اولاً لانهم وجدوا اقواماً في اسيا وافريقية وملقا واميركا يكثر بينهم الفريق الثاني كما يكثر بين شعوب شمال اوربا . وفي الخريطة التالية تظهر الحقائق التي عرفت حتى الآن من حيث التفرّق الجغرافي ونسبة الاقسام المختلفة في الاجناس المختلفة

ومن الحقائق الغريبة التي كشف البحث القناع عنها ان جماعات اليهود التي تناولها البحث ليست جماعة واحدة متصلة الرحم بل ثبت ان كل جماعة منهم تشبهُ اقوام البلاد التي تسكنها من حيث مميزات الدم هذه . فيهود برلين مثلاً يماثلون كل المماثلة الشعب

الالماني في ذلك ويهود اسبانيا يماثلون العرب ويهود روماتيا لا يختلفون كثيراً عن المجريين ويهود بولونيا يشبهون اهل بولونيا

وعلى الضد من ذلك ظهر ان تجر (نور) اوربا يشبهون النوع الهندي المنشوري وهذه حقيقة كبيرة الشأن ازاء ما يعرف عن التجر من عدم تزاوجهم باهل البلاد التي يرتادونها وفي الاخبار الخرافية انهم جاؤوا اولاً من اواسط الهند

ولعل اكبر الحقائق شأناً في هذه المباحث هي ان الاجناس القريبة بعضها من بعض في مواطنها الجغرافية تتشابه من حيث مميزات الدم ونسب اقسام لاندشتينر فيها

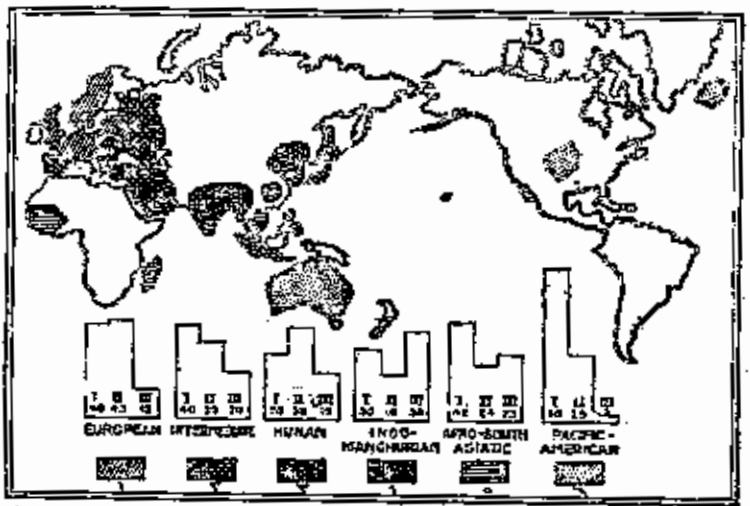

يظهر في هذه الخريطة توزع الشعوب حسب مميزات الدم التي يسطناها في هذا المقال . وفي اسفلها مفتاح للخريطة ورسوم تبين نسبة اقسام لاندشتينر في الاجناس الستة المذكورة . فالرسم الاول يمثل الشعوب الاوربية وقد رمز اليها في الخريطة بخطوط مائلة وفيه ان الفريق الاول ٤٠ في المائة والفريق الثاني ٤٣ في المائة والثالث ١٢ في المائة واما الفريق الرابع فلم يذكر لقلته . وكل جنس من هذه الاجناس لهُ نسب خاصة به يميز بها عن غيره

وقد كشف لاندشتينر حديثاً ان المادتين (ا) و (ب) موجودتان في دم القرود كالاورانغ اوتان والشمبانزي . ومباحثهُ تدل على وجودها في انواع مختلفة من القرود الشبيهة بالانسان ولا تزال المباحث في هذا الموضوع قيد التحقيق واكتشاف لاندشتينر الاخير اي وجود مميزات الدم في دماء القرود لا يسلل تشوهها بل يبعد بالتحليل الى العصور المتغلغلة في القدم

الادب المصري في القرن التاسع عشر

الكتابة والشعر

بدأ القرن التاسع عشر وسوق الادب كاسدة من جراء ما انتاب البلاد من حكم المماليك الذين لم يعنوا بشيء من العلم والادب والفنون سوى ما اقاموا من مبانٍ تخليداً لذكرهم وتضليلاً للعامة ليحملوهم على الظن بانهم ممن يساعدون على فعل الخير واقامة شعائر الدين . فلم يكن من غرضهم نشر الآداب الاّ بقدر ما كانت تدعوهم الحاجة اليهِ من الاختصاص ببعض الكتّاب والشعراء لنشر اغراضهم او لمكاتبة غيرهم من الامراء . ولم يكن للأدب معاهد يدرس فيها. ولكن مصر كانت محط الادباء الذين التجأوا اليها وموطن الازهر الذي كانت تنبعث منهُ اشعة العلوم العربية الى انحاء العالم الاسلامي — وكان الناس يرون في اللغة العربية وفنونها مفتاحاً لكل العلوم واساساً لتربية العقول . وزاد الناس حبّاً بطلب العلم في هذا المعهد ما حبسهُ اهل الخير على طلابهِ فلم ينقطع عنهُ الوافدون. ولاسيما ان كثيراً من علمائهِ وتلاميذهِ كانوا موضع الاجلال والاكرام من الحكام والامراء واصحاب الرأي وكان منهم القضاة واهل الشورى للسلاطين والامراء كما كان منهم الكتاب والمؤلفون في مختلف العلوم والفنون . فكان الاقبال على الازهر من اكبر الوسائل لاحياء اللغة العربية وآدابها فظهر منهُ الكتاب والشعراء وارباب الاقلام الذين تولوا وظائف الكتابة في الدواوين وغيرها

اما كتابة الدواوين زمن المماليك فكانت مزيجاً من العربية والتركية وخليطاً من الالفاظ العامية والعبارات العجمية . واستمرّ ذلك الى ايام محمد علي حيث فشت العامية في المؤلفات والمراسلات وانحطت درجة الكتابة بطبيعة حال الدولة التي لم يعن اهلها بذلك . وتاريخ ابن اياس والجبرتي من اساليب الكتابة التي كانت فاشية في تلك الايام فكانت الكتابة في حالة انحطاط كما كانت الحال في جميع الاقطار العربية

وكان اكثر اساليب الكتابة البليغة الادبية كالرسائل والمقامات مسجعة جارية على اسلوب الهمذاني والحريري . وانتشر السجع حتى لم يكد يخلو منهُ كتاب او تأليف وحتى تمشى هذا الاسلوب في الكتابة العامية . ولا شك في ان هذا اثر عناية العصر العباسي الاخير بالصناعة اللفظية والمحسنات البديعية . وشاع هذا الاسلوب في الكتابة الادبية

حتى تخطى القرن التاسع عشر[1] فادرك رفاعة بك الطهطاوي (توفى سنة ١٨٧٣ ميلادية) وعبد الله باشا فكري (توفى سنة ١٨٨٩ ميلادية) وعبد الله نديم (توفى سنة ١٨٩٦ ميلادية) وابرهيم بك المويلحي (توفى سنة ١٩٠٦ ميلادية) والشيخ محمد عبده (توفى سنة ١٩٠٧ ميلادية) والسيد توفيق البكري وغيرهم من الكتاب الحديثين كمنشئ بك ناصف وامثاله. على ان ظلال هذا النسيج الحمل ابتدأت تتقلص منذ ان رجع طلاب

---

(١) وهاك نموذجاً من تعريب بعض تلاميذ مدرسة الالسن يدل على تمكن ملكة السجع من نفوس المتعلمين. نقل عن مجلة روضة المدارس:

يحكى ان فقيهاً فرنساوياً (اووكاتو) كان بجواره طباخ ماهر في صنعته. فاتفق له يوماً من الايام وقد وضع كجري العادة ما طبخه ظاهر الدكان على الصواني. واظهر ما عنده من تيس الاواني. واذا بكلب عظيم الجثة. متتابع اللهثة. عدا على اواني اللحم وخطف. والتهم من سائر المطعومات والتف. وكان ذلك الكلب بمحض الصدفة والتقدير. ملكاً لجناب ذلك الفقيه النحرير. فسعى الطباخ في مخالبس اللحم منه فوجده قد عدت عليه من بطنه عوادي الايام. حيث كان الكلب قد اسرع بمجرد الخطف للالتقام والالتهام. وحين علم الطباخ انه لم يتحصل على ذلك. ولم يفرح بما طبخه الا بمن الكذالك. خرج من الغيظ من طرق طبخه المعادي. وعزم على السير الى صاحب ذلك الكلب العادي. فوصل الى بيته مصاحباً لندمه وسدمه. قائلاً من غاية الحزن والكآبة لبعض خدمه: ان مرادي ان اخاطر بحضرة سيدك الجليل المنير. لاستفتيه في دعوى ما لمبتدأها خبر. فاستأذنه خادمه في استقبال الطباخ فدخل عليه فقال اهلاً باكرم جار. واعظم مستفت زار. فقعد الرجل وقد دارت بينهما راح الكلام. وتحدثوا في اجريات الازمان ووقائع الايام. فخاطبه الفقيه بالفراسة. ولزم لين الخطاب ومجانبة الحماسة. قائلاً له ايها المختار. اني اظن ان لك دعوى الجأتك الى الحضور عندي في هذا النهار. فافصح عنها ايها العزيز الحبيب. فاني باذن الله ازيل اشكالها بوجه لا يريب. فقال انما جئت متوكلاً. لاستفتيك في مسألة ليس لها سواك قال وما هي؟ قال ان اتلف كلب شيئاً مملوكاً. سواء كان صاحبه اميراً ام صعلوكاً. هل يرجع في ذلك الى صاحب هذا الكلب. او يبوء صاحب هذا الشيء بهلاك السلب؟ فقال الفقيه ان كان الكلب ملك احد فهو الضامن لما اتلفه ضمان الوالد للولد. فعند ذلك نهض الطباخ على اقدامه. منوقاً الى الفقيه سهام كلامه. وقال ايها الفقيه الفيصل. قد حكمت على نفسك بنفسك فلا تتصل. ان كلبك هو الخصم صاحب الدعوى. وها انت الفقيه صاحب الفتوى. واذا كنت انت الحكم والخصم المهاب. فاحكم بيننا بالحق واهدنا الى طريق الصواب. فعند ذلك اخرج من كيسه نصف ليرة. واعطاها له واظهر انها يسيرة. الا انه عض انامله من الغيظ. وحمار جسمه في حرارة ولا حرارة القيظ. وخرج الطباخ يطلب دكانه وهو في شديد الترح. ظاناً ان بذلك زال عنه ما لاقاه من الترح. واذا بفقيه يصيح عليه. وينادي باعلا صوته بالحضور لديه فارتعدت مفاصل الرجل من الخوف والتخلع قلبه من الجوف. فقال الفقيه ايها الرجل الكريم. لا يخفى عليك ان تفقي وفقنة دائني لم تكن من غير المعاليم. التي اكتسبها من تحقيق الدعاوى وتنميق الفتاوي. وما رأيتك اعطيتني معلوم فصل هذه القضية. التي اتصلت على صورة جميلة مرضية. فقال الرجل وكم ترضاً يدفع لامثالها. فقال له ما جرت عادتي بأخذ اقل من ليرة في كل مسألة افتك معقود عقالها فاخرج له الرجل نصف الليرة الاولى. وزاوجه نصف آخر حين علم ان الفقيه لا يتحول عن ذلك ولا يتنازل فخرج يتمثر في اذياله ويتعجب من هذا الحكم الذي لم يخطر على باله

الارسالية التي ارسلها محمد علي الى اوربا في اواخر النصف الاول من القرن التاسع عشر فقد تأثروا باساليب اللغات الاجنبية فاخذوا يترجمون و يؤلفون كما فعل رفاعه بك الطهطاوي والعالم احمد فدا (المتوفى سنة ١٨٧٧ ميلادية) وابرهيم الدبراوي الذي كان رئيساً لمدرسة الطب (توفى سنة ١٨٦٢ ميلادية) واحمد حسن الرشيدي الطبيب (توفى سنة ١٨٦٥ ميلادية) وغيرهم من العلماء والادباء

وكان من اشهر هؤلاء الكتاب والمؤلفين رفاعة بك الطهطاوي (سنة ١٨٠١ — ١٨٧٣ ميلادية) الذي كانت لهُ آثار عظيمة في الكتابة والادب والشعر فترجم في مختلف العلوم والفنون كتباً ورسائل . و يحسب اسلوبهُ من نماذج اساليب الكتابة المختلفة في القرن التاسع عشر بمصر . فان فيها السجع المرسل المتكلف الممزوج بحسن اختيار الالفاظ و بلاغة العبارة (راجع « مقدمة وطنية » لحضرة رفاعة بك طبعت بمطبعة بولاق سنة ١٢٨٣ هجرية و« الكواكب النيرة في ليالي افراح العزيز المفرة » طبعت بمطبعة بولاق سنة ١٢٨٩ هجرية) وتجد في مؤلفاته السهل الممتنع الذي يشبه اجود اساليب الصحف اليومية عندنا الآن (راجع كتاب « مناهج الالباب المصرية في مباهج الآداب العصرية » طبع بمطبعة بولاق سنة ١٢٨٦ هجرية) . ومن الاساليب التي تحسب احياناً مسجعة واحياناً مرسلة اسلوب الوقائع المصرية منذ ظهورها (سنة ١٨٢٨) الى ما بعد منتصف القرن التاسع عشر . وبقي الادباء يحاكون الاساليب القديمة والموضوعات المعروفة كرسائل التعازي والتعارف قبل اللقاء والعتاب والشوق الى زمن قريب

ولكن محاكاة الاساليب الافرنجية وانتشار التعريب جعل اسلوب الكتابة العربية ينتقل من طور السجع ومحاكاة القدماء الى سهولة التعبير والايجاز في العبارة . ومن اشهر الصحف التي اذاعت هذا الاسلوب الجديد في الترجمة والتأليف مجلة روضة المدارس التي انشئت سنة ١٨٧٠ وكان يحررها نخبة من العلماء كاسماعيل باشا الفلكي و بدر بك الحكيم وعلي باشا مبارك ورفاعة بك وغيرهم . فقد نشر في هذه المجلة كثير من آثار اقلام الكتاب في موضوعات مختلفة من علوم وآداب . والمتأمل في هذه الاساليب يرى انهُ قد حدث في النثر اطوار كان الكتاب يجارون فيها روح العصر العلمية والادبية فرقت اساليب النثر وتعددت مناحيه حتى اصبحت تحتوي على كثير من الاساليب التي عرفت في اللغات الاجنبية . وزاد هذه الاساليب رقة وسهولة انتشار الصحف اليومية والمجلات العلمية . واخذت الرسائل شكلاً آخر غير ذلك الشكل المجموع المعروف . وتزع الكتاب الى اسلوب آخر

غير متكلف وهجر كتاب الجرائد المقدمات التي كانوا يفتتحون بها موضوعاتهم واقتربوا من نفوس الخواص ولقد نراهم احياناً ينزلون باساليبهم الى عقول العامة مع صحة العبارة وسلامتها . كذلك نجد اثر الاساليب الفرنجية وتراكيب اللغات الاعجمية في الكتب المترجمة او المكتوبة حديثاً باقلام من تعلموا اللغات الاجنبية اوماثوا الى محاكاتها . وربما توسعوا في ذلك حتى لقد يخرجون احياناً عن الاسلوب العربي المألوف . ولا يزال هذا الاسلوب الحديث يغمرنا بسيل جارف من الالفاظ الاعجمية والتعبيرات الافرنجية بما ينشره المعربون والمؤلفون وكتاب الصحف . على انهُ في جملته سهل قريب من اذهان الطبقة الوسطى من المتعلمين . ولا شك في ان هذا كلهُ دليل على ان الكتابة العربية في مصر سائرة في طريق آخر غير الطريقة العربية الصميمة

وقد حدث في مصر نوع آخر من النثر وهو النوع القصصي المصبوغ بصبغة مصرية كما في كتاب حديث عيسى بن هشام للمرحوم ابراهيم بك المويلحي . وهذا نوع جديد في الادب المصري اكثر اثراً وادعى الى الحياة في آدابنا الحديثة من اي نوع آخر من انواع النثر . وقد انتشرت اخيراً هذه الروح القصصية بين كتابنا المعاصرين لنا يجارون بذلك آداب الامم الاخرى . لان اكثرهم قرأ تلك الآداب وخبرها وتأثر بها . وما ينشر الآن بيننا منها كثير يبشر بنهضة ادبية عظيمة . على ان اكثرهم لا يزال في بادئ الصناعة يحتاج الى كد طويل وتفكير عميق وتجربة وتفنن في هذا الاسلوب الجديد حتى يقرب من الاتقان والكمال

هذا ما حدث في النثر الفصيح اما ما كان في النثر العامي او القريب من اللهجة العامية فان اثرهُ لا يقل عن ذلك في الادب المصري الحديث بل يكاد يكون اسبق من غيره لانهُ يمثل الحياة المصرية والاخلاق المصرية في جملتها . وقد انتشر هذا النوع في الثلث الاخير من القرن التاسع عشر وكان من مبتكريه المرحوم عبدالله نديم بروايتيه « الوطن» و«العرب» اللتين انتقد فيهما كثيراً من المسائل السياسية والاجتماعية والخلقية كما كتب مقالات متعددة من هذا النوع جمعت في كتاب سمي (سلافة النديم) كمقالة (مسهرة الانطاع او عربي تفرنج ومقالة مجلس وطني) وغيرها . وقد رأينا في السنة الثانية من مجلة روضة المدارس رواية تمثيلية كتبت باللغة العامية اسمها (الفتح المنصوب للحكيم المغصوب) . وهذا يدل على ان هذا النوع من الكتابة العامية ابتدأ ينتشر منذ ذلك . وهو على الرغم من بعده من العربية الفصحى قليلاً او كثيراً يحسب نوعاً

من انواع الادب المصري الذي انتشر بيننا الآن بما تراهُ من القصص التمثيلية المزلية المعروفة عندنا فانها تحتوي على كثير من نقد احوالنا الاجتماعية . ولا يزال الادب المصري في اول مرحلة من مراحله . وسنتكلم عن الشعر المصري الحديث في مقال آخر

احمد ضيف

جابر بن حيان

١ — ماهيته التاريخية

لعل أبا عبدالله او ابا موسى[1] جابر بن حيان بن عبدالله اشهر من يذكرهُ تاريخ العلم في العصر العربي من العلماء . فان اسمهُ يقترن من حيث الشهرة ومن حيث الاثر النافع باسماء العظماء من رواد الحضارة والعمران . ولقد قال فيهِ الاستاذ « برتيلو » المؤلف الفرنسوي ، وصاحب كتاب « تاريخ الكيمياء في القرون الوسطى » ان اسمهُ يتزل في تاريخ الكيمياء منزلة اسم ارسطوطاليس في تاريخ المنطق . فكانَّ جابراً عند « برتيلو » اول من وضع لعلم الكيمياء قواعد علمية تقترن باسمهِ في تاريخ الدنيا

ولقد عُرف جابر بن حيان في العالم اللاتيني باسم « جيبر » Geber واشتهر بكتاب عرف في اللاتينية باسم Summa perfectionis — ويقول العلامة هوليارد بان هذا الكتاب مأخوذ عن كتاب جابر المسمى « الخالص » . على ان لجابر في العالم اللاتيني كثيراً من المؤلفات المنسوبة الى من يعرفونهُ باسم « جيبر » ، غير ان هذا الكتاب اشهرها واعمها بين الناس انتشاراً . على ان الفرق بين « جابر » و بين من يعرف في العالم اللاتيني باسم « جيبر » قد ذهب ببعض المؤلفين في العصور الاخيرة الى القول بانهما شخصان مختلفان . ولكن الاستاذ هوليارد قد اثبت ان جابر بن حيان هو بعينهِ المعروف في العالم اللاتيني باسم « جيبر » ، وان كل الكتب المنسوبة في اللاتينية الى الاسم الاخير هي تراجم او اقتباسات عن مؤلفات العالم الفارسي اصلاً ، العربي نسبةً

في القرن الثامن الميلادي (الثاني من الهجرة) عاش جابر بن حيان في بلاط الخليفة هرون الرشيد في بغداد . وكان على صلة حسنة بالبرامكة ، والظاهر من سيرتهِ انهُ

(١) يقول بعض المؤرخين ان اسمه ابو عبدالله وآخرون يقولون انه ابو موسى واذا صحت الروايتان دلتا على انه كان لجابر ولدان يدعى احدهما عبدالله والآخر موسى

كان اشد تعلقاً بهم منهُ بخليفة المسلمين[1] ، لان البرامكة كانوا يعلقون على علم الكيمياء شأناً كبيراً ، وكانوا يشتغلون بذلك العلم و يدرسونهُ درساً عميقاً . ولقد ذكر جابر في كتابهِ « الخواص » كثيراً من المحاورات التي وقعت بينهُ و بينهم في مفصلات هذا العلم. و يقول القفطي في ترجمة جابر في كتابهِ « تاريخ الحكماء »[2] انهُ برز في فروع العلوم الدائمة في عهدهِ ولاسيما علم الكيمياء . والظاهر انهُ كان لهُ نصيب من الاشتغال بعلم الطب وطرق العلاج ، لانهُ كان من الشائع في ذلك العهد ان يقترن العلم بالكيمياء بالعمل في في صناعة الطب

كل هذه الاشياء تحوط اسم جابر بن حيان بكثير من الاسباب التي تدعو الى التأمل والنظر . اما ماهيتهُ التاريخية فالمحقق منها اشياء خمسة :

اولاً — ان اسمهُ جابر بن حيان (بن عبدالله)[3]

ثانياً — انهُ كان فارسيًّا اصلاً ، عربيًّا نسبة ومنشأ

ثالثاً — انهُ عاصر الرشيد والبرامكة

رابعاً — انهُ كان على صلة ما بجعفر الصادق

خامساً — انهُ اشهر من ألف في العربية في علم الكيمياء

***

٢ — حياته ومولده

هو ابو عبدالله جابر بن حيان بن عبدالله الكوفي[4] وقد يذكر بكنية ابي موسى . ولا يعرف بالضبط مكان ميلادهِ . ولكن كل الثقاة من المؤرخين يكادون يجمعون على انهُ ولد اما بطوس في خراسان ، في الشمال الشرقي من بلاد فارس ، وإما في حران بالعراق . على انَّ بعض الذين ترجموا عن حياتهِ من المشتغلين بعلوم المشرق وتاريخهِ يرجحون

(١) ولعل هذه الصلة راجعة الى عاطفة قوميه اكثر منها الى علاقة علمية

(٢) « جابر بن حيان الصوفي الكوفي » كان متقدماً في العلوم الطبيعية بارعاً في صناعة الكيمياء وله فيها تآليف كثيرة ومصنفات مشهورة . وكان مع هذا مشرقاً على كثير من علوم الفلسفة ومتقلداً للعلم المعروف بعلم الباطن . وهو مذهب المتصوفين من اهل الاسلام — وذكر محمد بن سعيد السرنسطي المعروف بابن المشاط الاصطرلابي الاندلسي انه رأى لجابر بن حيان تأليفاً في عمل الاصطرلاب يتضمن الف مسألة لا نظير له » راجع تاريخ الحكماء ص ١١١ طبع مصر

(٣) ولعل عبدالله تسمية لغير معروف كالعادة المتبعة في صرف اسم (عبدالله) عن الجد غير المعروف في نسبة شخص ما

(٤) راجع ابن النديم في كتاب الفهرست

ان طوس مسقط رأسهُ[١] وكذلك يجمع كل الثقاة على انهُ قضى شطراً من حياتهِ في مدينة الكوفة [٢] — وكان صديقاً للبرامكة وزراء هرون الرشيد[٣] ، وانهُ عاش ردحاً من الزمان في بلاط بغداد . وقد ينسبهُ بعض الباحثين الى طرسوس ، كما فعل المستشرق « وأستنفلد » Wastenfeld او يذهب غيرهُ الى انهُ صابئيٌّ من حرّان ، كما فعل المستشرق « دربلو » — d'Herbelot — في المؤلف المسمى « المكتبة الشرقية » Bibliothèque Orientale — ص ٣٦٠

ومن اغرب ما عثرت عليهِ في اقوال بعض الذين ترجموا عن حياة جابر من الافرنج ان بعضهم نسبهُ الى اشبيلية من بلاد الاندلس[٤] وليس هذا هو الخطأ الوحيد الذي وقع فيهِ الاوريبون في ترجمة جابر . فقد ذكر في بعض التراجم ان جابر — «اشهر امراء العرب وفلاسفتهم» [٥] . وفي موضع آخر انهُ عربي مجرد عن كل نعت[٦] ثم تجد انهُ « ملك العرب » [٧] وفي مخطوطة [٨] — من المخطوطات نعت بانهُ ملك العجم ، وفي مخطوطة نادرة كتبت قبل سنة ١٥٠٠ م يدعى بملك الهند [٩] — وهذا يدل على ان

(١) يقول الاستاذ هولمارد (Holmyard) « ان الراجح ان يكون جابر بن حيان قد ولد بطوس مسقط رأس الفردوسي الشاعر الفارسي المشهور » . راجع مجلة Science Progress عدد شهر يناير سنة ١٩٢٥ ص ٤٢٠

(٢) قال الاستاذ هولمارد — « يقال ان معمل جابر بن حيان الكيماوي قد صُرّ به في اثناء الحفر في انقاض منازل بمدينة الكوفة منذ قرنين من الزمان» . راجع مجلة Science Progress عدد يناير سنة ١٩٢٥ ص ٤٢٠

(٣) يستدل على ذلك بانه اهدى اليهم كثيراً من كتب الدروقة

(٤) يرجح كثيراً ان السبب في هذا الخطأ راجع الى تشابه في الاسم بين جابر ابن حيان وجابر ابن افلح الاشبيلي الفلكي المعروف الذي عاش في اخر القرن الحادي عشر الميلادي (القرن الخامس الهجري)

(٥) راجع ترجمة رسل — Russell — لمؤلفات جابر المطبوعة بالانكليزية في لندن سنة ١٦٧٨ م ، حيث ذكر انه "the most famous Arabian prince & philosopher"

(٦) راجع النسخة المطبوعة من مؤلفات جابر في نورمبرج Nuremburg سنة ١٥٤١ م

(٧) في النسخة المطبوعة من مؤلفاته في « دانزج Danzig » سنة ١٨٤٢ م . ومن الغريب ان تطبع هذه النسخة في اواسط القرن التاسع عشر ويدعى فيها جابر بانه ملك العرب مع ان الاوربيين كانوا قد جاسوا خلال الشرق وكل كتب التراجم العربية المشهورة لا يخلو منها كتاب من ترجمة لجابر

(٨) Liber practicus Geberis de investigatione perfectai Majestrii في مكتبة بودلي باكسفورد

(٩) Liber qui Flos nautrarum vocatur, 1473. طبع سنة ١٤٧٣ .

الاوربيين حتى عهد قريب لم يحققوا شخصية جابر بن حيان ، وان كل علمهم بشخصه كان قاصراً على انهُ « شرقي » وان غالبهم كان يعتقد انهُ « عربي » ، في حين انهُ فارسي ينسب الى المدرسة الكيماوية العربية

***

و يستدل من التواريخ المحققة ان البرامكة ظلوا متمتعين بثقة هرون الرشيد سبعة عشر عاماً اي من سنة ٧٨٦ الى ٨٠٣ ميلادية (١٧٠ — ١٨٨ هـ) . فعلى هذا نستطيع ان نرجع بحياة جابر في عهد نشوئهِ وشبابهِ الى تاريخ سابق على سنة ٧٦٥ م (١٤٨ هـ) وهي السنة التي توفي فيها جعفر الصادق ، وان عهد رجولتهِ يقع في الربع الاخير من القرن الثامن الميلادي الى ما بين (٧٧٥ — ٨٠٠ م = ١٥٩ — ١٨٤ هـ) اما حجي خليفة في كتاب « كشف الظنون » فيقول بانهُ توفى سنة ١٦٠ هـ . اي ما بين سنتي ٧٧٦ و٧٧٧ ميلادية . غير ان هذا القول ظاهر الخطإ اذا راعينا الاعتبارات السابقة وذكرنا علاقة جابر بالبرامكة ، تلك العلاقة المحققة الوجود بكثير من المراجع التاريخية الثابتة

اما الجلدكي [1] فقد روى في كتابهِ « نهاية الطلب » كثيراً مما عانى كيماويو العرب لدى اول اشتغالهم بهذا العلم من الاضطهاد والمصاعب . وذكر عن جابر بن حيان انهُ خلص من الموت مراراً عديدة ، كما انهُ قاسى كثيراً من انتهاك الجهلاء لحرمتهِ ومكانتهِ ، وانهم كانوا يحسدون عليهِ عملهُ وفضلهُ ، وانهُ اضطر الى الالتجاء ببعض اسرار الصناعة (اي الكيمياء) الى هرون الرشيد والى يحيى البرمكي وابنيهِ الفضل وجعفر ، وان ذلك هو السبب في غنائم وثروتهم . ولما ساورت الرشيد الشكوك في البرامكة وعرف ان غرضهم نقل الخلافة الى العلويين مستعينين على ذلك بمالهم وجاههم ، وقتلهم عن آخرهم ، اضطر جابر بن حيان ان يهرب الى الكوفة خوفاً على حياتهِ [2] حيث ظل مختبئاً حتى ايام المأمون فظهر بعد احتجابهِ . وكل ما يهمنا في هذه الرواية أن المعروف على رواية ابن النديم وحجي خليفة انهُ توفي سنة ١٦٠ هـ (٧٧٦ — ٧٧٧ م) . ولكن اذا صحت رواية الجلدكي فلا بد من ان يكون جابر قد عاش بعد هذا العهد بزمان طويل ، لان المأمون لم يرتق عرش الخلافة الاَّ سنة ١٩٨ هـ = ٨١٣ م . وهذه الروايات المتناقضة توسع مجالاً كبيراً للبحث والتأمل

(١) مؤلف واسع الاطلاع على تاريخ كيماويي العرب توفي سنة ١٣٦٠م ٧٦٣ هـ
(٢) لعل هذا هو السبب في نسبة الكوفة عند بعض المؤرخين

٣ — مؤلفاته

كان جابر بن حيان من اكثر العلماء كتابة وتأليفاً. اما قائمة كتبه الاصلية التي كانت بين يدي ابن النديم صاحب الفهرست فقد فقدت . وكذلك تجد ان القائمة التي ذكرها في الفهرست ناقصة لا يعتمد عليها كمرجع يصح ان يعتبر كاملاً . اما العلامة « فلوجل » — Fluge — الالماني فاعتمد عليها واتخذها مرجعاً تاماً ، وكان ذلك من اكبر الاخطاء التي اعثورت بحثهُ في حياة جابر هو وتلاميذهُ الملتفون من حوله ، الناحون في البحث نحوهُ [1] اما ترجمة « برتيلو » [2] لاسماء الكتب التي اخذها عن الفهرست لابن النديم فاكثرها غير صحيح ، وفي ذلك دلالة على انهُ لم يستطع ان يدرك معنى الاسماء ادراكاً تاماً ، وانهُ لم يحقق ما وقع فيها من التصحيف والخطأ النقلي

اما اذا اردنا ان نذكر كل مؤلفات جابر التي تناقلت اسماءها الالسن منسوبة اليهِ فان ذلك يشغل فراغاً كبيراً . ولكننا نذكر هنا اشهر كتبهِ المعروفة مقسمة الى اربعة اقسام — الاول — (ا) الكتب التي ذكرها صاحب الفهرست والتي يوجد منها طبعات معروفة او مخطوطات محفوظة الثاني (ب) كتبهُ المشهورة التي لم تعرف في العالم العربي الحديث وعرفت في اوربا — والثالث (ج) الكتب المذكورة في الفهرست وهي اما معروفة بالاسم فقط واما موجودة بالفعل — والرابع (د) الكتب التي لم تعرف الأعناوينها

ولقد اجمع اكثر من وقفت على كتاباتهم في جابر على ان كتاب « السموم » من الكتب التي فقدت ولم يعرف منها الاَّ اسمها ، ولكن الحقيقة على الضد من ذلك كما سنرى بعد

***

(ا) الكتب التي ذكرها صاحب الفهرست والتي يوجد منها طبعات معروفة او مخطوطات محفوظة

(١) كتاب اسطقس الاس الاول نقل بالزنكوغراف في الهند سنة ١٨٩١

(٢) كتاب اسطقس الاس الثاني نقل بالزنكوغراف في الهند سنة ١٨٩١ الجزء الثاني منهُ دون الاول

(٣) كتاب اسطقس الاس الثالث نقل بالزنكوغراف في الهند سنة ١٨٩١ و يظهر ان الجزء الثالث من هذا الكتاب هو المعروف عند صاحب الفهرست بكتاب الاسطقس

(١ و ٢) راجع الاستاذ هولمارد رئيس القسم العلمي في الجمعية الطبية الملكية باختصار من مقالات عن جابر بن حيان

(٤) كتاب تفسير الاسطقس. هذا يضاف الى الكتب الثلاثة المتقدمة ولم يذكره صاحب الفهرست

(٥) كتاب الواحد الاول منهُ نسخة بالقسم العربي من المكتبة الاهلية (Bibliothèque Nationale) بباريس في المجموعة رقم ٢٦٠٦ ، ويرجح انهُ هو بعينه الكتاب الذي ذكرهُ صاحب الفهرست باسم كتاب الواحد الكبير

(٦) كتاب الواحد الثاني منهُ نسخة بالمكتبة الاهلية بباريس بالمجموعة رقم ٢٦٠٦ ويرجح انهُ المعروف عند ابن النديم باسم كتاب الواحد الصغير

(٧) كتاب الركن يرجح انهُ بعينهِ كتاب الاركان . وقد اخذت مقطوعات منهُ في القسم السابع من كتاب « رتبة الحاكم » للمجريطي ، ويقول هوليارد بان كتاب رتبة الحاكم نسب خطأً الى المجريطي . وقد ذكر جابر ثمنهُ كتاباً لهُ باسم كتاب الاركان الاربعة في كتابهِ « نار الحجر » اما المجريطي فهو ابو القاسم مسلمة بن احمد المجريطي الذي عاش في مدينة مدريد في حكم الحكم الثاني (٩٦١ — ٩٧٦ م) درس الفلسفة والرياضيات والفلك والكيمياء في الشرق وكان على صلة باخوان الصفا ، ويظن انهُ كتب بعض فصول من رسائلهم المعروفة ، بما في ذلك الفصل المكتوب في الكيمياء وقد اكثر من ذكرهم في كتابهِ رتبة الحاكم

(٨) كتاب البيان نقل بالزنكوغراف في الهند سنة ١٨٩١

(٩) كتاب النور نقل بالزنكوغراف في الهند سنة ١٨٩١

(١٠) كتاب الزئبق . طبع برتيلو المؤلف الفرنسوي كتابين احدهما باسم كتاب الزئبق الشرقي والآخر باسم كتاب الزئبق العربي نقلهما عن مكتبة ليون في القسم العربي بمجموعة رقم ٤٤٠ ، ومنهما نسختان بالمكتبة الاهلية بباريس بالمجموعة رقم ٢٦٠٦

(١١) كتاب الشعر منهُ نسخة بالمتحف البريطاني بالمجموعة رقم ٧٧٢٢ غرة ه

(١٢) كتاب التبويب منهُ نسخة بالمكتبة الاهلية بباريس بالمجموعة رقم ٢٦٠٦ ، وذكرهُ الطغرائي ، راجع المجموعة رقم ٨٢٢٩ بالمتحف البريطاني

(١٣) كتاب الدرة المكنونة في المتحف البريطاني مخطوطة بهذا العنوان ضمن مؤلفات جابر بن حيان بالمجموعة رقم ٧٧٢٢

(١٤) و(١٥) كتاب الشمس، وكتاب القمر اي كتاب الذهب، وكتاب الفضة ،

يرجح انهُ مختصر عن كتاب الاحجار السبعة وقد ذكرهُ الجلدكي في نهاية الطلب ، ومنهُ نسخة بالمكتبة الاهلية بباريس بالمجموعة رقم ٢٦٠٦

(١٦) كتاب التراكيب منهُ نسخة بالمكتبة الاهلية بباريس بالمجموعة رقم ٢٦٠٦ ويرجح انهُ الذي ذكر في الفهرست باسم كتاب التراكيب

(١٧) كتاب الحيوان . يذكر الجلدكي كتابًا نسبة الى جابر بعنوان كتاب حياة الحيوان

(١٨) كتاب الاسرار . يرجح انهُ كتاب سر « الاسرار » المحفوظة منهُ نسخة بالمتحف البريطاني (بالمجموعة رقم ١٣٤١٨ نمرة ١٤) وانهُ هو الذي ذكر منهُ الطغرائي عدة مقطوعات في عدة مواضع (راجع مجموعة المتحف البريطاني رقم ٨٢٢٩) وفي اللاتينية مخطوطة تنسب الى جابر عنوانها (Secreta secretorum) في كلية جونفيل وكايوس Govnille & Caius college رقم ١٨١ وفي كلية كوربس كرستي Corpus Christi كيردج رقم ٩٩

(١٩) كتاب الارض . لجابر كتاب « ارض الاحجار » طبعه برتيلو مأخوذاً عن مجموعة ليدن رقم ٤٤٠ ومنهُ نسخة بالمكتبة الاهلية بباريس بالمجموعة رقم ٢٦٠٦

(٢٠) كتاب التركيب الثاني منهُ نسخة بالمكتبة الاهلية بباريس بالمجموعة رقم ٢٦٠٦

(٢١) كتاب الخواص . منهُ نسخة بالمتحف البريطاني رقم ٤٠٤١ و بالمجموعة رقم ٢٣ ٤١٩

(٢٢) كتاب التذكير . ترجم العلامة هوليارد اسم هذا الكتاب في الانجليزية (The book of rendernig Masculin) فهو اذن خاص بالبحث في عنصر الانتاج المعروف وليس مأخوذ عن مجرد التذكر الذهني . وفي المتحف البريطاني مخطوطة بهذا العنوان مذكورة ضمن مؤلفات جابر بالمجموعة ٧٧٣٢ رقم ١٢

(٢٣) كتاب الاستتمام . ذكر الطغرائي بعض مقطوعات صغيرة من هذا الكتاب (راجع محفوظات المتحف البريطاني رقم ٨٢٢٩) وكذلك ذكرهُ الجلدكي في كتابهِ نهاية الطلب . وهذا الكتاب يقابل اسم الكتاب المعروف في اللاتينية ومنسوب الى جابر بعنوان Liber de investigatione perfectioni

(٢٤) كتاب الاحجار نقل بالزنكوغراف في الهند سنة ١٨٩١

(٢٥) كتاب الروضة . ذكرهُ الجلدكي في الجزء الثاني من كتابهِ نهاية الطلب

(٢٦) كتاب المنافع في مكتبة برلين مخطوطة رقم ٤١٩٩ بعنوان كتاب منافع الاحجار

(٢٧) كتاب الايضاح نقل بالزنكوغراف في الهند سنة ١٨٩١

(٢٨) كتاب مصححات افلاطون منهُ نسخة بالقسطنطينية بمكتبة راغب باشا مجموعة ٩٦ رقم ٤

(٢٩) كتاب الضمير منهُ نسخة بالمكتبة الاهلية بباريس بالمجموعة ٢٦٠٦ وذكرهُ الجلدكي في الجزء الثاني من نهاية الطلب باسم كتاب الضمير في خواص الاكسير

(٣٠) كتاب الموازين طبعهُ برتيلو مأخوذاً عن نسخة بليدن محفوظة بالمجموعة ٤٤٠ وبظن مستر هولياردان هذا الكتاب هو المعروف باسم Liber de ponderibisartis المحفوظة منهُ نسخة في مكتبة الجمعية الكيماوية بباريس رقم ١٦٥٤ ص ١٠٣ في فهرست المكتبة

(٣١) كتاب الملك ذكر صاحب الفهرست ان جابر قد ذكر انهُ الف كتاباً باسم كتب الملك . وهذا يدل ان صح على ان الكتاب المذكور كان يتكون من عدة كتب جمعت تحت عنوان واحد . ومما يؤيد هذا الزعم ان برتيلو طبع كتاب الملك عن نسخة بليدن رقم ٤٤٠ في المجموعة العربية في حين توجد نسخة اخرى مختلفة عما طبع برتيلو في المكتبة الاهلية بباريس رقم ٢٦٠٥ وهاتان النسختان مختلفتان عن نسخة من كتاب الملك نقلت بالزنكوغراف في الهند سنة ١٨٩١ . ويرجح هولياردان هذا الكتاب نقل الى اللاتينية وذكرهُ بوريليوس Borellius راجع محفوظات الجمعية الكيماوية بباريس رقم ١٦٥٤ ص ١٠٣ وذكرهُ كاريني Carini ايضاً بعنوان Rivista sicula

(٣٢) كتاب الرياض . منهُ نسخة بمكتبة بودلي رقم ٧٠ واخرى بالمتحف البريطاني مجموعة ٧٧٢٢ رقم ٥

اسمعيل مظهر

الطيران التجاري

في اوربا

اصبح الطيران التجاري في اوربا عملاً منتظماً وقد انتشرت فوق اوربا شبكة كبيرة من الخطوط الهوائية فينتقل بالطيارات الوف المسافرين وتنقل مقادير كبيرة من البضائع. ولولا مساعدة الحكومات للمهتمين بهذا العمل وتنظيمهم لمات في مهده ولما كان كما نراهُ اليوم زاهياً زاهراً

وقفت حكومات اوربا عام ١٩٢٠ امام امرين حقيقيين — اما ان تقف وقفة الناظر الى هذا العمل فيموت واما ان تمدّ اليهِ يدها فيحيا و يعيش فعضدت الامر الثاني وشجعت القائمين بهِ وامدتهم بالاموال فازدهى ونما وذلك لانها رأت في احيائهِ واسطة جديدة للدفاع عن بلادها ووسيلة فعالة لدرء الكوارث عنها لذلك لا تجد في اوربا كلها ولا في العالم بأسره خطًّا هوائيًّا تجاريًّا مستقلاً ينفق على تعزيزهِ من ارباحهِ وعوائدهِ غير خط الشركة الهولندية الذي يعتبر من اكثر الخطوط التجارية شغلاً وانقاناً يزيد دخلهُ شيئًا قليلاً على نفقاتهِ

فشركات الطيران الانكليزية تتناول كل سنة من حكومتها مليون جنيه انكليزي والشركة الهولندية تتقاضى من حكومتها كل سنة ستة عشر الف جنيه انكليزي وقد تناولت شركات الطيران الافرنسية من حكومتها ما يقارب سبعة وسبعين مليون فرنك في السنة الماضية ولا يعلم بالتمام ما تتناولهُ الشركات الالمانية من حكومتها لتعزيز خطوطها

ولقد بلغ عدد الذين نُقلوا بالطيارات من محل الى آخر في اوربا سنة ١٩٢٤ تسعين الفًا وتضاعف عددهم سنة ١٩٢٥ اما مقدار الشحن والوسق فلا يوجد احصاء رسمي لهُ الاَّ انهُ في ازدياد مطّرد

واليك البيان الآتي عن الخطوط التجارية الهوائية في اوربا :

تقوم الطيارة الساعة التاسعة والنصف صباحاً من مطار تمبلدرف في برلين الى امستردام فتصلها الساعة الثانية والنصف بعد الظهر ومنها اما ان تستأنف طيرانها الى لندن فتصلها الساعة السادسة والنصف مساء واما ان تتجه الى باريز فتبلغها الساعة السابعة مساء فتكون

المسافة بين برلين ولندن بالطيارة تسع ساعات وبينها و بين باريز تسع ساعات ونصف ساعة وتستغرق هذه السفرة بين برلين ولندن اثنتين وعشرين ساعة في اسرع قطار بخاري و بينها وبين باريز عشرين ساعة

وتترك الطيارة موسكو عاصمة السوفيات الساعة السابعة صباحاً فتصل الى كونجسبرغ الساعة السادسة مساء ومنها يركب المسافر القطار السريع فيصل الى برلين في الصباح الثاني اي تستغرق السفرة بين عاصمة السوفيات و بين لندن و باريز ستاً وثلاثين ساعة يقابلها ثلاثة ايام بالقطار الحديدي لو سار كل هذه المسافة به

ولا تستغرق الرحلة من باريز الى ڤينا بالطيارة اكثر من نهار واحد ومنها اي من باريز الى بلغراد ست عشرة ساعة والى الاستانة اربعاً وعشرين ساعة اي ان السفرة من باريز الى الاستانة لا تستغرق اكثر من يوم كامل واذا لم تطر الطيارة ليلاً تناولت ثلاثة ايام مقابل خمسة ايام في القطار الحديدي

ثم ان هلسنفور عاصمة فنلندا وكوبنهاغن وموسكو وورسو و پراغ وڤينا و بودابست و بلغراد والاستانة متصلة رأساً بالخطوط الهوائية مع برلين و باريز ولندن

ولفرنسا الآن المقام الثاني في الطيران التجاري ففيها تسعة خطوط — اثنان منها يسيران الى مستعمراتها الافريقية والباقية الى انحاء متعددة في اوربا . الا ان الخط من باريز الى لندن اكثرها عملاً وحركة و يستخدمه السياح الاميركيون كثيراً واجرة السفر فيه ستة جنيهات يتلوه في الشأن خط باريز — بروكسل — استردام واجرة السفر فيه مثل اجرة الدرجة الاولى في السكة الحديدية

وهنالك خطان هوائيان يكادان يعادلان الخطين المذكورين آنفاً اهمية وشأناً

— الاول يسير شرقاً من باريز الى زوريخ فبراغ فورسو فڤينا و بودابست فبخارست فالاستانة فانقره . والثاني يسير من طولوز على الشاطئ الاسباني الى الدار البيضاء في افريقيا الى دكر في السنغال وخط من اليكانت في اسبانيا الى الجزائر وآخر من انتيبس الى تونس

و يعتبر مطارها الذين في اللابورجه على تسعة اميال من باريز من ارقى المطارات الاوربية فهنالك البنايات الفخمة التي لا تحرق والنزل المتقنة وشعب البريد المنظمة والمحطات للارصاد الجوية ومن هذه المحطات يتناول الطيارون التقارير الرسمية عن الاحوال الجوية فيأخذون للامر اهبته

ولالمانيا المركز الاول في عالم الطيران التجاري وهي وروسيا الدولتان الوحيدتان اللتان تسيّران خطوطاً رسمية الى مدنهما في الداخل والسبب في ذلك انصراف الدول عن التعاطي معهما واقامتها الصعوبات المتعددة بينها وبينهما

وتعتبر برلين اليوم نقطة مركزية في شبكة تجارية هوائية كبيرة تمتد منها الخطوط الهوائية الى كل مدينة كبيرة في ولايات المانيا والى ممالك البلطيق والشمال

تخرج من برلين ثماني عشرة طيارة للركاب كلّ يوم الى كونجسبرج ومنها الى موسكو فالمدن البلطيقية ريغا وريفال وهلسنفور ومن هذه المدن تمتد الخطوط الى دورمدن التي ينتظر ان تتصل في القريب العاجل بيراغ والبلقان متى تم الاتفاق مع تشكوسلوفاكيا. ويسير خط يومي الى ليبسك وستتغارت وسوبسرا وتمتد خطوط غربية الى هنبرغ وبريمن واستردام حيث تتصل بالخطوط الممتدة الى لندن وباريز

وفي الجنوب تصل الخطوط الهوائية موتيخ وستتغارت وفرنكفورت وغيرها من المدن الكبيرة ببرلين وهمبرغ وبريمن وڤينا وبودابست وتمتد خطوط هوائية الى كوبنهاغن واستوكهلم واستردام

وتمتاز المانيا عن غيرها بان لها خطوطاً تحمل بريدها ليلاً فتبرح الطيارة برلين الساعة العاشرة ليلاً فتصل مالمو في اسوج صباحاً فينقل البريد الى القطار السريع في استوكهلم الساعة السابعة والنصف

وقد عززت المانيا مطاراتها الهوائية ومحلات النزول فيها. فمطار تمبلدروف في ضواحي برلين يعتبر من ارقى المطارات الاوربية ترتيباً وتنظيماً وتهيّئ المحطة العامة فيه للارصاد الجوية الخرائط المتقنة التي تنبئ عن الاحوال الجوية في اوربا كلها. وفي المطار ذاته مركز متقن للراديو متصل بكثير من المدن الكبيرة في اوربا كلها

وتضاه محطات النزول بين برلين وكوبنهاغن في الطيران الليلي

اما الخطوط النمساوية فتتمة لخطوط الافرنسية في شرقي اوربا وتتصل النمسا بواسطة الخطوط الافرنسية بزورخ وباريز ولندن في الغرب وبالبلقان وبالاستانة في الجنوب الشرقي وبخط آخر يمتد الى ورسو. اما اتصالها بالبلطيق فبواسطة خط بولوني يمرّ بورسو الى دنتزغ ومنها يتصل بالخط الالماني

ويصل خط المانيا ڤينا بموتيخ ومنها يتصل بالمدن الالمانية وبهولندا وبالبلاد السكاندينافية

اما روسيا فقد اضطرت ان تخطو خطوة كبيرة في هذا العمل بسبب رداءة سككها الحديدية وتراخي أجزاء جمهوريتها المتسعة فبذلك الف ميل بين اركنجل في الشمال وباكو على بحر قزوين وستة آلاف بين موسكو وفلاديفستوك

فنيها خط يسير بين موسكو وكونجسبرغ فيتصل بالخطوط الالمانية وخطان آخران يسير الاول منهما الى الجنوب الى روستوف وتفليس وباكو والثاني يتجه من موسكو الى لننغراد وخط يسير شرقي الاورال وآخر يسير في سيبيريا. وتعدّ الحكومة الخطوط الجديدة لربط مدن سيبيريا الاوربية

اما هولندا فالخطوط فيها دولية بسبب صغر البلاد فتسير الخطوط المنظمة فيها الى بروكسل وباريز ولندن وكوبنهاغن وهمبرغ . وتسيّر الشركة الهولندية كل يوم خطين منتظمين الاول من استردام الى روتردام وباريز والثاني من استردام الى روتردام فلندن

ولاستردام اليوم مركز خطير في النقل والانتقال الجوي فهي فضلاً عن انها منتهى الخطوط الهوائية تعتبر ايضاً نقطة تحويل للخطوط الافرنسية والانكليزية والالمانية والسويسرية والدنماركية ومنها ايضاً يتفرق الركاب الى جهات اوربا المختلفة ويوزع البريد الى انحاء اوربا السحيقة كهلسنفور وموسكو وورسو والاستانة

اما حالة الطيران التجاري في بريطانيا العظمى فمختلفة تماماً عنها في الممالك التي ذكرناها اذ لا فرق يذكر في الوقت بين ما تقطعهُ البواخر في المياه والطيارات الطائرة في الجو فالسفر من لندن الى باريز في البحر وفي القطار يستغرق سبع ساعات وفي الجو حوالي ثلاث ساعات اما الخطوط الدولية المستعملة اليوم فتربط لندن باستردام وباريز وزورخ وتفكر الحكومة في تسيير الخطوط الهوائية المنظمة من بلادها الى مستعمراتها ومناطق نفوذها في الشرق الادنى

اما دول اوربا الصغرى فبعضها لهُ خطوط خاصة به والبعض الآخر يسعى لتأسيس خطوط هوائية جديدة

الخلاصة مما تقدم اولاً ان في اوربا اليوم خطوطاً هوائية تجارية تسير من بلاد الى بلاد ومن مدينة الى اخرى وان مقدار البضاعة المنقولة على ازدياد مطرد

ثانياً — لا يمكن تسيير الخطوط التجارية بدون مساعدة الحكومة المالية لان تسيير الشركات لها مستقلة عاد عليها بالخسارة

بيروت نجيب نصّار

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب فتحناه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكن العهدة فيما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستحق على المطولة

دروز حوران وابرهيم باشا

حضرة العلامتين صاحبي المقتطف الاغر

كتب الصديق المحقق سليمان بك ابو عز الدين روايات اخرى عن حوادث الدروز وابرهيم باشا المصري في مقتطف مارس الماضي (٦٨ : ٣١٦) ولكثرة الروايات التي دوّنها بعض من شهدها او سمع بها اختلفت الآراء واحتاجت الى التمحيص ولعلنا نقف على اوراق اخرى اصح رواية فنقول : (قطعت جهيزة قول كل خطيب) وهذا جوابي على كلامه اللطيف وحسن ظنه بي :

نزوح الدروز الى حوران — كثرت مواقع القيسيين واليمنيين في سورية ولبنان منقولة معهم من البلاد العربية وحوران وتأصلت جذورها بين السكان حتى حمي وطيس الحرب مراراً بين المتحزبين لما نوضحه مقالة مطولة في هذه الحروب واصلها وشعار المتحاربين وعلاماتهم وعاداتهم في حفلاتهم والويتهم والاسر المنتمية اليهم لا تزال مخطوطة

وجل ما عرفت عن المشايخ الحمدانيين ورفقائهم بني ابي فخر انهم هجروا لبنان قبل موقعة عين دارة سنة ١٧١٠ لاسباب كثيرة اهمها

(اولاً) احرقت بلاد الغرب التي منها كفرا مراراً قبل موقعة عين دارة المذكورة لان اليمنيين اندحروا في موقعة الناعمة سنة ١٦١٦ وقتل منهم مائتا رجل ومن القيسيين ثلاثون واستولى الامير علي المعني القيسي على بيروت واحرق الغرب والجرد والمتن بعد نهبها وهدم حارتي خالد الامير محمد الارسلاني في الشويفات وعرامون الغرب حيث كانت

مقاطعة الشيخ مظفر العنداري اليمني وذلك اقتصاصاً من سكان هذه الاقطاعة الذين نهبوا الشرف واحرقوها في ايام احمد باشا الحافظ والي الشام كما في تواريخ لبنان المتداولة[1] فبالطبع احرقت كفرا لانها من الغرب

فهل يستطيع اليمنيون البقاء بعد هذا التنكيل في قرام فلهذا ارتحلوا حسب عادتهم الى جهات دمشق والغوطة وامتدوا الى حوران ليبتعدوا عن القيسيين فمهدوا السبيل لمهاجرة اليمنيين الى تلك البلدان اليمنية . ولا تزال اسرة درزية الى يومنا في جرمانا بضواحي دمشق تنتسب الى الامراء الارسلانيين ولكنها تركت الامارة وصارت كعامة الناس

وسنة ١٦٦٠م قوي اليمنيون في لبنان وتولى زعماؤهم آل علم الدين الامراء التنوخيون الحكم وانتصروا من القيسيين فاحرقوا دور اللمعيين والخوازنة والحمادية والمعنية ومدنيهم وقطعوا اشجارهم وعاثوا في تلك البلاد واخربوها[2] فعاد بالطبع الى لبنان بعض الثائرين واستعمروا بعض القرى او ابقوا فيها رجالهم ومرابديهم

وسنة ١٦٦٦ حدثت موقعة برج بيروت في محلة الفلفول واستمر القتال بين القبيلتين واحرقت قرى اليمنيين وبيتها كفرا لانها في قلب الغرب[3] ففر اليمنيون كعادتهم الى ان عادوا سنة ١٦٩٧[1] الى بلادهم ولكنهم كانوا يخشون قطع خط الرجعة عليهم كما يقال فكان بعضهم يبقى خشية ان يفتك بهم خصومهم ولهذا كانت (كفرا) تعمر ثم تخرب . وسكانها مهاجرون عنها ورجالهم يستعمرونها وهكذا القرى اليمنية

ولهذا السبب يعدّل القول بان نزوح الحمدانيين كان منذ قرنين ونصف او اكثر . فكلمة او اكثر تدل على زمن غير محدود ويحتمل ان تكون حسابا هجريا . ويكون الامراء التنوخيون القيسيون قد تكلموا بهم وببلدتهم قبل سنة ٦٣٣ : التي انقرضوا بها . والقول هنا تقريبي اذ لا دليل راهن على صحة تعيين السنة

(ثانيا) لو كان المشايخ الحمدانيون في موقعة عين دارة لما سكت المؤرخون عنهم لانهم من رؤساء اليمنيين ولاسيما ان كثيرين من اولئك الزعماء ذكروا ووصف المؤرخون طريقة الفتك بهم وبأحلافهم

---

(١) اخبار الاعيان للشدياق صفحة ٢٧٣ و٢٧٤ (٢) اخبار الاعيان ايضا ص ٣٤١
(٣) اخبار الاعيان ص ٣٤٢
(٤) اخبار الاعيان ص ٣٥٩

فاحراق كفرا اذن الذي صدع به المؤرخون في موقعة عين دارة ليس الاَّ استطراداً الى قرى الغرب وارهاباً لتيتيين الذين كان لهم فيها معتصم يلجأون اليه عند استعادة حكمهم فمنعوهم عنهُ

حرب ابرهيم باشا — في المذكرات المخطوطة التي اعتمدت عليها ان الحرب نشبت في جبل الدروز في اواخر سنة ١٨٣٥ وبعد تسعة اشهر خمدت نيرانها فكان الجيش المصري يحتل مواقع حوران ببطء لان معظمهُ سار للحروب في جهات اخرى . وباضرام جبل الصفا جاره الثورة في اثناء ذلك دليل على عدم انتهاء الحرب حتى ٧ تموز سنة ١٨٣٨ فدخل ابرهيم باشا اللجاة ونظم شؤونهُ وعاد الى دمشق . وقد استأصل شأفة الثورات في حوران

قواد الحملة المصرية — لافرق بين القول (محمد بك) والقول (محمد باشا) الاَّ باللقب . فهما واحد . أما طينور بك فكان من قواد الحملة . ولعل احمد باشا ارفع رتبة منهُ . وقد سمّى الزجّال الدرزي الاثنين كما ذكر الاخ سليمان بك في مقالتهِ

قواد الدروز وعدد رجالهم — سقطت كلمات قبل ذكر قائدي جيش لبنان وهذا تصحيحها (١) « واشتد ازرهم بانكسار تحاربهم (ومعاضدة اخوانهم دروز لبنان) وكانوا يسيرون تحت راية الشيخين .. جنبلاط و .. العماد الخ » لان هذين القائدين حاربا في وادي التيم وما اليها

أما عدد الدروز المحاربين فمختلف فيهِ والرواية التي دوَّنتها هي من المذكّرات التي اعتمدت عليها لانها لشاهد عياني . ولقد وقفت على مذكرات جديدة اصفها في فرصة أخرى

تسليم شبلي العريان — هذه رواية جرجس البديس من رجال ابرهيم باشا والامراء احلافهِ وقد شهد المواقع عياناً ودوَّن أخبارها. وكيفما كان الحال بالتسليم فان حادثة امين شحرور مهَّدت امرهُ وفي (المذكّرات التاريخية) التي نشرت اخيراً وارجح انها للمرحوم عبدالله بك نوفل الطرابلسي المعروف بالاول و بالي سليم روايات عيانية عن هذه الحروب وهي التي اشرت اليها في مقالتي انها ذيل تاريخ الخوري مخايل بريك(٢)

هذا ما أراهُ الآن وفوق كل ذي علم عليم والسلام

زحلة عيسى اسكندر المعلوف

---

(١) المقتطف مجلد ٦٧ ص ٥١٠ سطر ١١ (٢) المقتطف (٦٨ : ١٥٩)

حول أسلوب الفكر العلمي

قرأت بكثير من الامعان والتعجب معاً ذلك المقال الذي نشرهُ المقتطف في صدر باب المراسلة والمناظرة من العدد الماضي ، والذي تناول فيهِ كاتبهُ نقد مقالي اسلوب الفكر العلمي . ولست اعلم الى اي حد ذهب تأثير الفكرات التي اوردتها في ذلك المقال من نفسهِ ، غير ان الظاهر من اسطر مقالهِ ان الاثر كان بالغاً . على انهُ مهما كان يتبقى فيما كتبت ثابتاً ، ومهما كان اعتقادي في صحة ما ارى في اسلوب الفكر العلمي عند العرب راسخاً ، فاني لا اتوقع مطلقاً ان اقنع بهِ رجالاً عكفوا على اساليب المدرسة القديمة

لقد وقف التفكر العربي عند حد النظر الغيبي المخصوص بشيء من الشك في حقيقة الاسباب التي كانت تعزى اليها الظاهرات ، وكذلك في مقدرة الفكر الانساني نفسهِ على معالجة مشكلات ما كان لنا ان نعيب عليهم انهم عجزوا عن حلها . ولكن نقرر و بكثير من الاقتناع ان طريقة نظرهم فيها لم تكن لتؤدي بهم الى الوصول الى حلها . افينكر ناقدنا مثلاً ان العرب قد بدأوا نظرهم العلمي والفلسفي من حيث نريد اليوم ان ننتهي ؟ أينكر انهم بدأوا بالنظر في الماهيات ابتغاء الوصول الى غايات الفلسفة والعلم وانهم اغفلوا النظر في الظاهرات (الاعراض) وتعليلها لينتهوا منها الى معرفة ما هي حقيقة الاشياء

نمضي قليلاً في المقارنة بين الاسلوبين ، الاسلوب الغيبي الذي عكف عليهِ العرب او المسلمون او كما شئت فادعهم ، والاسلوب اليقيني الذي وضعهُ باكون وجرت عليهِ الفلسفة في العصور الحديثة . خذ مثلاً موقف الاسلوبين ازاء الرياضيات . فان العرب كانوا يعتقدون كما اعتقد غيرهم الحكماء ، وعلى رأسهم افلاطون احد اساتذة العرب الاكرمين ، ان دراسة العدد ليس لها من فائدة عملية سوى رياضة العقل على البحث والاستبصار والوصول من طريق هذا البحث الى معرفة حقائق الموجودات وتجريد النفس من ادران المادة والتعالي بالفكر الى ما بعدها . بل انهم لم يجعلوا لدراسة علم الحساب او الهندسة من فائدة عملية ما او احراز كسب مادي في ضرب من ضروب المعاملات كالتجارة او الصناعة او الحاجيات الاولية التي تحتاج اليها الجماعات في العمران . تلك الحاجيات التي لولاها لما كان لدراسة هذه العلوم من وزن يذكر في كل عصور التاريخ . اما لورد باكون فقدر لهذه العلوم قدرها بما تنتج من المنافع المادية التي كان يعتقد الاقدمون انها مرض الانسانية العضال . وشأن العرب في الهندسة شأنهم في علم العدد . فقد

قالوا مجاراة لافلاطون او لمن وصلت اليهم كتبهُ من تلاميذهِ او المتخرجين في مذهبهِ، ان المشتغلين بعلم الهندسة يجب ان لا يتذرعوا بها لاحراز المنافع المادية والاَّ نبَّا بهم القصد عن إصابة الغاية منها، لان اشتغال العقل بالماديات يصرفهُ عن ادراك كنه الموجودات اي ماهياتها او التوصل الى معرفة الحقيقة المحضة والخير المطلق. اما المحدثون اصحاب الاسلوب اليقيني فانهم قالوا بان الهندسة ليس لها من فائدة الاَّ بقدر ما تنتج من فائدة مادية في حياتنا العملية. ذلك في حين انهم لم ينكروا تأثير العلوم الرياضية على الآداب وضروب المعقولات بتة، فوضعوا لأثرها حدوداً معينة، إذ قالوا بان تأثير العلوم الرياضية من الوجهة المعنوية عرضيٌّ صرف. وكذلك تجد ان الفرق بين الاسلوبين كبير لدى النظر في علم الفلك. فقد كان القدماء على الاخص المسلمون يعتقدون ان معرفة حركة الاجرام السماوية وكيفية هذه الحركة ليست بذات شأن كبير ولم يحثوا على الاشتغال بالفلك لما يفهم عنهُ من المنافع كمعرفة الفصول والمواقيت، بل لما ينتج عنهُ من رياضة النفس على معرفة الحقائق المطلقة. اما الاسلوب الحديث فلهُ في علم الفلك مآرب اخرى مبناها المنفعة المادية المحصرة في استكشاف المستحدثات

كتب ارسطوطاليس في علم الحيوان ولهُ مباحث عميقة في انقلابهِ الجنيني وكتب العرب ومنهم الجاحظ في كتابهِ الحيوان، ومنهم الدميري في كتابهِ حياة الحيوان وداوود الانكه في كتابهِ التذكرة، ومنهم القزويني في كتابهِ عجائب المخلوقات. فهل لناقدنا ان ينظر في هذه الكتب ويقارنها بكتاب ارسطوطاليس، وكان من الواجب ان لا تغيب عنهم مفصلات ما كتب، ليحكم بعد ذلك علينا اولنا؟ وليسائل نفسهُ لماذا اصبح منطق ارسطوطاليس بين يدي العرب في المنزلة الاولى بعد القرآن، كما كان بين يدي اليعاقبة والناطرة في المنزلة الاولى بعد التوراة والانجيل؟ هل ينكر ان السبب في هذا ان المنطق وعلى الاخص نواحيه الجدلية اكبر مرضٍ للعقل إذ يكب على الاسلوب الغيبي واكبر عونٍ لفلسفة الغيبيات في سبيل القضاء على الاسلوب اليقيني؟

اما قاعدة جرب واحكم فليس العرب اول من وضعها ولا الاسلاميون اول من اطلقها فان ابيتورس وديمقريطس اول من عكف عليها في تاريخ الفلسفة على ما بلغ اليهِ علمي. وليظهر لنا ناقدنا اي باحث من الاسلاميين في الفلك لم يخلط الفلك بالتنجيم وكشف الطوالع؟ واي كيماوي منهم لم يعكف على تحويل المعادن الى الذهب؟ وليبين لنا على اية قاعدة حاولوا ان يخرجوا بالعلوم التي ذاعت بينهم من حيز النظر الى حيز

التطبيق كما يدعى ؟ فلعلنا على جهل بهذا ، ولعلهُ يزيدنا من لدنهُ علماً

ليس من الصعب ان يتفوه المرء او يكتب كلمتي «جرب واحكم» . ولكن من الصعب ان يطبق هذه القاعدة . فلو ان في مجرد التفوه بشيء مرقاة اليهِ ، لاصبح الكلام ثميناً ولاصبحت الكتب اعلى قيمة مما نرى ، ولكان الاجدر بها ان تكتنز وان تشرى باغلى الاثمان كما يقول تيوغنيس . ولكن الواقع تقبض ذلك . فان « جرب واحكم » شيء عرفهُ العرب عن اليونان . ولكنهم مع الاسف لم يتخذوا هذه القاعدة اساساً لابحاثهم العلمية . وقد يكون هناك شواذ غير ان هذه الشواذ لا حكم لها . ولكن استطيع ان اقول بكثير من التمين ان لا شواذ ايضاً

الم يكتب الرازي في تحويل المعادن الى ذهب اشياء لا يقبلها العقل ولا التجربة ؟ الم يكتب جابر بن حيان كتاب البدوح في طلسمات تسهل على الوالدات الوضع اذا تعذَّر عليهن ، وهما بعدُ اكبر من عرف العصرُ العربي من الكيماويين ؟ وهل من شيء في هذا العالم هو احوج الى التجربة والى التخلص من موحيات الاسلوب النبيي من علم الكيمياء ؟ ولماذا اذهب بالناقد بعيداً . فما عليهِ الاَّ ان يقلب صفحات تاريخ الحكماء ، وهو من الكتب المعتمد عليها في تاريخ الفلك عند العرب بتحقيق العلامة تلليتو ، ليرينا اي فلكي ممن ذكرهم لم يأتِ في اول ترجمتهِ انهُ « الحاسب المنجم » حتى اذا ما رجعت الى كتب « الحاسب المنجم » وقعت على اشياء هي ادنى الى زجر الطير وضرب الحصى ونعيب الغربان وضرب السقاء منها الى اي شيء في عالم المعرفة الانسانية

والظاهر من كل ما كتب الناقد انهُ اخطأ فهم ما نعني بالاسلوب العلمي اليقيني . فانهُ ترفق في النقد ولم تأخذهُ حدة اذ توسل ان نجعل العرب في اول مراقي الدرجة الثالثة اي الدرجة اليقينية من درجات كونت . ذلك لان الاسلوب العلمي فكرة او قاعدة يهتدي بها الانسان اذ يمشي باحثاً وراء الحقائق . انها ليست شخصاً ولا رمزاً ولا تمثالاً بل هي طابع تطبع بهِ المدنية ، ونحلة يتحلها الفكر بحيث تصبح تلك النحلة عامة شاملة . فاذا فرض وظهر في العرب من جرب وحكم او اذا فرض وظهر فيهم من استكشف وقرر فانما ذلك عمل فردي ذاتي لا يدل مطلقاً على ان ذلك كان للمدنية طابعاً ، او كان للفكر العام نحلة ودينا

وبعد . فلنرجع بهِ الى السيد جمال الدين الافغاني . فانا على ما نحمل لهُ في قلوبنا من الاحترام ، لانبرؤهُ من الكوف على الاسلوب النبيي . وهل اثر نافدنا ذكر رسالة

الرد على الدهريين ؟ هل اتاه ذكر ذلك النقد الذي وجه الى داروين ، معلم القرن التاسع عشر ، محاولاً ان ينقض مذهبهُ في النشوء ، فلم يجد من قول يدفع بهِ حقائق العلم الا قولهُ ان مذهب داروين يقضي بالبرغوث لان يكون فيلاً وبالفيل لان يكون برغوثاً ؟ واذا سألتهُ لماذا اجابك لان لكليهما خرطوماً !!! ولا اذكر غير ذلك من تلك الرسالة على ما فيها من فاحش الخطإ وفاضح الخلط ، تاركاً لناقدي الحرية الكاملة في ان يقدر الى اية درجة من درجات قانون كونت يبلغ اسلوب الافغاني في تقرير حقائق العلم

اما الموسيقى فجائز ان تكون قد اصبحت علماً او فلسفة في العصر الحاضر . ولكنها لم تكن كذلك في زمان العرب . بل كانت مجرد فن لا غير . وهذا ليس ببعيد فان كثيراً من العلوم الحديثة لم تكن منذ زمان قصير الاَّ نظريات او مجرد فكرات ناحية الغيب فيها تربي على ناحية الشهادة

ولست أعرف من اي طريق تبادر الى ذهن الناقد أني اعيب على العرب او على الاسلاميين نقل النساطرة واليهود ووثنيي حران لمذاهب الفلسفة من قبلهم . أليس هذا ما يرويهِ التاريخ ؟ فلماذا يحمل كلامي على محمل النيل من العرب او الاسلاميين اذا انا قررت ما يرويهِ التاريخ ؟ وكذلك هو يقول — اصلحهُ الله — « وما الذي احتاج اليهِ الاسلام قرناً ونصف قبل الفلسفة » . كأنهُ يعتقد خطأً ان الفلسفة اليونانية لم تذع بين العرب الاَّ في العصر العباسي . وما احيلهُ على شيء يصلح بهِ خطأهُ الاَّ ان يقرأ تاريخ اتصال اليعاقبة والنساطرة عن الكنيسة الرومانية وشيئاً وجيزاً من اتصالهم بالشرق وعلى الاخص بالعراق وسورية ومصر وفارس قبل ظهور الاسلام ليعرف إن كان العرب قد عرفوا الفلسفة من العالم السرياني وهم بعد نصارى ويهود ووثنيين ، أم انهم لم يعرفوها الاَّ في العصر العباسي ؟

اما ذكر اللاهوت فالحق اني لم اقصد بهِ سوى ما يعنى من كلة theology ولا اظن ان الناقد ينكر ان المسلمين قد امتازوا بكثرة المذاهب الثيولوجية ، وما ذلك عنهُ ببعيد . على ان في ردهِ لكثيراً من البعد عما اقصد من اصطلاح اللاهوت . فانهُ يساءل كم مجمع اجتمع في الاسلام لتحرير مذهب أو بحث نظرية . كأنهُ يعتقد ان الفكرات اللاهوتية لا تقوم الاَّ حيث تكون مجامع كمجمع نيقية او أفسوس او خلقيدونية . وأظن انهُ كان ان يتذكر ان مسألة خلق القرآن وقدمهِ قد استنفدت من جهود المسلمين بقدر ما استنفدت طبيعة المسيح من الجهد عند النصارى . واي كبير فرق بين مجمع افسوس

و بين مجالس المأمون التي كان يعقدها للبحث في مسألة القرآن وهل هو مخلوق ام قديم ؟ وأي كبير فرق بين طرد الساطرة من الكنيسة و بين جلد الامام احمد بن حنبل وسجنه واهانته ازاء استمساكه برأيه في قدم القرآن ؟ و بعد . فليظهر لنا ما هو الاعتزال وما هي القدرية وما هي الجبرية وما هي المرجئة ومَن هم الاشاعرة ومَن هم السنيون ؟ وما هي بقية الفرق المعروفة ؟ إن لم تكن فرق قامت لتحرير مذهب او بحث نظرية ؟

وما اريد ان اذهب معهُ في البحث لاكثر من هذا. ولكن ذلك لا يحول دون ان اسألهُ متى وفي اي عصر ازالت مدنية الاسلام عن الامم الاسلامية فوارق العصبية ؟ تترك كل شيء آخر لنسألهُ هل ازالت مدنية الاسلام فوارق العصبية بين قبائل العرب في الاندلس وهي لم تطأ اسبانيا الاَّ وهي على خلاف، ولم تفارقها الاَّ وهي اشد خلافاً في سبيل السيادة والملك انتصاراً للعصبية مما وطأتها ؟ فاذا كانت الفوارق العصبية لم تزل من بين العرب انفسهم وهم بعد في غمرة من حروب الفرنجة ، فكيف بنا نعتقد ان فوارق العصبية قد زالت من بين الشعوب الاسلامية كما يدعي الناقد ؟

ذلك ما رأيت ان ابعث بهِ الى ناقدي على صفحات المقتطف لعلهُ لا يرمينا بعده بالتعصب للجديد لانهُ جديد ، ولا بالنيل من القديم لانهُ قديم ، ولكن هو الحق نسعى في سبيل الوصول اليهِ في هوادة وتريث ، لا في ثورة واعتساف والسلام

اسماعيل مظهر

نابليون والماسونية

حضرات الدكاترة الافاضل اصحاب مجلة المقتطف المحترمين

تقولون في الجزء الاول من المجلد السادس والستين ان الماسونية دخلت القطر المصري سنة ١٧٩٨ حينما دخلها نابليون الاول على رأس حملتهِ المشهورة فقد كان معهُ جماعة من الماسون اسسوا محفلاً ماسونيًّا دعوهُ محفل ايزيس « Isis » فهل كان نابليون المشار اليهِ ماسونيًّا ؟ حتى يسمح لاعوانهِ الماسون ان يؤسسوا محفلاً ماسونيًّا — وما كانت افكارهُ وآراؤهُ نحو جماعة البنائين الاحرار مع العلم ان قرينتهُ الاولى الامبراطورة جوزفين كانت عضوة عاملة في المحافل النسائية الفرنساوية في باريس « La maçonnerie des dames » وتالت عدة اوسمة ودرجات ماسونية يليق بمقامها الامبراطوري

احد القراء

عرفت رجلاً طموحاً الى العلى لا يحفل الاَّ بما ينيلهُ الاغراض التي يطمح اليها فكان لا يلتفت الى الانتظام في معيشتهِ لاهتمامهِ بعملهِ فلا يهمهُ سواء اكل في ساعات الاكل المعينة او لم يأكل وسواء نام او احيا الليل ساهراً ينظر في ما لديهِ من الاعمال . فكانت النتيجة انهُ اصيب بسوء الهضم والصداع والارق وزيادة ضغط الدم وهذه الامور ليست من مقوّمات الوجه الباش والمحيا الطلق بل على الضد من ذلك انها صيّرتهُ عصبيَّ المزاج ينفجر بركان غضبهِ لاقل الاسباب دائم العبوسة مقطب الجبين لا يمضي عليهِ يوم الاَّ ويختلف مع شركائهِ في العمل و يفترق معهم على خصام . فجاءهُ اليَّ يطلب المعونة والارشاد فنظرنا في حالتهِ ملياً وحاولت ان اقنعهُ بان عملهُ اساء اليهِ اساءةً كبيرة وانهُ اذا شاء النهوض بنفسهِ وصحتهِ الى مستوى اعلى فما عليهِ الاَّ الاصغاء الى مشورة الطبيب والعمل بها . فوضعت لهُ لائحة تحتوي على ارشادات دقيقة فيما يتعلق بتنظيم طعامهِ ورياضتهِ الجسدية وراحتهِ من عناء الاعمال فلم تمضِ عليهِ سنة حتى عاد رجلاً طبيعياً ينام ملءَ جفونهِ لا تفارقهُ البشاشة والطلاقة وصار في امكانهِ ان يعاون مع شركائهِ في العمل تعاوناً اكسبهُ محبتهم واحترامهم . فالسعادة حالة عقلية روحية في الغالب ولكن اصولها مستمدة من احوال الجسد الصحية

﴿ العمل المناسب ﴾ الصحة تستدعي العمل والعمل يجب ان يكون على قدر المستطاع حسب اختيار العامل يتفق مع ميلهِ الطبيعي لانهُ كلما زاد حبُّ الانسان لعملهِ وميلهُ اليهِ زادت مقدرتهُ على الاكباب عليهِ من غير ان يلحق بهِ اذى

عرفت سيدة بلت من الشقاء الوانًا واشكالاً . كانت زوجة رجل غني وليس لها اولاد فلم تجد نفسها في حاجة الى الاهتمام بما يختف قليلاً من لوعة وحدتها . مات زوجها فاساء شركاؤهُ تدبير العمل فلم تشعر الاَّ وهي على شفا الفقر . واذا بالحاجة تحس همتها الكامنة فتنتفض فصارت تنهض كل يوم باكراً وتبادر الى المكتب تعمل فيهِ بهمة الرجال ولم يمضِ عليها سنة حتى صار تلمُّ بجميع احوالهِ وتمكنت بسعيها من نشلهِ من هوة الافلاس . ولما رأت ان العمل صار على اساس متين نظرت الى حالة العمال فاهتمت بهم وابتكرت لها نظاماً لتوزيع بعض الارباح عليهم وهي الآن بين الناس الذين تحيط بهم هالة من السعادة والهناء تراس شركة كبيرة فيها مئات العمال وكلهم سعيد

واذا ذكرت هذه السيدة ذكرت فتاة اتمت دروسها في احدى المدارس التجارية ثم استخدمت كاتبة في احد المحال لكنها لم تكن تسرُّ من عملها وجلُّ ما تكسبهُ كان تنفقهُ في لوازم المعيشة الضرورية . مرضت في احد الايام فلكنت اعودها وتقعدت في

شق المباحث الى ان افضت اليَّ في احد الايام بكرهها العمل الذي تعملهُ وكانت تحب الاطفال والحياة البيتية فاقترحتُ عليها ان تدرس ما يؤهلها لتكون مربية فسرّت بالاقتراح ولما شفيت اقترضت نقوداً من صديقة لها وتعلمت في مدرسة خاصة باعداد المربيات وهي الآن سعيدة بعملها يفيض من وجهها نور البشر والسرور

ولا بدَّ هنا من ذكر السؤال الذي يوجههُ كثيرون من اصحاب الاعمال الى اطبائهم وهو «اني اشعر بضعف عام في صحتي فهل تشير عليَّ باعتزال الاعمال والتزام جانب الراحة» انا لا اعتقد ان رجلاً اعتاد العمل يستطيع ان يعتزلهُ اعتزالاً تامًّا ويبقى سعيداً

عرفت رجلاً من كبار اصحاب المصانع بدأ الحياة فقيراً فانشأ عملاً واسعاً جمع منهُ ثروة كبيرة . وكان قد وعد زوجتهُ لما كانا فقيرين انهُ اذا بلغ الخمسين ولديهِ من المال ما يكفيهما ليعيشا في سعة اعتزل الاعمال لكي يتمتعا بمسرات الحياة. فلما بلغ الخمسين كان قد جمع ثروة طائلة فاعتزل العمل وطاف حول الارض مع زوجتهِ مدة سنتين ولما عادا الى بيتهما عاشا نحو سنة اخرى عيشة الراحة التامة . ولم يطل على الزوج المطال حتى بدأ يخيل انهُ مصاب بمختلف الادواء فصار يزور طبيبهُ بانتظام ليفحصهُ ويطلعهُ على احوال صحتهِ ولما لم يجد عند الاطباء قولاً يقنعهُ شرع ينتقل من مصح الى آخر . وانهُ لكذلك تعرفتُ بهِ فسرد لي تاريخهُ فاقنعتهُ ان داءهُ الوحيد هو البطالة وما زلت وراءهُ حتى حملتهُ على العودة الى العمل وبعد انقضاء اربعة اشهر فقط عاد الى حالتهِ الطبيعية في كل اطوارهِ وتصوراتهِ وصار بشوش الوجه طلق المحيا ولا اظنهُ الآن يعتزل الاعمال مرة اخرى مهما كانت الحال

على انهُ من الخطإ البالغ ان يحسب احدٌ نفسهُ في سني شبابهِ وكهولتهِ في العمل انهُ يستطيع ان يسعد بالراحة التامة . لا شك ان الرجل متى تقدم في العمر يجب ان يخفف من شغلهِ ولا يجهد نفسهُ كأنهُ في الثلاثين وان يقلل من اهتمامهِ بتفاصيل عملهِ ولكن عليهِ ان لا يترك العمل مطلقاً

﴿ ضبط النفس ﴾ حياة الانسان سلسلة متصلة الحلقات من العواطف والرغبات والافكار المتضاربة . والمسألة التي يواجهها كل انسان في هذا العصر هي مسألة التوفيق بين هذه الحالات النفسية المتضاربة حتى يعيش بينها في طمأنينة وسلام . والسبيل الى ذلك هو التمرن على ضبط النفس في كل الاحوال لان السعادة وان كانت تستمدُّ اصولها

من الاحوال الصحية الاَّ انها في الحقيقة حالة عقلية نفسية ومن اهم مقوماتها ضبط النفس

اذا شاء احد ان ينظر الى احوال معيشته المادية والجسدية من وجهة خاصة بهِ لا تتفق في معظم الاحيان مع المتعارف بين الناس رأى كثيراً مما لا يسرُّهُ. ولا اريد بذلك انهُ يجب على كل احد ان ينقاد انقياداً اعمى وراء الآخرين ولكن ارى ان العادات والتقاليد المرعية الجانب وضعت واستمرت سائدة لانها تكفي الجمهور كثيراً من التعب العقلي في علاقاتهم بعضهم مع بعض فاذا ثرنا عليها لم نجن من ثورتنا هذه الاَّ التعب والقلق

ولا بدَّ من الاشارة الى خطإٍ يقع فيهِ كثيرون ذلك انهم يخلطون بين حاجاتهم الحقيقية ومطالبهم التي قد تكون من الحاجات وقد لا تكون كذلك. فاذا اصرَّ احد الناس على ان يحسب كلَّ ما يطلبهُ من حاجاتهِ الحقيقية التي لا يستطيع التخلي عنها صادف في سبيل تحقيقها انواع الفشل والبؤس

فاذا نظرنا الى حاجاتنا وجب ان نواجه الحقائق كما هي فلا نجعل الهم رائدنا ومتى واجهنا الحقائق وجب علينا ان نعزم عزماً جازماً فيما نريد ان نفعل من غير تردّد فالتردد يسير مع الهم والخوف جنباً لجنب وهما من اضداد الفرح والهناء

ولا شك ان التمرين العقلي كالتمرين الجسدي يمكن الانسان الذي ينظم تمرينهُ من القيام باعمال عظيمة. يحاول احد الناس ان يرفع ثقلاً كبيراً فلا يستطيع في بادئ الامر ولكنهُ يمرّن عضلاتهِ شيئاً فشيئاً فتقوى يوماً بعد يوم حتى يستطيع رفع ذلك الثقل في نهاية شهر من التمرين المنتظم. كذلك في الامور العقلية والنفسية فاننا نستطيع ان نتمرن على ضبط النفس شيئاً فشيئاً في الامور الصغيرة فنستطيع ان نضبطها في الامور الكبيرة

﴿ العشرة والصداقة ﴾ الانسان اجتماعي بطبعهِ وما من انسان يستطيع ان يعيش منفرداً فالعيشة المنفردة تؤدي بالانسان الى النظر في نفسهِ والبحث عن نقائصها فيكشف ما فيها من مواطن الضعف فيحتقرها ويؤدي بهِ ذلك الى ان يصاب بالنورستينيا. ومن الامور غير المشهورة ان حوادث النورستينيا والانحطاط العصبي اكثر في الارياف منها في المدن وسبب ذلك طول ساعات العمل والعيشة المنفردة التي يعيشها الفلاحون

وارجح ان اكثر الناس يرون اعظم اركان السعادة في بيوتهم بين نسائهم واولادهم. فقد كنت اعرف صديقاً عزباً غريب الاطوار دائم الكآبة وكانت اكثر معيشتهِ على انفراد يشكو دائماً صداعاً وآلاماً وهمية. ولما كان في الاربعين التي نتاة في عمرهِ فاقترن

بها والحال زالت كآبته ولم يعد يشعر بالآلام التي كان يشعر بها قبلاً ومنذ زمن قصير تبنى يقين واهتمامه بهما الآن ، بتدبير مستقبلهما الذي كان حياته غبطة وسروراً

ومن هذا القبيل رجل كان كثير الاهتمام بامورهِ الى حدٍّ غير طبيعي لا يعجبهُ عجب ويجد في كل شيء ما لا يسرهُ فحاولت ان اصرفهُ عن حالتهِ هذه على غير جدوى واخيراً اقنعتهُ بان يسافر حول الارض وان يكتب اليَّ مرة كل اسبوعين يطلعني على احوالهِ فوعد وبرَّ بوعدهِ وكانت كل رسائلهِ تنم على الوحشة التي يعانيها والكآبة التي تلازمهُ وما زالت رسائلهُ تضرب في هذا الوتر حتى وصل الى مصر فلقي فيها رجلاً يتفق معهُ ذوقاً ومشرباً والحال تغيرت رسائلهُ وصرت ارى من خلال سطورها ان روحاً جديدة دبت فيهِ وبعد ما كان قد عزم على العودة الى اميركا للحجر اتفق مع صديقهِ الجديد على ان يتما الرحلة حول الارض معاً

﴿ الراحة بالتغيير ﴾ ولا اريد بالراحة الانقطاع عن العمل بل اريد بها الاهتمام بعمل يختلف عن العمل العادي الذي يشغل اكثر ساعات النهار . ان سرعة الحياة في هذا العصر لا تدع لنا متسعاً من الوقت للاهتمام بالامور التي تجعل للحياة قيمة خاصة كالصداقة الصحيحة والحياة العائلية الهنيئة وما اليها

ان مجرَّد الفكر بان لديك متسعاً من الوقت للاهتمام بامور غير عملك العادي كافٍ لان يبعث في الحياة شعاعاً من النور . ولذلك ارى ان القول المأثور عن تقسيم اليوم الى ثلاثة اقسام ثماني ساعات للعمل وثماني ساعات للنوم وثماني ساعات للترفه يجب ان يكون دستور كل طالبي السعادة في هذا العصر . فالفرص او الاجازات لازمة للصحة وهي في الوقت نفسهِ من اعظم مقومات السعادة

النوم يريح الجسم من العمل ولكنهُ لا يريح العقل من الهم والعقل لا ينال من من الراحة نصيباً كافياً الاَّ بتغيير نوع العمل واذا كان ذلك في الهواء الطلق كان غاية في الفائدة الصحية والعقلية معاً

﴿ التدين والفلسفة الروحية ﴾ الانسان متدين بطبعهِ وهذا التدين يسبغ عليهِ من الطمأنينة والثقة ما يجعلهُ سعيداً خالياً من الهمّ والخوف . والهم والخوف هما اساس لاكثر ما نراهُ من البؤس وعدم الهناء

وزد على ذلك فان التدين يفسح مجالاً لنمو بعض العواطف النبيلة كالاحترام والشكر والتواضع والكرم ومحبة الغير . وعلى المتدين ان لا يخلط بين السعادة الصحيحة الناجمة

عن كل ما تقدم والسعادة كما يفهمها البعض اي ارضاء الشهوات . ان المتدينين الذين يعرضون عن السعادة لانهم يحسبونها ارضاء للشهوات يبعدون كثيراً عن الوصول الى غرض الدين الحقيقي

الجدري علاجه ومنعه

فشت في انحاء القطر المصري حوادث الجدري فرأينا ان نثبت خلاصة في هذا المرض واعراضه وكيفية علاجه ومنعه ملخصاً عن كتاب الباثولوجيا لاستاذنا الدكتور ثان ديك وعن الطبعة الاخيرة من الانسكلوبيذيا البريطانية وعما كتبناه في ترجمة جنر مكتشف تلقيح الجدري الواقي

الجدري في الانسان علة ناتجة عن سم مرضي خصوصي يدخل الجسم ويكمن فيه مدة ويكثر وهذه المدة تسمى مدة الحضانة . ومتى انتهت وكثر السم المرضي في الجسد يحدث حمى من النوع المتقتر يعقبها تنقط على الجلد وبعض الاحيان يظهر هذا التنقط على سطح الاغشية المخاطية ايضاً وله اربع درجات الاولى ذبابة ثم حويصلة ثم بثرة ثم جلبة اي قشرة البرء ويبقى في موضعه اثر دائم . وهذا المرض يسير سيراً محدوداً وفي الغالب يزيل قابلية المصاب للاصابة به ثانية

وللجدري اربع درجات الاولى درجة الحضانة وهي الواقعة بين دخول جرثومة المرض الجسم وهجوم الحمى الاولى وهي في الغالب ١٢ يوماً ولكنها قد تختلف بين تسعة ايام وخمسة عشر يوماً

اما الدرجة الثانية فهي بين هجوم الحمى الاولى وظهور التنقط . فبعد مدة الحضانة المشار اليها آنفاً اي بين اليوم الثاني عشر واليوم الرابع عشر عقيب دخول العدوى الى الجسم يتمم العليل حمى شديدة حتى لقد تبلغ حرارته درجة ١٠٤ بميزان سنتغراد او اكثر وفي اليوم الرابع بعد ابتداء هذه الحمى يظهر الجدري ونادراً يظهر في اليوم الثالث ونادراً يتأخر عن اليوم الرابع . وقد سميت الحمى الاولى تمييزاً لها عن الحمى التي تظهر عند بلوغ التنقط وقد دعيت الحمى الثانية . وهذه الحمى لا بد منها وقد تشتد حتى تميت العليل قبل ظهور الجدري اي قبل اليوم الرابع من ابتدائها . ويرافق الحمى سرعة النبض وعطش وامساك وصداع وقيء والم في الظهر

اما الدرجة الثالثة فتبتدئ حين يظهر التنقط . واول ظهوره على الوجه والجبهة

والرسغين ثم على الجذع ثم على الاطراف نحو يومين بعد ظهوره على الوجه . وله سير محدود فيظهر اولاً على شكل حبوب صغار مثل لسعة البرغوث منفصلة لا يشعر بتوقها عن سطح الجلد الاَّ قليلاً . وقد سميت النفاطة وهي كذلك ذبابة او نملة ومدتها بين ٣٤ ساعة و٤٨ ساعة ثم تصير الذبابة حويصلة فيصير فيها مادة مصلية صافية وهذه الدرجة تدوم اربعة ايام ثم تصير الحويصلة بثرة باكتساب ما فيها صفات الصديد شيئاً فشيئاً . وفي نحو اليوم الثامن من ظهور النفاط يظهر في رأس البثرة نقطة سمراء وعندها تتغير البثرة فيخرج صديدها

والدرجة الرابعة من درجات المرض هي الحمى الثانية ذلك ان الحمى الاولى تهجع في الغالب عند ظهور النفاط في اليوم الثالث او الرابع فتعود الى الظهور عند انفجار البثرات . ويجمد الصديد الخارج من البثرة ويكوّن الجلبة اي القشرة التي تسقط بين اليوم الحادي عشر والخامس عشر

اما عدد البثرات فيختلف حسب شدة المرض وخفته فقد تكون خمساً او ستاً في كل الجسد وقد تبلغ الوفاً . وسواء كثرت ام قلّت فاكثرها على الوجه لنسبة مساحته الى مساحة الجسد . وقد قال بعضهم انهُ اذا بلغ عدد النفاط في الجسد كلهِ ١٠ آلاف كان الفان منها في الوجه

فمرض الجدري من اقتك الامراض فاذا لم يقتل من يصيبهُ تركهُ في الغالب اعمى او قبيح المنظر . وكان الناس في تركيا قد وجدوا بالاختبار انهم اذا تطعموا بصديد من مجدور جدر بهِ خفيف اصابهم جدري خفيف وقام من الجدري الثقيل وتعلم ذلك اللادي ماري ورتلي مونتاغو وهي في القسطنطينية واذاعت ما تعلمتهُ في بلاد الانكليز في خبر يطول ذكرناهُ بهِ في الجزء الاول من المجلد التاسع عشر من المقتطف في مقالة موضوعها « تطعيم الجدري اكتشاف شرقي » . لكن هذا النوع من التطعيم لم يكن سليماً دائماً واذا سلم المطعم بهِ فقد يعدي غيرهُ بجدري مميت . ويقال ان فتاة حلابة سمعت اناساً يذكرون الجدري فقالت انها آمنة على نفسها لانها عديت مرة بجدري البقر وكان ذلك على مسمع من الدكتور جنر فخطر لهُ ان جدري البقر قد يكون واقياً من الجدري الذي يصيب البشر واسلم عاقبة من التطعيم بالجدري نفسهِ . والمرجح ان كثيرين من الاطباء سمعوا ذلك قبلهُ وتحققوهُ ولكنهم لم يبنوا عليهِ بناء مفيداً . وهنا تظهر مزية المكتشفين فانهم يرون ما لا يراهُ غيرهم ولو كان ظاهراً للعيان . وكأنهُ فكّر في الامر على

هذه الصورة فقال ان الذي يجدر مرة فلا يجدر مرة اخرى فالجدري يقي المجدور من الاصابة به ثانية ولو كان جدريهُ خفيفاً في المرة الاولى . وجدري البقر اخف وطأة من جدري البشر فاذا جعلنا الانسان يعدى به كما تعدى الحلآبات فالجدري الذي يصيبهُ خفيف ويقيهِ من ان يعدى مرةً اخرى بجدري ثقيل . وللحال جعل يجرب ذلك ويجاربهُ الاولى بدأت سنة ١٧٩٦ ونشر اول رسالة في هذا الموضوع سنة ١٧٩٨ . ومن ثم شاع التطعيم الوقاية من الجدري وانتشر في المسكونة كلها كما ينتشر كل عمل مفيد ولو لم يُعلم الاساس العلمي الذي بني عليهِ

ويجب ان يجعل الطبيب حين الاصابة في محل سهوي يُضبط عن كثرة الهواء اذا اقتضى الامر ويتهوى متى اقتضى ويدثر بما يمنع عنهُ حاسة البرد وتبدل ملابسهُ الداخلية يومياً ويتناول من الاطعمة المغذية السهلة الهضم مقادير كافية مقسمة على مدد معينة ويسقى من الاشربة المبردة مثل الحوامض النباتية وفي ابتداء المرض يعطى مسهلاً لطيفاً لتنظيف القناة الهضمية

والوقاية خير من الدواء وقد ثبت بالاختبار الطويل ان التطعيم المعروف الآن يقي من الاصابة بالجدري وتدوم الوقاية العمر كلهُ او بضع سنوات فقط ولذلك يحسن اعادة التطعيم مرةً او مرتين بعد بضع سنوات

حفظ البرتقال

لا بدَّ لحفظ البرتقال وكل الاثمار طرية من امرين الاول ان تكون خالية من الرضّ لانها اذا رضت دخلتها مكروبات الفساد والاختمار في مكان الرضّ وهرأتها . والثاني ان يمنع تبخر الماء منها والا جفت من نفسها . فاذا كان قشرها لا يمنع التبخر كقشر البرتقال فلا سبيل لحفظها الاَّ اذا دهن بمادة صمغية تسدُّ مسامهُ ومنع تبخر العصارة منهُ . واللف بالورق الصقيل يفيد بعض الفائدة ولاسيما اذا كان الاقليم رطباً غير جاف . اما الاقليم الجاف فتبخر فيهِ عصارات الاثمار وتجفُّ ولو لُفَّت بالورق

باب الزراعة

جوائز المعرض الذهبية

اشرنا في مقتطف ابريل انهُ اقيم في المعرض المصري الزراعي الصناعي لجان ترى المعروضات وتحكم في درجات جودتها ووعدنا ان ننشر قرار هذه اللجان او ننشر القسم الاول منهُ وانجازاً لذلك ننشر هنا اسماء الذين اقرت اللجان على اعطائهم المداليات الذهبية والذهبية الفضية والفضية

مدالية الشرف الذهبية الممتازة

عبد الفتاح اللوزي بك للنسوجات . وفؤاد وامين الماوردي للوبليات . وس . سورناجا للطوب والقرميد والخزف

مدالية الشرف الذهبية

عبد الغني بك سليم عبده . ومحمد وعبد الفتاح الصافي للنسوجات . ونستور جناكليس للسجاير

المدالية الذهبية الممتازة

علي افندي حسن علي للادوات الطبية : وشركة الدفراوي و باباتيولوجو للسجاير . ومحمد مختار الجمال للزبدة والجبن . والمدبغة اليونانية (متريللي) للجلود . وشركة الكاوتش الافريقية للكاوتش . وعبد الشافي عمر للخيام المنقوشة . والشيخ مصطفى عبد النبي للنسوجات . وكنتوار ليون المان للسبائك الذهبية والفضية

المدالية الذهبية مع شهادة دبلوم

الشيخ محمود السيد بركات وعبد الحميد ماهر وعبد الرزاق حلمي للنسوجات . وشركة السكر والتكرير للسكر

المدالية الذهبية

محمد سليمان الجيوي واولاد احمد بك توكل للنسوجات . والشركة المساهمة المصرية للتجارة وحلج الاقطان . وشركة كتان صروف للكتان وحلجهِ . واخوات وسيلا

للتطريز . واصلان فيدون للملابس . وعبد الله محمد الخيمي للخيام المنقوشة . وعبد الله افندي مصطفى للسجاد . ومحمد عمر افندي للحصر . واحمد السيد النادي ومحمود واحمد حسنين ومحمد فهيم الجندي وعلي محمد الطرابيشي والمدرسة الاهلية وشركة ترقية التجارة المصرية (بالمنصورة) للمنسوجات . وملجأ الامير فاروق للمنسوجات وغيرها . ومحمود علي الصدفي للتطعيم . ومدرسة السيدة هدى هانم شعراوي للخزف . والسيد فرج للاسرة وطلاء المعادن . وابراهيم مصطفى واحمد حسين جمال الدين النحاس المنقوش . وطه محمد الحسيني النحاس . وشركة ترام الرمل لمركبة مصنوعة بالاسكندرية . وعبد الرزاق بك تصميم لنماذج العمارات . وجريدة السياسة نموذج لمنزل الفلاح . ومكالدوني سانتو لزخرفة المباني . وفيلدمان لارضيات خشب بدون لحام . و ل . جوجانيان للحدادة . وليب وامين نسيم للالوان الطبيعية . ومحمد عبد الله الديب لاحذية السيدات ومحمد حافظ للاحذية . ومطبعة مصر للطباعة . وابراهيم لمعي افندي للحبر والصمغ وعمل الظروف . وارستون وتقولا اسياتس للياه المعدنية . واحمد اسديه واولاده للحلويات والفطائر . وتدلر اخوان للحلويات . وعبد المجيد الرمالي بك للخبز والبسكويت والبسمات . والاستاذ فكتور روزتو لسينما الفلاح . وبرسيموي لفلم سينماتغراف في مصر . والشيخ احمد ابراهيم واخوه للطباشير والظهرة . ومعامل فؤاد سالم خليفه واسكندر حزيون للمستحضرات الطبية . ومحمود رياض لحيلة لحقائب جلدية . ومحمود وعلي واحمد الطويل لدباغة الجلود . وحسن خليل حسن لاطقم العربات . وسيو جرنيه لتحضير بعض الاعطار . وحاجي باراسكي لخمروات محفوظة . ومحمد بدوي لحلويات ومكرونه . وشركة الزيوت المصرية (اجولين) للزيوت . وشركة الهواء السائل للهواء السائل المضغوط . وماتوسيان للسجاير . وشركة السباخ المصري للسماد العضوي . وشركة سالونيكا للسجاير . ومحمد الساعي المغربي لخرائط وكتب . وبيرة الابراهيمية وكرون يزوري للبيرة والعلف

المدالية الفضية الذهبية

هري كليجر للتريكو . وعبد الرحمن النجمي ومصطفى محمد عبد للمنسوجات . ونجيب افندي يعقوب وعبد الغني محمد مواقي للمنسوجات والسجاد . وزبيده قصيزي لصور بالابرة . ومشغل المرأة الجديدة لمجموعة معروضات . وشركة الملابس المصرية للملابس مجهزة . ورزق الله عوض لطرح تللي . ورزق الله جبران ومحمود محمد احمد المؤيد للسجاد . ومحمد ابراهيم عمران وابراهيم ابراهيم الفطراني لاكلة صوتية . وصادق افندي ابراهيم لنباتات

لينية وشعرية . ودود القز . ومارنجاكس وزير قوس للقريد والفخار والخزف . واحمد يوسف الطويل لبلاط اسمنت . وا . روستنج للموازين . واسكندر سيوفي للويليات . ومحمود محمد علي المذهباتي للويليات الذهبية . وراشد مصطفى لويليات الخيزران . ومحمود علي لآلات ضرب . وعياد جبره الرافعي لاشغال السن . واولاد يوسف عبد الواحد ونور وامين السرجاني لاشغال الصياغة . وعلي الحمزاوي للنحاس المنقوش . وزرايبه سيكات لادوات نحاسية . ويوسف طاهر افندي لتماثيل وزخارف . وشاكر نحاس للغراء . وجميل زاده محمد علي لحلويات . والدكتوران عامر وحقي لروائح عطرية . وعبده محمد حجاب لصنع سيور جلد . ويتابوفي راميوفي لجلود مدبوغة . وموريس زيدان وكيورك ابيكيان للحجاير . وستراك ميشيات لاسطوانات فونوغراف . واحمد محمد نصار للزبدة والجبنة والقشطة

تخييل المعرض المصري

عُرض في المعرض الزراعي الصناعي ١٣٣ من الخيول ٩٥ منها قُدّمت الى لجنة التحكيم و٣٨ لم تقدم لها وهي ١٩ من الجمعية الزراعية الملكية و١٩ من الحكومة المجربة فنال الجائزة الاولى من الخيول المعروضة لتحكيم ستة وهي حصان لعلي ابو جازية بك من خيل القريبة وحصان لصلاح الدين الشوار بي بك من خيل القليوبية وحصان لبشري حنا بك من خيل المنيا وفرس لنقيمقاء صبري بك من افراس الوجه البحري وفرس للشيخ محمد منصور من افراس الجيزة وفرس لمرزا عبد الجواد بك من افراس الوجه القبلي . فنهنئ اصحاب هذه الخيول ونعسى ان يزيدوا اهتماماً بتأصيل الخيل حتى تصير من الطبقة الاولى بين الخيول في هذا العصر

المعروضات الزراعية

عرضت في المعرض كل انواع الحاصلات الزراعية كالقطن والقمح والشعير والذرة والارز والفول والبرسيم وقصب السكر

وانواع الخضروات كالطماطم والكوسى والقنبيط والبطاطس والخيار والباميا والكرنب والباذنجان

وانواع الفاكهة كالموز والبرتقال واليوسفي والليمون الحلو والملح

وسنأتي في المقتطف التالي على اسماء الذين نالوا الجوائز الاولى لاجل ما عرضوه

باب التقريظ والانتقاد

في الشعر الجاهلي

تأليف الدكتور طه حسين استاذ الآداب العربية في كلية الآداب بالجامعة المصرية

الشك اول مراتب اليقين . و يقول الانكليز ما مفادهُ « ان الشك مع الاخلاص ايمان مضاعف » . نحن ابناء العربية اكثرنا مقيم في مصر والشام والعراق ولهذه البلدان عمران قديم يرجع الى ستة آلاف سنة او اكثر ولم تزل آثارهُ الفنية والادبية والعلمية ماثلة امام عيوننا منقوشة في الصخر و يشار اليهِ فيما كتبهُ مؤرخو اليونان والرومان منذ اكثر من الفي سنة فنتوق نفوسنا ان نرى مثلهُ في تاريخ الامة التي ورثناها ورينا فيها فلا نجد شيئاً من ذلك الاَّ فيما وصل الينا من الشعر الجاهلي وهو لا يبعد بنا الى اكثر من الف وخمسمائة سنة فمن يجسر ان يطعن في قدمهِ و يجرّد ابناء العربية من ميراث يفاخرون بهِ على قلتهِ ولو جاء بعد مفاخر المصريين والاشوريين والفينيقيين بألوف من السنين . هذا الطعن بل الشك في نسبة الشعر الجاهلي خطر لنا منذ نحو سنتين ستة حينما قرأنا قصة عنترة العبسي ثم تكرر مراراً بعد ذلك الى الصيف الماضي فتهيبناهُ . فهل اقدم عليهِ الدكتور طه حسين غير هيَّاب ولا وجل

جاءنا كتابهُ ونحن على اهبة السفر لنقضي يومين في اطيان لنا وقد اصاب عنوانهُ غرضاً في النفس والمؤلف مدقق والكتاب صغير الحجم لا يتجنبهُ من سئم مطالعة الكتب فأبطأنا وقلنا خيراً وشرعنا نطالعهُ غير « ساخطين » ولا « مزورّين » لاننا كنا نبحث فيهِ عن الادلة التي استدلَّ بها والاسانيد التي اعتمد عليها . تصفحنا المقدمة الى ان وصلنا الى قولهِ «ان الكثرة المطلقة مما نسميهِ شعراً جاهلياً ليست من الجاهلية في شيء وانما هي منتحلة مختلقة بعد ظهور الاسلام ... واكاد لا اشك في ان ما بقي من الشعر الجاهلي الصحيح قليل جداً لا يمثل شيئاً ولا يدل على شيء » . فوقفنا وقفة المرتاب لانهُ اذا وجد شعر جاهلي صحيح فالمرجح انهُ يمثل حالة قائليهِ و بيئتهم لان الشعراء في البداوة يعبرون عمَّا في نفوسهم و يصفون ما يحيط بهم وهذا نراهُ فعلاً في بعض الشعر الجاهلي و يراهُ المستشرقون الذين اطلعوا عليهِ حتى ليفضلوهُ على الشعر العصري من هذا القبيل

وبعد المقدمة دخل الاستاذ ميدان البحث دخول مبارز متخلياً عن كل ما يعوقهُ في بحثهِ فقال «يجب حين نستقبل البحث عن الادب العربي وتاريخهِ ان ننسى قوميتنا وكل مشخصاتها وان ننسى ديننا وكل ما يتصل بهِ وان ننسى ما يضاد هذه القومية وما يضاد هذا الدين يجب ان لا نتقيد بشيء ولا نذعن لشيء الاَّ منهاج البحث العلمي الصحيح ذلك اننا اذا لم ننسَ قوميتنا وديننا وما يتصل بهما نضطر الى المحاباة وارضاء العواطف ونغل عقولنا بما يلائم هذه القومية وهذا الدين»

وكل هذا الفصل الممتع «بمنهج البحث» عظة من المواعظ التي لا بدَّ من العمل بها اذا اردنا ان يكون لشرقنا حياة عملية

ثم فصَّل ما اجملهُ فيما تقدَّم وبيَّن ان لغة الشعر الذي وصل الينا لم تكن لغة كل قبائل العرب في الجاهلية . قال « ولكنك تقرأ هذه المطولات او المعلقات التي يتخذها انصار القديم نموذجاً للشعر الجاهلي الصحيح فترى ان فيها مطولة لامرىء القيس وهو من كندة اي من قحطان . واخرى لزهير واخرى لعنترة وثالثة لعبيد وكلهم من قيس . ثم قصيدة لطرفة وقصيدة لعمرو بن كلثوم وقصيدة للحارث بن حلزة وكلهم من ربيعة . نقرأ هذه القصائد السبع دون ان تشعر فيها بشيء يشبه ان يكون اختلافاً في اللهجة او تباعداً في اللغة او تبايناً في مذهب الكلام . البحر العروضي هو هو وقواعد القافية هي هي والالفاظ مستعملة في معانيها كما تجدها عند شعراء المسلمين والمذهب الشعري هو هو . فنحن بين اثنين اما ان نؤمن بانهُ لم يكن هناك اختلاف بين القبائل العربية من عدنان وقحطان في اللغة ولا في اللهجة ولا في المذهب الكلامي . واما ان نعترف بان هذا الشعر لم يصدر عن هذه القبائل وانما حمل عليها حملاً بعد الاسلام ونحن الى الثانية اميل منا الى الاولى . فالبرهان القاطع قائم على ان اختلاف اللغة واللهجة كان حقيقة واقعة بالقياس الى عدنان وقحطان»

هذا ما قالهُ الاستاذ ولكنهُ لو انعم نظرهُ في اللهجات العربية الشائعة الآن في مصر والشام والعراق وتونس والجزائر والمغرب الاقصى بل في القطر الواحد كما في الوجه القبلي والوجه البحري لترجح لهُ ان الاختلاف بينها لا يقل عما كان بين لهجات قبائل العرب ومع ذلك فالاشعار التي ينظمها شعراء هذه البلدان متماثلة لا يختلف بعضها عن بعض الاَّ كما يختلف شعر شاعرين من بلد واحد . ولكن اذا كان الاختلاف قائماً في نفس اللغة كما بين لغة حمير ولغة مضر تعذر ان يكون لنا نوع واحد من الشعر وان وجد شعر منسوب الى حمير وهو بلغة مضر فهو مصنوع ولو ترجيحاً

انتقل بعد ذلك الى اسباب انتحال الشعر فذكر اسباباً وجيهة جداً ونظن ان كل من يقرأ ما كتبهُ من الصفحة ٤٧ الى الصفحة ١٢٤ يترجح لهُ ان الشعر المنسوب الى الجاهلية مصنوع اكثرهُ او كلهُ

وبعد هذا الاجمال استطرد الى التفصيل فبدأ بذكر امرىء القيس المعدود اشعر شعراء العرب فمحاهُ من الوجود كشاعر وربما نفاهُ ايضاً كرجل مستدلاً على ذلك بادلة كثيرة كادت تقنعنا بصحة نفيهِ لولا انها ذكرتنا بكتاب قرأناهُ في صبانا للدكتور هوبتلي رئيس اساقفة دبلن وقد كان من اكبر علماء المنطق في البلاد الانكليزية فانهُ تألم من الذين انكروا صحة ما جاء في الانجيل عن السيد المسيح فالف هذا الكتاب واقام فيهِ الادلة النقلية والعقلية على ان نبوليون بونابرت شخص وهمي لم يوجد. لكن اذا صح ما نقلهُ صاحب «شعراء النصرانية» في ترجمة امرىء القيس وهو ان مؤرخي الروم ذكروهُ في تواريخهم فلا ينتفي وجود الرجل ويقصر النفي على نسبة الشعر اليهِ . ثم ان السر تشارلس ليل ذكر امرئ القيس في المقدمة التي قدمها لديواني عبيد بن الابرص وعامر بن الطفيل وذكر ما يروى من التجائهِ الى قيصر كانهُ امرٌ مقرر

وجاء في الانسكلوبيديا البريطانية المطبوعة سنة ١٩١١ في ترجمة امرىء القيس انهُ اخذ كتاب توصية من الحرث الغساني الى الامبراطور يوستنيانوس وبعد ان اقام مدة في القسطنطينية جُعل اميراً (فلوخرساً) على فلسطين وسيرهُ يوستنيانوس الثاني اليها بكتيبة من الجند . لكن كاتب هذه الترجمة لم يذكر السند الذي استند اليهِ

ومن الغريب ان ابا تمام لم يذكر امرىء القيس في حماستهِ مع انهُ كان في اوائل القرن الثالث الهجري فهل غفل عنهُ او كان شعرهُ لم يوضع الى ذلك الحين

ثم تناول عبيد بن الابرص فنفاهُ ايضاً واحتقر ما ينسب اليهِ من الشعر . مع ان السر تشارلس ليل وهو اكبر المستشرقين الانكليز طبع ديوان عبيد بن الابرص وديوان عامر بن الطفيل سنة ١٩١٣ عن نسخة كتبت في اوائل القرن الخامس الهجري بعد ان ترجمها الى الانكليزية . وفي ديوان عبيد ثلاثون قصيدة عدا المقاطيع التي وجدها السر تشارلس واكثرها بدوي محض كالقصيدة السابعة والعشرين التي مطلعها

لمن الدار اقفرت بالجناب غير نؤي ودمنة كالكتاب

واغفل ابو تمام شعر عبيد بن الابرص من حماستهِ وذكرهُ في شعرهِ ولكن الامام التبريزي استشهد بشعرهِ حيث قال

فان قتلتُ فلا تركب لثأر بي وان سرضت فلا تحسبك عوّادي

فهل وضع شعرهُ بين زمن ابي تمام وزمن التبريزي . ولم نر هذا البيت في الديوان الذي نشرهُ السر تشارلس نبل

وانتقل الاستاذ طه حسين الى عمرو بن قميئة والمهلهل وجليلة امرأة اخيهِ فالحقهم بامرىء القيس وعبيد بن الابرص فلم نأسف الاَّ على جليلة فاننا نود ان تكون هي صاحبة الرثاء الذي نسب اليها

ثم اشار الى عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة وطرفة بن العبد والمتلمس . واعجبهُ شعر طرفة فوصفهُ احسن وصف وقال « لست ادري اهذا الشعر قد قالهُ طرفة ام قالهُ رجل آخر وانما الذي يعنيني هو انما هذا الشعر صحيح لا تكلُّف فيهِ ولا انتحال . وختم الكتاب بالاشارة الى بحث آخر لعلهُ اصعب من البحث الذي طرقهُ الآن وهو كيف نشأ الشعر العربي . وعسى ان يجعلهُ موضوعاً لدروس اخرى يتحف بها تلاميذهُ وقراءهُ

و بعدُ فقد اشرنا في صدر هذه السطور الى امر تمهيدهُ ووعدنا بان نعود اليهِ فنقول جاءتنا مجلة الجمعية الاسيوية في برليو الماضي وفيها مقالة ممتعة للمستشرق المحقق الدكتور مرغوليوث استاذ العربية في جامعة أكسفرد موضوعها « اصل الشعر العربي » وخلاصتها الشك في نسبة الشعر الجاهلي . وقد اقام على ذلك ادلة كثيرة اقواها اننا نرى ذكر الشعر والشعراء في آيات كثيرة من القرآن على اسلوب يظهر منهُ أن العرب كانوا يفهمون بالشعر غير ما نفهمهُ الآن اي ان شعرهم لم يكن الكلام الجاري على الصناعة الشعرية من بحور الشعر وقواعدهِ المعروفة عندنا فليس هو كالشعر المنسوب الى عرب الجاهلية

ومن هذا القبيل ورود كلمات وجمل ومعانٍ في الشعر الجاهلي واردة في القرآن دلالة على ان اصحابها اقتبسوها منهُ كقول عبيد بن الابرص

حلفت بالله ان الله ذو نعم لمن يشاء وذو عفو وتصفاح

وقولهِ مَن يسأل الناس يحرموهُ وسائل الله لا يخيب

وقول ذي الاصبع

الله يعلمكم والله يعلمني والله يجزيكم عني ويجزيني

وقول جليلة اخت جساس

اني قاتلة مقتولة ولعلَّ الله ان يرتاح لي

والاستشهاد بالله كقول الحرث بن عباد

لم اكن من جناتها علم الله وانني بحرّها اليوم صالِ

وانهُ رب العالمين كقول الاسود

اقول لما اتاني هلك سيدنا لا يبعد الله رب الناس مسروقا

وفي سورة هود «تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنتَ تعلمها انت ولا قومك من قبلُ» الآية .والاشارة هنا الى طوفان نوح.وفي سورة الشعراء « اني لكم رسول امين» ولكن جاء في الشعر المنسوب الى النابغة الذبياني ذكر نوح وذكر امانته ايضاً بقولهِ

فالفيت الامانة لم تخنها كذلك نوح لا يخونُ

وفي سورة الانفال «تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم» الآية وقال ذو الاصبع

فان ترد عرض الدنيا بمنقصتي فان ذلك مما ليس يشجيني

والمنتظر من شعراء الجاهلية ان يكثروا من ذكر معبوداتهم وألاَّ يحلفوا إلاَّ بها ولكننا نرى انها اذا ذكرت في اشعارهم ذكرت بشيء من الامتهان كقول اعشى قيس

حلفت باللح والرماد وبالعزّى وباللاتِ تسلم الحلقه

وذكر الاستاذ مرغوليوث ادلة غير هذهِ واقاض في وصف ما فعلهُ الرواة من صنع الشعر وما جاهر بهِ النقّاد من ان اكثر الشعر المنسوب الى عرب الجاهلية مصنوع واستشهد بما قالوهُ في هذا الموضوع

هذا . ولنعد الى كتاب الاستاذ طه حسينٍ فنقول ان ادلتهُ منطقية جلية تحمل قارئها على التسليم بصحة نتيجتها او على الاعتراف بقوتها . وقد جرى فيهِ على اسلوب محكم من البحث العلمي الصحيح الذي لا بدَّ منهُ اذا اردنا الوصول الى الحقائق . والكتاب مطبوع طبعاً حسناً جداً في مطبعة دار الكتب المصرية

تقرير مصلحة الصحة لسنة ١٩٢٢

جاءنا تقرير مصلحة الصحة لسنة ١٩٢٢ و يقال فيهِ انهُ طبع في المطبعة الاميرية سنة ١٩٢٦ ولا ندري لماذا تأخرت المطبعة الاميرية في طبع هذا التقرير او لماذا تأخرت مصلحة الصحة في اعدادهِ وارسالهِ اليها ليطبع.وقد اقتطفنا منهُ الفوائد التالية

اولاً ان نسبة المواليد بلغت ٤٣٦٣ في الالف سنة ١٩٢٢ وكانت ٤٢٦٣ في الالف

سنة ١٩٢١ فالزيادة نحو واحد في الالف . ونسبة الوفيات بلغت ٢٥٫٢ في الالف سنة ١٩٢٢ وكانت ٢٥٫٣ في الالف سنة ١٩٢١ ولكن العبرة ليس في ذلك بل في زيادة المواليد على الوفيات وهي ١٨ في الالف او واحد وثمانية اعشار في المائة وهذه زيادة نادرة جدًّا في المسكونة فقد كانت زيادة المواليد على الوفيات في انكلترا سنة ١٩٢٢ نحو ثمانية في الالف وفي فرنسا اقل من ستة في الالف وفي ايطاليا نحو ١٢ في الالف. فاذا استمرت زيادة السكان في القطر المصري على هذا المعدل وكان عددهم الآن ١٤ مليونًا بلغوا في عشرين سنة عشرين مليونًا

والزيادة في القاهرة	١٧	في الالف	في مديرية المنوفية	١٨٫٧	في الالف
وفي الاسكندرية	٣٢٫٥	» »	» » القليوبية	١٨٫٤	» »
وفي الاسمعيلية	٢١٫٥	» »	» » الشرقية	١٤٫٨	» »
وفي بورسعيد	٢٦٫٦	» »	في اسيوط	١٧٫٩	» »
وفي دمياط	٣٦	» »	» اسوان	١٦٫٢	» »
وفي السويس	١٥٫٨	» »	بني سويف	٢٢٫	» »
وفي الصحراء الشرقية	٢٦٫١	» »	الفيوم	١٩٫٣	» »
» » الغربية	٦٩٫٨	» »	جرجا	١٧٫٢	» »
» » سينا	٥٠	» »	الجيزة	٢٢٫٨	» »
في مديرية البحيرة	١٤٫٤	» »	المنيا	١٦٫٦	» »
» » الدقهلية	٢٠٫٧	» »	قنا	١٧٫	» »
» » الغربية	١٦٫٧	» »	ومتوسط القطر كله	١٨	» »

ومما يفيد الوقوف عليه في هذا التقرير الاختلاف الكبير في وفيات الاطفال الذين عمرهم اقل من سنة بمدن القطر فان اقلها ٢٨٫٥ في الالف في طنطا واكثرها ٤٢٫٤ في الالف في المنيا . وفي اختلاف نسبة الوفيات من الاطفال ومن السكان كلهم باختلاف المدن والمديريات مجال للنظر ليعلم أهو من قلة الاطباء ام من نقص التعليم ام فساد الهواء ام ازدحام السكان . هذه مسألة يحسن بالباحثين في الاماكن التي تكثر فيها الوفيات ان يبحثوا عن اسبابها لتزال . والتقرير كبير مسهب وسنعود الى بعض فصوله ونستخرج منهُ ما يمكن استخراجهُ من العبَر

الشوقيات

لقد رجونا مع غيرنا من ابناء العربية ان يُنشَر ما جادت به قريحة امير الشعراء في كتاب واحد . فحقق الرجاء وصدر الجزء الاول من هذه النفائس وعليها شرح يفسر ما حسبهُ الناشر غامضاً من الفاظها ويبين ما اشارت اليه من المهام . وقد خدمها البحّاثة المحقق الدكتور محمد حسين هيكل بمقدمة لم تبقِ لمقرّظ ما يقولهُ لانها احاطت بكل ما في الديوان من المعاني وما اكثرها . فان شوقي بك واسع الروية واسع الخيال انقادت المعاني الى قريحتهِ من تدين وتاريخ وسياسة وحماسة وفلسفة وزهد ووصف ومدح وغزل ونسيب . ففي كل قصيدة من قصائدهِ معانٍ مبتكرة وقضايا اثبتها الاختبار واخبار حققتها الايام وحكم جرت مجرى الامثال كأنهُ احاط بما في الكون ماضيهِ وحاضرهِ رويّة واسعة ومبدأٌ فيّاض . ما كذلك عهدنا شعراء العربية في التوسع والاستقصاء حتى اننا لما قابلنا شعر المعري بشعر ملتن منذ اربعين سنة (مقتطف مايو سنة ١٨٨٦) انتهت بنا المقابلة الى ان قصائد ابي العلاء كادواح قائمة بنفسها مستقلة بغرسها . واما قصائد ملتن فكالمدن الكبيرة والبحار الواسعة والمكاتب الجامعة الى آخر ما ذكرناهُ هنالك.

ولم يزل هذا رأينا في التباين بين الشعر العربي والشعر الافرنجي او بين الشعر السامي والشعر الاري الى ان صدر هذا الجزء من الشوقيات مصدَّراً بالهمزية التي قالها شوقي بك في المؤتمر الشرقي بجنيفا سنة ١٨٩٤ وصفاً لكبار الحوادث التي حدثت في وادي النيل فاذا هي من نوع الشعر الذي امتاز بهِ الاريّون . حوادث تاريخية من عهد رعمسيس الى عصر الخديوي توفيق سردها والبسها من البيان حللاً سابغة وجارى بها المؤرخين من مدح وذم حسبما كان معروفاً واعتذر عن قصّد الاولين لغير الخالق بان عقولهم كانت في صباها الى ان جاء موسى وولد عيسى واجاد في وصف عيسى فقال

وُلد الرفقُ يوم مولد عيسى ... والمروءاتُ والهدى والحياء
وازدهى الكون بالوليد وضاءت ... بسناهُ من الثرى الأرجاء
وسرت آية المسيح كما يسـ ... ـرى من الفجر في الوجود الضياء
تملأُ الأرض والعوالمَ نوراً ... فالثرى ماثج بها وضّاء
لا وعيدٌ ، لا صولة ، لا انتقام ... لا حسام ، لا غزوة ، لا دماء
ملكٌ جاور الترابَ فلما ... ملّ نابت عن التراب السماء

وأطاعته في الإله شيوخ خُشَّع خُضَّع له ضعفاء
أذعن الناس والملوك الى ما رسموا والعقول والعقلاء

والتدين جزء كبير من شعر شوقي على خلاف ما عليه كثيرون من نوابغ الشعراء كالمتنبي والمعري وان كان قد خص السيد المسيح بابيات هنا وهنالك فقد عقد للنبي محمد قصائد غراء حتى لقّبهُ الدكتور هيكل بك شاعر الاسلام وعندنا انهُ شاعر الشرق والغرب شاعر الغرب في وصف ما حازهُ من الرقي المادي والادبي اغراء لابناء الشرق به ، وشاعر الشرق لانهُ بسط تاريخهُ ونشر آدابهُ واشاد بمفاخره ولا سيما بمفاخر الاتراك وفعالهم في حروبهم فترى قصائدهُ فيهم تبث الحماسة في النفوس كأنهُ نبوليون يخطب في جنودهِ او هوميروس يصف ابطال بلادهِ. هاك بائيتهُ التي وصف بها الوقائع العثمانية اليونانية لا نظن ان احداً قرأ ما قالهُ عن القائد الباسل الحاج عبد الازل وفرسهِ الاَّ كرَّر تلاوتهُ مراراً بطرب وحماسة . واي كلام اوقع في النفوس من قولهِ بلسان عبد الازل وقد قيل لهُ ليترجل عن جوادهِ لانهُ عطب فقال

ذروني وشأني والوغى لا سبالياً الى الموت امشي ام الى الموت اركب

ثم استطرد الى الحكم والعبر وجوامع الكلم فقال

وما شهداء الحرب الاَّ عمادها وان شيد الاحياء فيها وطنبوا
مداد سجلّ النصر فيها دماؤهم وبالتبر من غالي ثراهم يترَّب

وهو يرقب الاتراك بعين الصديق الودود او العاشق الولهان يبتهج بفوزهم فيشيد بذكرهم ويجلهم اسمى محل في الخافقين واذا حسب انهم اخطأوا لجَّ في العتاب بل في التوبيخ والرثاء وهو في ذلك لجوج ككل محب لا ينتظر العاقبة بل يتولاهُ الحاضر فيرهقهُ كما ترى في بائيتهِ في خلافة الاسلام حيث قال

ان الذين امنت جراحك حربهم قتلتك سلمهم بغير جراح
هتكوا بايديهم ملاءة فخرهم موشيَّة تجواهب الفتاح

ثم احسن التعليل عن ملامتهِ واستطرد الى الوعظ والحكم فقال

استغفر الاخلاق لستُ بجاحد من كنتُ ادفع دونهُ والاحي
مالي اطوقهُ الملام وطالما قلدتهُ المأثور من امداحي
هو ركن مملكة وحائط دولة وقريع شهباء وكبش نطاح
أأقول من احيا الجماعة ملحد واقول من ردَّ الحقوق اباحي

الحق اولى من وليك حرمة واحق منك بنصرة وكفاح
فامدح على الحق الرجال ولهمو او خلّ عنك مواقف النصّاح

وعسى ان يرى بعد هذه الملامة ما يستوجب المدح فيمدح كما رأى بعد عبد الحميد ما يستوجب اللوم فلام . وممّا يجري هذا المجرى القصيدة التي عنّف بها رياض باشا سنة ١٩٠٤ ومطلعها

كبير السابقين من الكرام برغمي انّ اتاك بالملام
مقامك فوق ما زعموا ولكن رأيت الحق فوقك في المقام
احبّتك البلاد طويل دهر وذا ثمن الولاء والاحترام
خفرت لها زماماً كنت فيه لموبًا بالحكومة والذمام

لكن نفسهُ الزكية وادبهُ الجم ابيا عليهِ ان يبقي في نفسهِ ضغينة فقال بعد سبع سنوات في رثائهِ (سنة ١٩١١)

ممات في المواكب ام حياةٌ ونعش في المناكب ام عظات
وخطبك يا رياض ام الدواهي على انواعها والنازلات
يجل الخطب في رجل جليل وتكبر في الكبير النائبات
اجل حُملتَ على النعش المعالي ووسّدتِ التراب المكرمات
ابا الوطن الاسيف بكتك مصر كما بكت الاب الكهف البنات
قضيتَ لها الحقوق لتى وكهلاً ويوم كبرت واخت الفتاة
فكنتَ على حكومتها سراجاً اذا بسطت دجاها المشكلات
تسوس الامر لا يعطى تفاذاً عليك الآسرون ولا النهاة
صفات بلغتك ذرى المعالي كذلك ترفع الرجل الصفات

ثم اعتذر اعتذار كريم عمّا آخذهُ بهِ فقال

اخذتك في الحياة على هنات واني الناس ليس لهُ هنات

والمرثاة طويلة ملأت اربع صفحات من المقتطف وكلها غرر ودرر ومواعظ وحكم وحث على التيقظ والحيطة واخذ بالامور بالحزم

وقد لام لورد كرومر باشد مما لام رياض باشا ولو عرف من امره ما نعرف وما كان يثنناهُ لمصر لاعتذر عن لومهِ ورثاءُ احسن رثاء على ما ترجح

وهو شديد الشعور قوي البداهة معرّض للتأثر بالمؤثرات فلا يستطيع التريث اذا رأى

ما يضرامتهُ ووطنهُ بل يندفع اندفاع السيل. ولولا ذلك ما كان شوقي بالشاعر الذي نعرفهُ

هذا اما شاعرية شوقي فقد اجمع الخافقان على انها في الاوج الاعلى فلا يستطيع وصفها الاَّ شاعر يدانيهِ . فنقف عند هذا الحد ونود ان يتمتع كل اديب ومتأدب بهذا الديوان . وحبذا لو رتَّب قصائدهُ حسب تواريخها لانها تاريخ لوطنهِ كما هي تاريخ لافكارهِ وآرائهِ

الموازنة بين الشعراء

وفيهِ أبحاث في اصول النقد واسرار البيان. للدكتور زكي مبارك

الذين قرأوا هذه الفصول وهي تنشر في المقتطف كما قرأناها رأوا فيها نوعاً من النقد لا يستطيعهُ الاَّ من كان مثل المؤلف شاعراً واسع الرواية دقيق الملاحظة . وودوا ان تطبع في كتاب على حدة لكي يسهل درسها والرجوع اليها فان فيها من الاحكام العقلية الدقيقة ما يستولي على العقل وتطرب لهُ النفس ومن تحليل الشعر ما يري القارئ شؤوناً لم يكن يراها فيهِ . وقد قال المؤلف ان الادباء كانوا في مختلف العصور يهتمون بالموازنة بين مَن ينبغون من الشعراء في عصر واحد فوازنوا بين امرىء القيس والنابغة وزهير والاعشى في الجاهلية وبين جرير والفرزدق والاخطل في الدولة الاموية . وبين ابي نواس ومسلم بن الوليد وابي العتاهية . وبين ابن المعتز وابن الرومي . وبين ابي تمام والبحتري في الدولة العباسية » . وقد اطلعنا على بعض هذه الموازنات فلم نرَ فيها ما تفيد مطالعتهُ وترتاح النفس اليهِ كما رأينا في هذه الفصول كأنَّ الاقدمين من اصحاب الموازنة لم يتصفوا بالاوصاف التي ذكرها المؤلف واشترط ان تكون في مَن يتصدر للموازنة بين الشعراء وهي « ان يصل الى درجة عليا من فهم الادب وان يصح ولهُ في النقد حاسَّة فنية تصرفهُ عند الحكم عن كل ما يفسدهُ من الاهواء والاغراض » . ثم فصَّل مرادهُ بهذه الصفات تفصيلاً يحسب من ابواب الفلسفة العقلية كتفصيلهِ الحاسة الفنية . وبعد ان اسهب في حقيقة النقد وشروطهِ وما يراد بالشعر والصور الشعرية واختلافها واختلاف المعاني والاغراض والتمثيل على ذلك كلهِ من اشعار العرب انتقل الى الموازنة بين بعض الشعراء الاقدمين والمحدثين فذكر اولاً الحصري صاحب « يا ليل الصب متى غده » وشاعرنا شوقي صاحب « مضناك جفاهُ مرقدهُ » التي عارض بها قصيدة « يا ليل الصب » بعد ان عرَّفنا من هو الحصري . ثم وازن بين البحتري وشوقي بعد ان اسهب

في ترجمة البحتري و بيتين وفي وصف شوقي ايضاً وأيّد وصفهُ بوصف الاستاذ خليل مطران لهُ ثم ربط وصف كلٍّ منهما بشعرهِ الى ان وصل الى سينية البحتري وسينية شوقي فجعلها محوراً للموازنة. وانتقل الى الموازنة بين شوقي واليوصيري وكاد يحصر الموازنة بين البردة و بين ميمية شوقي وفضل ميمية شوقي من كل وجه. ولكن هل تشتهر اشتهار البردة؟

ويلي ذلك فصل في الموازنة بين ابي نواس وابن دراج فيهِ نفحة من الأدب الاندلسي و بها ختم الكتاب. ولا نظن ان اديباً من ابناء العربية يرضى ان لا يكون هذا الكتاب بين كتبهِ وفي ايادي اولادهِ وهو ٢٥٨ صفحة بقطع المقتطف وثمنهُ ١٥ غرشاً

مذكرة الجيب الهندسية

لواضعها ابرهيم افندي زكي المهندس

قرظنا هذه المذكرة حينما ظهرت في طبعتها الاولى في مقتطف ابريل سنة ١٩٠٤ وقلنا « لو لم تكن فائدة هذا الكتاب محصورة في المهندسين لقلنا انهُ اليد كتب الشهر لانهُ لم يصل الى يدنا هذا الشهر كتاب يوازيهِ فائدة ولا رأينا منذ زمن طويل كتاباً تعب مؤلفهُ في جمعهِ وطبعهِ تعب مؤلف هذا الكتاب » والآن قد طبع طبعة ثالثة بحرف واضح

الدروس الزراعية

يسرنا ما نراهُ من الاهتمام بالزراعة في ربوع الشام وتأليف الكتب القيمة فيها لان ثروة البلاد ومعيشة اهلها متوقفتان على الزراعة خاصة. وربوع الشام صالحة لكل انواع المزروعات لانها جامعة بين الاقاليم الحارة والمعتدلة والباردة من ساحل بحر الروم وغور الاردن الى جرود لبنان

الكتاب الذي امامنا الآن الفهُ السيد وصفي زكريا مدير المدارس الزراعية السابق في سورية وفلسطين وقد جمع فيهِ خلاصة النظريات الفنية في علم النبات والكيميا الزراعية والظواهر الجوية والزراعة العامة والخاصة والصناعات الزراعية كتربية دود الحرير والنحل والمواشي والاقتصاد الزراعي وقد اوضحهُ بكثير من الصور. وعسى ان يضاف الى كل مدرسة من المدارس التي تعلم علم الزراعة حقل واسع يقرن التلامذة فيهِ العلم بالعمل فاذا درسوا هذا الكتاب وعملوا بايديهم في تطبيق قواعدهِ فالغالب انهم يعشقون الزراعة ومن ذلك اكبر فائدة لهم ولبلادهم

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته اعتناء واضحا (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفا تتدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله وان لم تدرجه بعد شهر اخر تكون قد اهملناه لسبب كان

(١) قوة البصر والسن

باربرتن اوهيو باميركا . الخواجه جرجس ملتوس . سمعتُ ان من كان بصرهُ قصيراً وهو شاب يبقى على حالته الى ان يبلغ من العمر اربعين سنة وحينئذٍ يبتدئ بصرهُ يطول بالتدريج الى السبعين فهل هذا صحيح

ج . ان من كان بصرهُ قصيراً (ميوب) وهو شاب فالغالب ان بصرهُ يطول متى فات سن الكهولة ولكن ابتداء طوله غير مقيد بسن الاربعين والغالب انهُ يكون بعد الخمسين او الستين . ولقصر البصر وطوله درجات كثيرة وفواعل عديدة يصعب حصرها فكاتب هذه السطور كان بصرهُ قصيراً ولم يبتدئ يطول الاَّ بعد ما ناهز الستين ولا يزال يقرأ الخط الدقيق من غير نظارات (هوينات) ويعرف رجالاً اصغر منهُ سناً كانوا قصار البصر مثلهُ وهم لا يستطيعون قراءة المقتطف الآن من غير نظارات محدبة تكبر الحروف

(٢) اسباب طول العمر

ومنهُ . هل لطول عمر الانسان وقصره علاقة بالوراثة من الوالدين او ان للمعيشة والوقاية الاهمية الكبرى

ج . لكل هذه المذكورات شأن كبير في طول العمر وقصره . ولكن لا يعلم كم نصيب كلٍّ منها وانما يعلم مثلاً ان التدابير الصحية العمومية والاعتماد على الاطباء في معالجة الامراض وقلة التعرُّض للآفات كل ذلك زاد متوسط عمر الانسان من نحو ٢٠ سنة الى اكثر من خمسين سنة . مثال ذلك انهُ منذ اربعين سنة كان متوسط الوفيات السنوي في القاهرة نحو خمسين في الالف اي كان متوسط العمر نحو عشرين سنة فقط لكثرة وفيات الاطفال بنوع خاص . والآن صار متوسط الوفيات السنوي فيها نحو ٣٤ في الالف اي صار متوسط عمر الانسان نحو ٣٠ سنة . وكان متوسط الوفيات السنوي في الاسكندرية منذ اربعين سنة نحو خمسين في الالف فصار

الآن ٢٧ في الالف اي كان متوسط عمر الانسان فيها ٢٠ سنة فاصبح ٣٦ سنة . ولم يقع تغيير مهم في المدينتين الاَّ في التدابير الصحية

(٣) العطش والغدة النخامية

قول رفر مستشوستس. الخواجه نجيب مسوع . رجل عمرهُ ٣٨ سنة صناعتهُ دهَّان عمل اخيراً في دهان بيت من الخارج ووجد مشقة في ذلك ولم يشرب ماء النهار كلهُ فعطش شديداً ومن ذلك الحين اخذ يطلب الماء بكثرة حتى بلغ ما يشربهُ في اليوم سبعة جالونات (٥٦ رطلاً مصريًّا) ومع ذلك يبقى شاعراً بالعطش. ورآهُ كثيرون من الاطباء ولم ينل منهم نفعاً . وكل ما يشكو منهُ هو العطش وهو غير مصاب بالداء السكري فهل لكم ان ترشدونا الى علاج لهُ

ج . لم نرَ في كل ما لدينا من الكتب الطبية اشارة الى هذا العطش الاَّ في داء السكر (الديابطس) ولكننا رأينا منذ ايام قليلة في مجلة علمية ان حالة مثل هذه تحدث اذا وقع خلل في الغدة النخامية Pituitary gland على ما تذكر فاستشيروا جراحاً ماهراً واذكروا لهُ امر الغدة النخامية لعلهُ يستطيع مداواة العلة واخبرونا بالنتيجة

(٤) حقيقة الماسونية

شطره بالعراق . احمد الحاج حسن زو يلف . ما هي الماسونية وهل هي جمعية دينية او جمعية سياسية وما هي مبادئها ومقاصدها

ج. هي جمعية تعاون لا تتعرض للدين ولا للسياسة ولذلك ينتظم فيها الناس من كل الاديان فيبقى كلٌّ منهم في دينهِ كأنهُ لم ينتظم فيها فترى بين اعضائها الربانيين والقسوس والمشايخ كما ترى العلماء والتجار والمؤلفين . ولا تتعرض للسياسة فترى بين اعضائها اكثر الملوك والوزراء من كل البلدان . وغايتها التعاون على ما يفيد اعضاءها ويفيد سائر بني الانسان والحث على مكارم الاخلاق فاذا وقع احد اعضائها في ضيق وابدى اشارة ورآها احد من اعضاء الجمعية الماسونية بادر الى معونتهِ. وهي تهتم باختيار اعضائها من فضلاء الانام وتبقي اشاراتها سرية حتى لا يستعملها الناس لاخلاق لهم فيفسدوا عليها عملها . ولما كان اكثر اعضائها من المتعلمين المتهذبين الذين لا يتسلط عليهم التدجيل نشأ بعض المتجرين بهِ وبعض رجال الاديان الذين توهموا انها مضادة لدينهم . هذا وغنيٌّ عن البيان ان الماسون غير معصومين في انتقاء الاعضاء ولكنهم يبذلون جهدهم لكي لا يُخدَعوا ولا الماسونية تكفل تغيير الاخلاق الفطرية ولكنها تسعى الى ذلك جهدها بالبحث والمعاشرة

(٥) طبائع الافاعي والحواة

النطون بسلفانيا بالولايات المتحدة. الخواجه ليان ليوفي قرأت ما كتبتموهُ عن طبائع الافاعي الكبيرة في مقتطف مارس مجلد ٦٨ صفحة ٣٠٦ حيث قلتم انهُ «ليس في مقدرة انسان سواء كان رجلاً او امرأة ما يمكّنهُ من التأثير في الافاعي فيجعلها تنقاد لهُ صاغرة» مع اننا نظرنا مراراً كثيرة بعض المشايخ والمغاربة يجولون في انحاء سورية ويأمرون اشرّ الحيات بالخروج من تحت الردم ومن داخل البيت فتنقاد اليهم صاغرة وتخرج طائعة. و بعضهم يأمر الحية بالوقوف فتقف امامهم لا تتحرك. فكيف يفعلون ذلك

ج - ان الذي رأيتموهُ رآهُ البعض من اكبر علماء علم الحيوان وصدقوهُ. ورأيناهُ نحن في بيتنا وكان معنا الدكتور شبلي شميل فاستدعينا حاوياً فدخل مكتبتنا واستخرج افعى من تحت مائدة فيها فقلنا لهُ انها كانت في ثيابهِ وقد اوهمنا بانهُ استخرجها من تحت المائدة فخلع ثيابهُ كلها وهي وسخة قذرة واخرج افعى ثانية من زاوية المكتبة وثالثة من زاوية اخرى ففتحنا كتاباً كبيراً واوهمناهُ اننا نسحرهُ ونضرهُ ان لم يخبرنا بحقيقة ما فعل لان ليس في بيتنا افاعي وان اخبرنا بحقيقة ما فعل فاننا نعطيهِ ريالاً نشرح لنا كيف فعل فان الافاعي الثلاث كانت في كيس معهُ وكان قد خلع انيابها واستعملها لتضليل الناس بها طلباً للرزق وانهُ لما وضع يدهُ تحت المائدة احتال بخفة واخرج احدى الافاعي من كيسهِ واوهمنا انهُ اخرجها من تحت المائدة ولما خلع ثيابهُ جمعها كلها ووضعها على كتفهِ وكيس الافاعي فيها ولما كان يمشي ليخرج الافعى من زاوية الغرفة كانت ثيابهُ تقع بانحنائهِ فيردها الى كتفهِ وفي الوقت نفسهِ يخرج افعى من الكيس ويريناكأنهُ اخرجها من زاوية الغرفة. واعاد العمل امامنا بالتأني من اولهِ الى آخرهِ واخذ الريال وهو مسرور بالنجاة من سحرنا. ومثل ذلك يفعل كل الحواة. اما وقوف الحية او وقوف رأسها بعنفهِ وجانب من بدنها فتجدون تعليلهُ بعد في السطر التالي لما نقلتموهُ عن المقتطف حيث قلنا «والعامل الوحيد الذي يمكّن بعض الناس من التسلط على الافاعي قائم في معاملتها بالحسنى وتعويدها ذلك» والافعى ليست اشرس من الاسد ولكن الاسد يذلل ويُعلَّم حتى يصير كالكلب. وقد رأينا رجلاً علّم البراغيث ان تجر مركبات صغيرة

(٦) الروح ومذهب التشوه

دمشق. السيد فؤاد شباط قلتم في الجزء الرابع من المجلد ١٦٨ صفحة ٤١٥ ان بعض العلماء مثل ولسن ومكدوغل ودو بتش لا يقولون بان الجزء الروحي في الانسان نشأ

من الحيوان كما تنأ جسمهُ فكيف يفسرون اذاً اضافة هذا الجزء الروحي الى جسم الانسان

ج . يمكن تفسير ذلك بما قالهُ السر اوليفر لدج في خطبة هكسلي التي القاها حديثاً وهو ان مذهب النشوء لا يضاد مذهب الخلق ولا يخالفهُ بل هو اسلوب من اساليب الخلق وان الخالق الذي خلق المادة الحيَّة وضع فيها القدرة للنشوء المتدرج وهو يضع الجزء الروحي في الانسان الذي هو احد نتائج النشوء . وقد نترجم خطبتهُ او نلخصها في جزء تالٍ

(٧) اول مستنبط للاتومبيل

غرزوز بلبنان . الخواجه اميل وهبه عازار . قرأنا في الجزء الرابع من المجلد السادس والستين عن هنري فورد ومعاملهِ الشهيرة فهل هو اول مخترع للسيارة اي الاوتومبيل التي تسير بالبخار والتي تسير بالبنزين او من هو مخترعها الاول وفي اية سنة كان ذلك

ج . في الاتومبيل مآت من الاجزاء المهمة وهي ليست من اختراع رجل واحد ولا اخترعت في سنة واحدة ولا يزال الاختراع مستمراً فيهِ . اما اول من صنع مركبة تسير بالبخار فهو رتشرد ترفثك وذلك سنة ١٨٠٢ واول من استعمل البنزين او الجزء الخفيف من البترول فهو غتلب ديملر وذلك ١٨٨٥ ثم استخدمهُ المسيو لاشو رلتسيير المركبات سنة ١٨٨٧ . ومن ثم الى سنة ١٨٩٦ اهتم الفرنسويون بتحسين السيارات حتى لما زرنا معرض باريس سنة ١٩٠٠ وجدنا فيهِ عشرات منها وهي من انواع مختلفة

(٨) تاريخ اليانصيب واساليبه

زنجبار . السيد راتب بن احمد بن راشد . مَن اول من عمل اليانصيب ولماذا ومتى كان ذلك وما صورة اخراج النمر الرابحة من جملة آلاف

ج . اليانصيب او الاقتراع قديم جداً فقد ذكر في المزمور الثاني والعشرين وكان ذلك قبل المسيح باكثر من الف سنة وابتدأ عند الرومان منذ عهد قديم وكانوا يستعملونهُ في عيد زحل وفي الولائم للفكاهة فيلقون قرعة ينال فيها بعضهم شيئاً ثميناً حسب قرعتهِ وبعضهم شيئاً بخساً فقد ينال الواحد كاساً من الذهب وينال الآخر ذبابة . واستمر ذلك في الولائم والمواسم الى الآن . ثم استعملت بعض الدول الحديثة اسلوب القرعة لجمع المال وجاراها بعض البنوك والجمعيات الخيرية . والمرجح الآن ان ضرر هذا النوع من اليانصيب اكبر من نفعهِ . والطريقة فيهِ ان تكتب الاعداد من واحد الى اكبر عدد يدخل في القرعة على اوراق كل عدد على ورقة ولنفرض انهُ يراد الناء

قرعة بين عشرة آلاف على عشرة آلاف نمرة فتكتب الاعداد من واحد الى عشرة آلاف على عشرة آلاف ورقة صغيرة متماثلة وتلف كل ورقة على حدة وتوضع كلها في وعاء كالبرميل ويدار على محورهِ حتى تختلط بعضها ببعض ثم يمدُّ لك يدهُ من باب صغير في البرميل ويخرج ورقة فيكون الزنج لصاحب العدد الذي فيها

(٩) الاسنان الصناعية

ومنهُ من المعلوم ان الاسنان الصناعية تصنع من الذهب او الفضة او من معدن آخر او من العظم فاي المعادن احسن واسلم من غيرهِ

ج . اذا كانت من المعدن فالذهب افضلها والاَّ فتصنع من مادة تشبه العظم الصلب لا من العظم نفسهِ وهي حينئذٍ مثل الاسنان الطبيعية من كل وجه

(١٠) لون الفحل

اسكلة طرابلس . الخواجه انطونيوس مكربل . اذا غيَّر الفحل لونهُ وصار ابيض فماذا اصنع لهُ حتى يرجع احمر كما كان

ج . ان كنتم تقصدون ان تنقلوا الفحل الابيض وتصبغوهُ بلون احمر فصبغهُ كذلك سهل بمادة من نوع اللعل او بكل صباغ احمر من نوع الالیزارين . واذا كنتم تقصدون ان تزرعوا بزر الفحل الابيض وتريدون ان ينمو احمر فنظن ان ذلك محتمل باذابة الاليزارين الاحمر في الماء الذي تسقى بهِ ارض الفحل واسهل منهُ زرع بزر الفحل الاحمر فينمو منهُ فحل احمر. فالفحل المصري ابيض ولكننا جلبنا بزر فحل احمر من سورية وزرعناهُ هنا فنبت منهُ فحل احمر ومن المحتمل انهُ اذا تكرر زرعهُ سنة بعد سنة قل احمرارهُ رويداً رويداً وصار ابيض كالفحل المصري فاذا اريد ان يكون احمر فلا اسهل من جلب بزر جديد . ولا نتذكر ان احداً بحث عن المادة التي تجعل الفحل احمر القشرة ولكن يحتمل انها شيءٌ من املاح الحديد والحديد قليل في تربة القطر المصري

(١١) سبب التغيط

النيوم . مستفهم لماذا يغط بعض الناس في نومهم

ج . لانهم يغمضون افواههم وهم نيام إمَّا لانهم اعتادوا ذلك او لسبب حمى او زكام او نمو بلبوس في الانف

ومنهُ . في صديق يبلغ الخامسة والثلاثين اعتاد ان ينام نوماً هادئاً خفيفاً توقظهُ اقل حركة غير انهُ منذ ايام بدأ يغط في نومهِ بصوت مرتفع فهل لذلك علاج

ج . اذا نام الانسان وفمهُ مطبق ولنفس من انفهِ لم يسمح لهُ غطيط فاذا كان الغطيط حادثاً في صديقك فلا بدَّ لهُ من سبب مثل الزكام او الحمى او نمو بلبوس في داخل انفهِ

يجعل التنفس منهُ صعباً فيضطر ان يفتح فاهُ حينما يتنفس وهو نائم. وتزع البلوس سهل يفعلهُ الاطباء

(١٢) الفرق بين المغنطيسية والكهربائية

المنصورة. لبيب افندي مينا. ما الفرق بين المغنطيسية والكهربائية

ج. هما من قبيل واحد والمظنون الآن ان الكهارب السلبية التي تدور حول نواة الجوهر الفرد الايجابية في دوائرها الاهليلجية يجيد بعضها عن مدارهِ فتنقلب كهربائية الجوهر من الموازنة الى الايجابية او السلبية فان كان ذلك في الحديد او النكل وامثالها ظهر بالصورة التي نسميها مغنطيسية وان كان في الزجاج او الراتينج وامثالها ظهر بالصورة التي نسميها كهربائية. والحديد الممغنط يجذب الحديد ولا يجذب القش مثلاً والزجاج المكهرب يجذب القش ولا يجذب الحديد ولكن الكهربائية تجعل الحديد مغنطيساً والمغنطيسية تتحول الى كهربائية

(١٣) شيوع القبعة

ومنهُ هل كان لبس القبعة خاصاً بدولة ما واذا كان كذلك فكيف عمَّ جميع اوربا واميركا ولماذا لم ينتشر في الشرق كما انتشر في الغرب

ج. ان القبعة الشائعة الآن في اوربا واميركا مأخوذة اصلاً من البقاسوس التي كانت مستعملة في بلاد اليونان منذ اكثر من الفين وخمسمائة سنة اذ قد جاء ذكرها في اشعار هوميروس وهي غطاء للراس لهُ بروز على دائرهِ يظلل الوجه والعنق من الشمس وقد تنوعت كثيراً على مر العصور. والصينيون والكوريون يلبسون على رؤوسهم شيئاً مثلها ويظهر من بعض النقوش الاشورية ان الاسرى الذين اسرتهم اشور من فلسطين منذ نحو ثلاثة آلاف سنة كانوا يلبسون البرانيط والظاهر ان سكان البلاد الحارة كبلاد العرب لا يكتفون بما يظلل الوجه والعنق بل وضعوا على رؤوسهم العمامة التي تقي الرأس من حر الشمس ثم استعملوا الكوفية التي تقي الرأس والعنق والوجه والكتفين. وما نراهُ الآن من اشكال برانيط الرجال والنساء في اوربا حديث جداً سببهُ ان الذين يصنعون هذه البرانيط ويتجرون بها يغيرون اشكالها بين يوم وآخر اما الشرقيون فالتزموا الاحتفاظ بالقديم

(١٤) توليد الاحياء

كلفلند اوهايو باميركا. الخواجه عبد الله جورج عبود بينما كنت اطالع عدداً من جريدة تصدر في هذه المدينة استلفت نظري كلام عن رجل اسمهُ مازورا قيل انهُ صنع اجساماً حية وقد ارسلت اليكم القطعة من تلك الجريدة التي فيها صورتهُ وصورة ما صنعهُ فهل تظنون ان دعواهُ صحيحة

ج. وصلت القطعة وفيها صورتهُ

وصورة نوع من الاميبا التي يقال انهُ صنعها فحتمل فان البعض صنعوا اجساماً مثلها وصورة حلزونة (بزاقة) تسعى وهي يحجمها ولكنها لا توالد غيرها كالاميبا الطبيعية. الطبيعي يدعي انهُ خلقها . اما عمل اجسام واما عمل حلزونة تسعى كالحلزون الطبيعي الحي تشبهُ الاميبا وهي ابسط انواع الاحياء فينقضهُ كل ما هو معروف علمًا حتى الآن

باب الاخبار العلمية

مقتطف مايو

افتتحنا مقتطف هذا الشهر بمقالة علمية بسيطة التناول بسطنا فيها اشهر الآراء في تعليل قلفة الشم وفيها صورتان صورة خلايا الشم واخرى لباطن الانف وفي اعلاهُ هذه الخلايا

و يلي ذلك مقالة مسهبة عنوانها الصحافة الشرقية في نصف قرن اي في عهد المقتطف الجليل بك ثابت وهو من اعرف الكتاب بهذا الموضوع لانهُ عالج الصحافة في جميع نواحيها منذ اول القرن العشرين

و يعدها كلام على الشعرى والنجم التابع لها الذي ظهر ان كثافتهُ نحو سبعة آلاف ضعف كثافة الحديد وحرارتهُ نحو ٨٠٠٠ درجة بميزان سنتغراد . وفيها صورة بقعة من السماء يظهر فيها هذا النجم وغيرهُ

ثم كلام على الحيوانات اللبونة واقدم آثارها التي وجدت في صحراء غوبي بمنغوليا وجدتها البعثة الاميركية التي كانت تبحث عن بيوض الدينوصورس. وقد نشرنا صورة هيكل حيوان ليون مخجر وصور بعض بيوض الدينوصورس المتحجرة التي عثر عليها هناك

ثم ثنّى الكلام على « الحرب الكبرى ومن المسئول عنها » وفيها خلاصة المكاتبات والمحادثات التي دارت بين ملتكي وكنراد رئيسي اركان الحرب في المانيا والنمسا

فالجانب الاخير من « اسلوب المؤرخين العرب في كتابة التاريخ » للاديب المحقق انيس افندي زكريا النصولي مدرس التاريخ في دار العلوم ببغداد

و يليهِ كلام على نهوض رضا خان شاه ايران والاعمال العظيمة التي عملها لما كان في الجيش و بعدما تقلد رآسة الوزارة قبل اختياره لاعتلاء العرش

ثم ثنّى قصة « الشيخ مرعي صبيح » وهي

القصة المصرية التي انشأها الاستاذ محمد لطفي جمعه المحامي

وبعدها كلام على قيمة البحث العلمي وهل تجب مكافأة العلماء وما هو السبيل الى ذلك

ويليهِ فصل من كتاب حاضر العالم الاسلامي الذي وضعهُ الدكتور ستدرد الاميركي وترجمهُ الاديب عجاج نويهض. وهذا الفصل يدور على اثر التعليم الغربي في البلدان الشرقية وفيهِ صورة المستشرق ڤمبيريه

ثم ترجمة الخطبة التهذيبية البليغة التي خطبها اللورد لويد المندوب السامي في كلية فكتوريا بالاسكندرية

وبعدها بيان باشهر الهبات الاميركية واسماء اصحابها والاغراض التي وهبت لها يثبت منهُ ان قيمة الهبات الاميركية يبلغ نحو ٥٠٠ مليون جنيه ينفق ريعها في مختلف الاغراض العمرانية

ثم بحث علمي جديد في مميزات الدم وتقسيم لشعوب الارض حسب هذه المميزات وفيهِ خريطة يظهر فيها تفرق الشعوب حسب هذه المميزات

ويليهِ مقالة للدكتور احمد ضيف في النثر المصري في القرن التاسع عشر والصفات التي اتصف بها واسماء اشهر الكتاب

وبعدهُ بحث ممتع في سيرة جابر بن حيان الكيماوي العربي المشهور ووصف مؤلفاتهِ ونسخها الاصلية والمترجمة واماكن وجودها لاسماعيل بك مظهر

ثم كلام على الطيران التجاري في اوربا يظهر منهُ ان اكبر مدن اوربا متصل بعضها ببعض بخطوط هوائية منتظمة العمل. والمقالة لنجيب افندي نصار احد المدرسين في جامعة بيروت الاميركية نقلاً عن الانكليزية

وابواب المقتطف كعادتها حافلة بالمقالات والشذور. نلفت النظر الى باب التقريظ والانتقاد منها ففيهِ كلام مسهب على « الشوقيات » وهي الجزء الاول من ديوان احمد شوقي بك الذي ظهر حديثاً. وبحث في الشعر الجاهلي على ذكر كتاب الدكتور طه حسين استاذ الآداب العربية في الجامعة المصرية. وفي باب تدبير المنزل مقالة لطبيب اميركي مشهور عنوانها « اركان السعادة »

اوجه القمر في شهر مايو

	يوم	ساعة	دقيقة	
الربع الاخير	٥	٥	١٣	صباحاً
المحاق	١٢	٠	٥٥	«
الربع الاول	١٩	٧	٤٨	«
البدر	٢٧	١	٤٩	مساء
الحضيض	٧	٧	٤٢	صباحاً
الاوج	٩	٧	٤٨	مساء

السيارات في مايو

عطارد . كوكب صباح في اول الشهر ثم لا يشاهد في آخره

الزهرة . كوكب صباح

المريخ . يشرق الساعة الواحدة والنصف صباحاً

المشتري . يشرق نحو الساعة الواحدة صباحاً

زحل . يشاهد اثناء الليل

استاذ العربية في جامعة كمبردج

يتذكر قراء المقتطف اسم الدكتور نكلسن مؤلف تاريخ الآداب العربية وقد الفهُ وهو استاذ اللغة الفارسية في كلية لندن الجامعة وكنا نحسب من مطالعة كتابهِ انهُ لا يحسن العربية لاننا لم نرَ انهُ نظم ما فيهِ من الاشعار عن اصلها العربي ولكن يظهر الآن انهُ من اساتذة العربية اذ قد اختير استاذاً لها في جامعة كمبردج

واستاذية اللغة العربية في كمبردج قديمة جداً يظهر مما جاء سبنسر مجلة الدسكفري عنها انها انشئت سنة ١٥٤٠ اي منذ ٣٨٦ سنة . وكان الغرض من انشائها على ما يظهر من كتاب أُرسل الى السر توماس ادمس سنة ١٦٣٢ ترقية الآداب السامية بالاطلاع على المعارف التي كانت لا تزال محفوظة في خزانة اللغة العربية وخدمة الملك والبلاد بالمتاجرة مع الامم الشرقية . والاستاذ نكلسن شاعر مجيد باللغة الانكليزية كما يظهر من ترجمتهِ لكثير من الاشعار في كتابهِ تاريخ الآداب العربية وعسى ان يرى كتاب الاستاذ طه حسين في الشعر الجاهلي ويعيد طبع كتابهِ في تاريخ الآداب العربية بعد ان يتوسع فيهِ ويطبع الاشعار التي ترجمها بحرفها العربي مع الترجمة كما فعل الاستاذ كارليل J. D. Carlyle قبلهُ في كتابهِ المطبوع سنة ١٧٩٦ مع ان الاستاذ كارليل تصرف في الترجمة حتى ابعدها عن الاصل العربي بعداً شاسعاً كأنهُ كان لا يعرف العربية

الصحة والآثار في الهند

يعلم قراء المقتطف انهُ كشفت حديثاً آثار قديمة جداً في بلاد الهند يستدلُّ منها على الاتصال بين الهند والعراق قبل التاريخ المسيحي بالفي سنة او ثلاثة آلاف سنة . فلما وضعت ميزانية الحكومة للسنة المقبلة وُضع فيها مبلغ ٣٧٥ الف جنيه للتنقيب عن الآثار القديمة فاعترض المندوب على ذلك وطلبوا ان ينفق هذا المال على التدابير الصحية لانها اهم من كشف الآثار القديمة . وتقول مجلة ناتشر ان الانكليز من غير رجال الحكومة وافقوهم على ذلك ولكنها اسفت لحرمان الباحثين عن الآثار من هذا المال . ولا ندري

كيف يمتنع رجال الحكومة ان ينفقوا مبلغاً طائلاً مثل هذا على عمل قد لا يستفيد منهُ هندي واحد ولا ينفقوهُ على مقاومة الامراض القتالة ففي سنة ١٩٢١ توفي بالكوليرا في الهند الانكليزية ٤٥٠٦٠٨ وبالطاعون ٥٩٣٨٢ وبالحميات ٤٧٦١٢٣٧ وبالاسهال والدسنطاريا ٢٢٩٥٧٦ وتوفي بالطاعون في الهند كلها من سنة ١٨٩٥ الى سنة ١٩٢١ اكثر من عشرة ملايين نفس اي نحو نصف مليون كل سنة

الفيتامين وعلماء اليابان

بعد ان ثبت وجود الفيتامين بانواعهِ الثلاثة اوب وج وعرف كثير من خواصها اتجهت انظار العلماء الى استخلاصها نقية غير مرتبطة بغيرها . وفيما هم يبحثون عن ذلك كشفوا نوعاً رابعاً مضاداً لمرض الكساح اطلق عليهِ اسم الحرف د اي الحرف الرابع من حروف ابجد ونوعاً خامساً مضاداً للعقم اطلق عليهِ اسم الحرف ه وعُرف كثير من بناء هذه الانواع الكيماوي ولا سيما ثيتامين ا وثيتامين د وقد ذكرنا في الصفحة ٣٥ من مقتطف اغسطس سنة ١٩٢٤ ان ثلاثة من الاطباء في جامعة كولمبيا باميركا تمكنوا من استخلاص فيتامين ب وفي الصفحة ٢٥٧ من ذلك الجزء ان الاستاذ نكاهاشي الياباني تمكن من استخلاص ثيتامين ا من زيت كبد الحوت. وقد جاء الآن في مجلة ناتشر ان الاستاذ نكاهاشي ومساعديهِ نكاميا وكواكامي وكيتاساتو استخرجوا ثيتامين ا وثيتامين د نقيين من زيت كبد الحوت (زيت السمك) ومن الاوراق الخضراء وبحثوا فيهما لمعرفة خواصهما الكيماوية فوجدوا المستخرج من زيت السمك يختلف قليلاً عن المستخرج من الاوراق الخضراء

وقد تمكن نكاهاشي ومساعدوهُ من معرفة التركيب الكيماوي للفيتامين المستخلص من زيت السمك والمستخلص من الاوراق الخضراء فاذا عبارة الاول كر$_{٢٧}$ هـ$_{٤٤}$ ا$_{م}$ اي ٢٧ جزءاً من الكربون و ٤٤ من الهدروجين وجزءان من الاكسجين . وعبارة الثاني كر$_{٢٧}$ هـ$_{٤٦}$ ا$_{م}$ فهما يشبهان الخولسترول Cholesterol اي المادة الشبيهة بالدهن الموجودة في الصفراء وحصاة المرارة فان تركيبها الكيماوي كر$_{٢٧}$ هـ$_{٤٦}$ ا$_{م}$

جواهر الالماس الروسية

الظاهر ان جواهر الحكومة الروسية لا تزال محفوظة فقد جاء في مجلة ناتشر انها فحصت حديثاً ونُظر في تاريخها فثبت منهُ ما يأتي

اولاً ان الالماسة المسماة باسم الشاه اصلها

هندي وهي في شكل مثمن مستطيل عليها ثلاث كتابات منقوشة نقشاً الاولى تاريخها سنة ١٥٩١ والثانية سنة ١٦٦٥ حين رآها تفرنيه في قصر اورنج زب والثالثة سنة ١٧٣٩ حين وصلت الى نادرشاه فنقلت من دهلي الى ايران. وفي سنة ١٨٢٩ قتل وكيل روسيا السياسي في طهران فاسترضت حكومة ايران قيصر روسيا بهذه الالماسة

وثانياً ان الالماسة اورلوف وهي أكبر حجارة الالماس القديمة وقد رآها تفرنيه سنة ١٦٦٥ وصلت الى نادرشاه بعد ما تغلب على دهلي ورصّع بها وبالالماسة قوهي نور عرش ايران ثم سرقت وتداولتها الايدي الى سنة ١٧٧٣ حين اشتراها البرنس اورلوف واهداها الى الامبراطورة كاترينا الثانية ثم رُصع بها صولجان قياصرة الروس

هبة ركفلر لمصر

اشرنا الى هذه الهبة في باب الاخبار العلمية في مقتطف مارس والظاهر انهُ لم يتم شيء من حيث قبولها حتى الآن . ويظهر لنا ان تعيين اللجنة التي تتولى ادارة العمل بهذه الهبة من انكليزيين وفرنسويين واميركيين ومصريين وتكون رآستها لاحد المصريين كما جاء في شروط الهبة ليس من الحكمة ولا هو مطابق لمصلحة مصر كدولة مستقلة . ولقد كان الاحكم ان تتألف اللجنة من المصريين والاميركيين لا غير وتكون رآستها لعضو مصري وهي تستخدم من تشاء من رجال الفن الاوربيين وغيرهم حسبما تدعو طبيعة العمل. فان تعيينها على هذه الصفة يفي بالمراد ويسلم من التنافس ولا يمس استقلال مصر

تعليم البنات في الكليات

بحثت لجنة كلية بارنرد في جامعة كولمبيا باميركا فيما يجب ان تتعلمهُ البنات في المدارس الكلية فكتبت رئيسة الكلية رسالة في هذا الموضوع خلاصتها انهُ يجب تعليم كل البنات في المدارس الكلية لتتهن قراءة وكتابة حتى يتقنها جداً ولغة اخرى وعلم حفظ الصحة وعلم البيولوجيا المتعلق بالانسان. هذا ما يلزم ان تتعلمهُ البنات كلهن ثم يخيَّرن بين تعلم لغات اخرى وعلوم الادب والفنون او العلوم الرياضية والطبيعية او العلوم الاجتماعية

كلف الشمس والشفق القطبي

كان من نتيجة كلف الشمس ان ظهر الشفق القطبي في شمال اوربا على اسلوب بهيج كاد يشبه الشفق الذي ظهر سنة ١٨٧٢ لكن ذلك وصل الى سورية وكنا في صيداء فرأينا ان كل ما ذكر في وصف الشفق القطبي في كتب الطبيعيات والاحداث الجوية ينقص عنهُ كثيراً في بهجته ولا تزال صورتهُ في الذهن كأننا

رأيناهُ امس . و يقال الآن في تعليل الشفق القطبي انهُ كلف الشمس تشبه البراكين الثائرة فتندفع منها مواد مكهربة تنتشر في الفضاء فيصل بعضها الى الارض و يسبب الشفق القطبي

عمر الارض

يحسب عمر الارض الآن عمَّا فيها من المعادن التي تولدت من غيرها كالرصاص المتولد من عناصر مشعة فاذا عرفت نسبتهُ الى الصخور التي هو فيها وعُرف مقدار ما يتولد منهُ في السنة عرف عمر الارض من حين ابتدأ تولدهُ . وقد حُسب قبلاً ان عمر الارض يجب ان يكون بموجب ذلك ٣٣٠٠ مليون سنة لكن ظهر الآن ان الرصاص الذي في الصخور النارية قديم وقد يكون غير متولد من غيره وانهُ حُسب عمر الارض من معادن اخرى فظهر ان عمرها ١٥٢٥ مليون سنة والغالب ان يحسب عمرها ١٦٠٠ مليون سنة

التعليم في الصين

كان التعليم في بلاد الصين جاريًا على الاساليب القديمة فأُلغي سنة ١٩٠٢ وحلَّ محلهُ التعليم حسب الاساليب المتبعة في اوربا واميركا والحال أُنشئ مئتا الف مدرسة يتعلم فيها سبعة ملايين من الصبيان والبنات وأُخذ مدرسوها من الذين تعلموا في مدارس المرسلين . وسنة ١٩١٢ صارت البلاد جمهورية فاصلحت نظام التعليم وسارت به سيراً حثيثاً وتألفت نقابات في كل البلاد لمعاونتها واستدعت المساعدين من اوربا واميركا . والظاهر ان الصين عازمة ان تقتفي خطوات اليابان وتشبه باوربا واميركا . وتركيا جارية هذا المجرى وايران ايضاً

آثار العمران المصري

العادة الجارية الآن انهُ اذا اريد ان يبنى بناء عمومي كالمعابد والمتاحف والمدارس وضعت بعض الصحف والادوات في حجر زاويتهِ . والظاهر ان هذه العادة قديمة استعملها المصريون الاقدمون منذ اكثر من ٣٥٠٠ سنة فقد وجد في زاوية هيكل الملكة حتشبست آنية فيها بعض الاثمار كالتين والتمر والعنب . ووجد في قبر الملكة نفرو من الاسرة الحادية عشرة التي كانت منذ اربعة آلاف سنة قطع من نسيج الكتان لا تزال آثار الطي فيها

من الكاب الى القاهرة

يراد بالكاب رأس الرجاء الصالح في الطرف الجنوبي من افريقية وكان من غرض الانكليز ان يصلوا بينها بسكة حديدية فلم تتم ولكن الاتومويل قام مقامها وقد قطع

الماجور كورت ترت هذه المسافة باوتوموبيل وصوّر ما رآهُ في طريقهِ من المناظر لعرضهِ بالسنما وكان معهُ زوجتهُ وثلاثة رجال والمسافة التي قطعوها ١٣٠٠٠ ميل قطعوها في ١٦ شهراً وقد طالت المدة التي قطعوها فيها لكثرة ما لقوا من العوائق في طريقهم من المطر ولان الانهار في طريقهم كانت فائضة . ولما بلغوا النيل اضطروا ان يجروا الاتوموبيل فيهِ جرًّا

اسماك لبنان المتحجرة

في كثير من صخور لبنان آثار اسماك واضحة تمام الوضوح تدلُّ على ان تلك الصخور تولدت من طين رسب فوق الاسماك فبليت وحفظت آثارها فيهِ . وكان الدكتور لويس قد جمع كثيراً منها في معرض الجامعة الاميركية لما كان يدرّس علم الجيولوجيا فيها . وقد قرأنا في مجلة ناتشر ان السر ارثر سمث وودورد ذهب الى بيروت عازماً ان يضع كتاباً في اسماك لبنان الباقية آثارها في الصخور الطباشيرية

آثار اور

وجد بالبحث في انقاض هيكل الهة القمر باور في العراق تمثال الالهة باو جالسة وهي لابسة ثوباً مكنكشاً وهو اول تمثال امرأة قديم وجد في العراق ووجد ايضاً دائرة تمثل القمر من الالبستر . قدمتها ابنة سرغون ملك اكد الذي كان سنة ٢٧٥٠ قبل المسيح وهذا التمثال من اقدم تماثيل السمريين التي وُجدت حتى الآن ولم يكن فن النقش قد بلغ ما بلغهُ بعد نحو الف سنة في عصر الدولة الثالثة من دول السمريين كما يرى في رأس هذه الالهة الذي وجد في اور وهو من الرخام الابيض وعيناهُ من حجر ابيض ولا زورد وعلى رأسهِ كمة كالبرنيطة

كتابة السياح على الآثار المصرية

قد يظن لاول وهلة ان كتابة السياح اسماءهم على الآثار المصرية عادة حديثة ولكن ثبت الآن انها قديمة جدًّا فان السياح الاقدمين وصلوا الى مدفن الملكة نفرو المذكور آنفاً ونقشوا اسماءهم على حجارتهِ بعد انشائهِ بنحو خمسمائة سنة وكان قد بني فوق مدخلهِ رواق هيكل الملكة حتشبست ولكنهم تمكنوا من الوصول الى القبر لانهُ كان هناك سرداب جانبي يوصل الى بابهِ

اليود ومرض الغوائر

ثبت الآن ان سبب مرض الغوائر الذي يظهر بتضخم العنق قلة اليود في الطعام . واليود قليل جدًّا في اكثر الاطعمة البرية ففي الطن من القمح مليغرام واحد (المليغرام جزء من الف جزء من الغرام) ولكنهُ كثير في الاسماك فانهُ في بعضها

٢٦٠ سليغراماً في الطن وفي المحار فانهُ فيها ١١٦٠ سليغراماً في الطن واكثر منهُ جداً في النباتات البحرية فقد يبلغ ثلاثة ملايين سليغرام في الطن اي ثلاثة غرامات في الكيلو غرام ولذلك يكون الملح البحري غير المكرر انفع من الملح المكرر ويكون هذا المرض اقل في سكان السواحل البحرية منهُ في سكان البلاد البعيدة عن البحر

مكافحة الحشرات بالطيارات

استعملت مصلحة الحشرات في اميركا الطيارات لمكافحة حشرات القطن في العام الماضي فانها طارت فوق خمسين الف فدان والقت عليها مسحوقاً من زرنيخات الكلس فكانت النتيجة على ما يرام ويراد ان تتوسع في ذلك هذه السنة وفي صنع طيارات خاصة لمكافحة الحشرات

البناؤون وصورهم

ان باني هيكل الملكة حتشبست لم يكتب اسمهُ في محل ظاهر ولكن قيم بيت الملكة امرهُ ان يحفر صورتهُ على الجدران التي تغطيها ابواب غرف الهيكل حينما تفتح فلا يراها احد فحفرها البناء كما أمر وحفر اسمهُ معها. والظاهر ان البعض كشفوا ذلك فامرت الملكة او غيرها بمحو ما نقش فمحيت هذه الصور والاسماء الاَّ في اربعة اماكن

البير الابيض

البير المعروف بالثمر الهندي او الفهد الهندي من اكبر الضواري واشرسها واشدها فتكاً وهو اصفر مخطط بخطوط سوداء. وقد وجد ببر لون جلدهِ ابيض بدل الاصفر فاهداهُ مهرجا روى وكتب الى ملك الانكليز فأتى بهِ الى لندن واهداهُ الملك الى بستان التاريخ الطبيعي

هبة برنس موناكو

ذكرنا في الصفحة ٤١٣ من المجلد ٦١ ان برنس موناكو ترك مليون فرنك لاكادمية العلوم بباريس ليعطي ريعها كل سنتين وقد اعطي هذا الريع الآن للدكتور شاركو فصار قادراً على زيادة الآلات العلمية في سفينتهِ التي يستعملها في المباحث العلمية البحرية وهي المباحث التي كان برنس موناكو يُعنى بها

حدائق ادونس

وجد الناقبون في آثار بيسان بفلسطين حوضاً مستديراً على دائرهِ آنية منقوبة من اسفلها والمظنون ان هذه الآنية والحوض تمثل ما يعرف بحديقة ادونس فان الآنية كانت لزرع بزور الازهار والرياحين يزرعها النساء ويعتنين بها ثمانية ايام ثم تطرح في نهر مع صورة ادونس

الجزء الخامس من المجلد الثامن والستين

صفحة
٤٨١ حاسة الشم وفلسفتها (مصوّرة)
٤٨٦ الصحافة الشرقية في خمسين سنة . خليل بك ثابت
٤٩٢ غرائب الاجرام السموية (مصوّرة)
٤٩٥ الحيوانات اللبونة
٤٩٧ الحرب الكبرى ومن المسؤول عنها
٥٠٣ اسلوب المؤرخين العرب . لانيس افندي زكريا النصولي
٥٠٩ رضا خان شاه ايران
٥١١ الشيخ مرعي صبيح (قصة مصرية) . للاستاذ محمد لطفي جمعه المحامي
٥١٨ البحث العلمي ومكافأة العلماء
٥٢١ حاضر العالم الاسلامي . للدكتور لوثرب ستدرد الاميركي(مصوّرة)
٥٣٠ خطبة اللورد لويد المندوب السامي
٥٣٤ كيف ينفقون اموالهم
٥٣٥ اجناس البشر (مصوّرة)
٥٤٠ الادب المصري في القرن التاسع عشر . للدكتور احمد ضيف
٥٤٤ جابر بن حيان . لاسمعيل بك مظهر
٥٥٢ الطيران التجاري . لنجيب افندي نصّار

٥٥٦ باب المراسلة والمناظرة * دروز حوران وابرهيم باشا . حول اسلوب الفكر العلمي. نابليون والماسونية
٥٦٤ باب تدبير المنزل * اركان السعادة . الجدري علاجه ومنعه . حفظ البرتقال
٥٧٢ باب الزراعة * جوائز المعرض الذهبية . خيول المعرض المصري . المعروضات الزراعية
٥٧٥ باب التقريظ والانتقاد *
٥٨٦ باب المسائل * وفيه ١٤ مسألة
٥٩٢ باب الاخبار العلمية * وفيه ٢٣ نبذة